سيّد قطب

1906 - 1966

الأعمال الكاملة الشعرية

إن نفسي ليس ترضى: أيُّ نفسٍ تقبل العيش كسكان القبور؟

سيد قطب

1906 - 1966

الأعمال الشعرية الكاملة

تقديم د. حسن حنفي

سيد قطب

الأعمال الشعرية الكاملة

دراسة في أشعار سيد قطب

تقديم الدكتور حسن حنفي

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾

جميع الحقوق محفوظة
لمركز الناقد

الناقد الثقافي
الدراية لا الرواية
2008

الطبعة الأولى 2008م
ديوان الأعمال الشعرية الكاملة
مع دراسة في أشعار سيد قطب.
المؤلف سيد قطب.
تقديم د. حسن حنفي.
فُسح في الجمهورية العربية السورية
من قبل وزارة الإعلام برقم 96927
بتاريخ 2008/3/4م

مركز الناقد الثقافي

مؤسسة ثقافية فنية مستقلة

دمشق - ساحة عرنوس - بناء واحة عرنوس -بجانب السفارة البلغارية الدور الرابع -

مكتب رقم ١ - ص ب : ٣١٤٩٠

أسس عام ٢٠٠٧ بمدينة دمشق .

- رسالة المركز :

- أن يكون عربياً، مسلماً، إنسانياً، عالمياً، يشع بحروفه الفاهمة حواراً، وتلاقياً، وتعارفاً، وحكمة ..
- محاولة جادة للخروج من القوالب الجاهزة والأفكار المعتادة والقناعات المحنطة .
- الناقد الثقافي لن يكون حبيس منظومة دائرية أو حلقة فكرية مفرغة بل هو إسعاف وإنعاش للفكر والوجدان .

تتم التحويلات المالية باسم مركز الناقد على الحساب التالي :

IN USD ($)
Correspondent bank : **COMMERZBANK / FRANKFUR**
SWIFT:COBADEFF
Beneficiary bank : BANQUE BEMP SAUDI FRANSI
SWIFT : BBSFSYDA
Name of the final beneficiary : (MARKAZ AL NAKED/BBSF)
Account number of the final beneficiary : **(0125719/BBSF)**

IN SAUDI ARAB RIYAL (SAR)
Correspondent bank : **BANQUE SAUDI FRANSI**
SWIFT : BSFRSARI
Beneficiary bank : BANQUE BEMP SAUDI FRANSI BBSF
SWIFT;BBSFSYDA
Name of the final beneficiary (MARKAZ AL NAKED/BSF):
(0125719/BSF)

تحذير وإنذار

- من يقوم بتزوير هذا الكتاب ويشترك بطبعه أو تغليفه أو بيع النسخ المزورة يلاحق بأقصى العقوبة المنصوص عليها في القوانين ويتحمل كل ضرر ناجم عن ذلك .
- قرار مجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي رقم (5)د 1988/9/8 م بشأن الحقوق المعنوية أسقط الفتاوى التي يتذرع بها لصوص الكتاب لتغطية كسبهم الحرام فقد جاء في مادته الثالثة :

((حقوق التأليف والاختراع أو الابتكار مصونة شرعاً، ولأصحابها حق التصرف فيها ، ولا يجوز الاعتداء عليها))

- صدر في سوريا قانون حماية حقوق المؤلف رقم ١٢ بتاريخ ٢٠٠١/٢/٢٧ ويقضي القانون بحماية حقوق المبدعين والمفكرين في شتى ميادين الأدب والعلم والفنون منمختلف أشكال العبث سواء بالانتحال أو التشويه أو الطمس أو بأي مسٍّ من شأنه أن يسيء إلى المؤلف .

الشاعر الرومانسي سيد قطب

بقلم . المفكر الفيلسوف

الدكتور حسن حنفي

سيد قطب هو الإمام الشهيد عند الإسلاميين . وهو المفكر الشهيد عند مجموع المفكرين. وهو الناقد الأدبي عند جماهير النقاد، وهو الشاعر الرومانسي المنتسب إلى مدرسة (أبوللو).

والحقيقة أن سيد قطب له جوانب متعددة طبقاً لمراحل حياته. فهو الشاعر الرومانسي فى العشرينيات (١٩٢٥-١٩٤٥)، وكاتب قصص الأطفال.

وهو الناقد الأدبي فى الأربعينيات (١٩٤٥-١٩٥٠) في (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه)، (التصوير الفنى فى القرآن)، (مشاهد القيامة فى القرآن).

وهو المفكر الإسلامي في الخمسينيات (١٩٥٠-١٩٥٤) ابتداء من (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) (١٩٤٩)، (معركة الإسلام والرأسمالية) (١٩٥٠)، (السلام العالمى والإسلام) (١٩٥١)، (المستقبل لهذا الدين) (١٩٥٣)، و(فى ظلال القرآن) على مدى عشرين عاماً.

والمرحلة السياسية (١٩٥٤-١٩٦٥) وفيها أسوأ ما كتب (معالم على الطريق) الذي كتب وهو في السجن تحت آلام التعذيب الذى يكفّر فيه المجتمع ويقسّمه إلى إسلام وجاهلية، نور وظلام، إله وطاغوت، إيمان وكفر. ولا حوار بين الحق والباطل إلا أن يقضي الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴿وقُل جاءَ الحَقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الإسراء ١٧/٨١](١).

١- حسن حنفي: الدين والثورة في مصر ١٩٥٢-١٩٨١ /٥ الحركات الإسلامية المعاصرة، القاهرة، مدبولي ١٩٨٨، ص١٦٧-٣٠٠

كان الشعر مرحلة من العشرينيات حتى الأربعينيات لم تستمر. كانت أول قصيدة (وردة ذابلة) عام ١٩٢٥ وآخر قصيدة (أخي) عام ١٩٥٧[1] وهو في السجن. وكانت الذروة في الثلاثينيات خاصة عام ١٩٣٤.

كان يمكن تصنيف قصائده طبقاً لموضوعاتها، ولكن كان من الأفضل بيان خصائصها الشعرية وموضوعاتها. ويتضح سيد قطب شاعر الغزل ثم التأمل ثم الحنين ثم الوصف ثم الرثاء. ولا يأتى شاعر التمرد والوطنيات إلا فى النهاية.

هو شعر تقليدي عمودي وليس شعراً حديثاً. يستعمل الألفاظ العربية غير المتداولة كما هو الحال فى الشعر الجاهلى. يحتاج إلى شرح اللغويين والنحاة. يغلف الروح الرومانسية بغلاف لغوى وغطاء لفظى يمنع من الإحساس الجمالى المباشر بالمضمون الشعرى. قد يرى النقاد فيه بعض الصنعة والتكلف فى الصياغة. ومع ذلك يبدو المضمون الرومانسى واضحاً. لم يدخل معارك الشعر الحديث كما فعل العقاد، وطه حسين، وصلاح عبد الصبور، بل دخلها فى الرواية فى عرضه لثلاثية نجيب محفوظ، وانتصاره للجديد ضد القديم، للعقاد على طه حسين. له قصته مثل (الأيام) لطه حسين وهي (طفل من القرية) و(يوميات نائف فى الأرياف) لتوفيق الحكيم.

وهو شعر عاطفى وجداني رومانسي. ينبع من أعماق النفس (خبئية نفسى). فالشاعر غريب فى العالم يدعو فى (دعاء الغريب).

يخطو الزمن به وثبا. يتوه فى الصحراء، وتغوص أقدامه فى (أقدام فى الرمال).

---

١ – له فى عام ١٩٣٤ – ٤١ – قصيدة.

يحن إلى الماضى وإلى أيام الصبا وتذرف الدموع (الحنين والدموع). ويشعر بالحرمان فى (ريحانتى الأولى أو الحرمان)، والحاجة إلى الإشباع الروحى وإلى (هتاف الروح)، ينبع شعره من أعماق القلب (هدأت يا قلبى). يمجد الإبداع فى الفن والحياة وكما كتب فى ١٩٣١م فى محاضرة قدمها مهدى علام: (مهمة الشاعر فى الحياة). وظل كذلك حتى فى مرحلته الإسلامية عندما كتب (الإسلام حركة إبداعية فى الفن والحياة). ويتردد لفظ (الحياة) عشرات المرات فى قصائده: (خريف الحياة)، (عودة الحياة)، (رسول الحياة)، (سر انتصار الحياة)، (داعى الحياة)، (تحية الحياة)، (حلم الحياة).

وهو شعر واقعى يصف الجوانب السلبية فى الإنسان، وفى الحياة كما يصفها القرآن، ووصف الإنسان بالجدل والتسرع والغرور والجهل والظلم. لديه إحساس بالاضطراب والحنق فى (اضطراب حانق). والأقدار تسخر من الإنسان فى (سخرية الأقدار). والدنيا خراب فى (خراب). والنفس ضائعة فى (النفس الضائعة). والصديق مفقود فى (الصديق المفقود). والغد مجهول فى (الغد المجهول). وهو غريب فى العالم فى (غريب) و(دعاء الغريب). يرثى عهداً ولّى فى (رثاء عهد) و(عهد ذاهب). والشعاع خاب فى (الشعاع الخابى). والشاطئ مجهول فى (إلى الشاطئ المجهول). والشاعر فى وادى الموتى فى (السر ... أو الشاعر فى وادى الموتى). والخطيئة تغمر وجود الإنسان فى (الخطيئة). وللقصيدة مصرع فى (مصرع قصيدة).

والخلود خدعة فى (خدعة الخلود). والنظرة موحشة فى (نظرة موحشة). والناس فى خصام فى (خصام). والأفواه ظامئة فى (الظامئة). واللحن حزين فى (اللحن الحزين).

والحب فى مصرع فى (مصرع حب). والحب مكروه فى (الحب المكروه)، والبكاء على أطلال الحب فى (على أطلال الحب). والسلوان أكذوبة فى (أكذوبة السلوان). والكأس مسمومة فى (الكأس المسمومة). والوردة ذابلة فى (وردة ذابلة). والجمال عبث فى (عبث الجمال)، واليوم خريف فى (يوم خريف). والجبار عاجز فى (العاجز الجبار)، والجمال حزين فى (جمال حزين). والهرة سوسو ماتت فى (موت سوسو). وللفاجعة صدى فى (صدى الفاجعة). والبدارى مأساة فى (مأساة البدارى). والحنين يذرف الدمع فى (الحنين والدموع). والحياة نكسة فى (نكسة).

وفى الوقت نفسه هو شعر مثالى يعبر عن حضور المثل الأعلى فى الإنسان، كما هو الحال عند الرومانسيين الألمان فختة وشلنج. يعبر عن الجوانب الإيجابية فى الإنسان كما يفعل القرآن فى بر الإنسان بوالديه. يريد الصعود إلى القمة فى (على القمة). يعشق المحال فى (عاشق المحال). يحقق الحلم القديم فى (حلم قديم) و(جولة فى أعماق الماضى). الشعراء فيه سعداء فى (سعادة الشعراء) و(السعادة حديث الأشقياء). والروح تهتف فى (هتاف الروح). والابتسامة على الوجوه فى (ابتسامة)، والبسمة بعد العبوس فى (بسمة بعد العبوس)، والوجوه طريفة فى (وجوه طريفة). وهناك بعث بعد الموت فى (بعث). والحب حقيقة وتعبير فى (أحبك) و(لماذا أحبك؟) والقبلة نتيجة طبيعية للحب فى (قبلة). والحب رقية فى (رقية الحب)، والحب لا يخطئ فى (عصمة الحب). والخواطر تتوارد فى (توارد خواطر).

وهو شعر إنسانى عام، لا يفرق بين شرق وغرب. إذ لم يبدأ العداء للغرب إلا بعد ١٩٥٠ بعد الصدمة الحضارية إثر زيارته للولايات المتحدة فى بعثة تربوية، والتى كان يكتب في أثنائها الرسائل لشقيقته (حميدة) يصف فيها انطباعاته عن العالم الجديد، والتى جُمعت بعد ذلك فى (أمريكا التى رأيت).

كل أشعاره تجارب إنسانية عامة يمر بها كل إنسان بصرف النظر عن لغته وثقافته ودينه ووطنه وقومه، الموت والحياة، المحبة والعشق، الواقع والحلم، الماضى والحاضر والمستقبل، الزمان والخلود، أطوار العمر، الربيع والخريف، الألفة والغربة، السعادة والشقاء، البسمة والعبوس، الفرح والحزن.

وهو شاعر طبيعة مثل شعراء الطبيعة القدماء والمحدثين، ذي الرمة وشعراء المهجر. ففى الطبيعة جمال، كما أن فى الروح جمال. وللحياة خريفها وربيعها. سقوط أوراقها ونموها فى (نداء الخريف) و(فى ليلة من ليالى الربيع). وما أجمل الليل فى الريف فى (ليلات فى الريف) و(العودة إلى الريف) فى ظلال الأشجار فى (بين الظلال). وما أجمل الطيف وصوت حفيف الأشجار فى (طيف) و(صوت). والصبح يتنفس فى (الصبح يتنفس). والحيوان جزء من الطبيعة مثل النبات. ويبدو ذلك فى قصيدتى (سوسو) و(نوسة)، اسمين لقطتين.

وهو شعر اجتماعى يعبر عن المفارقة بين الريف والمدينة. بالرغم من أن الريف مصدر الإلهام ووحى الرومانسية فى (العودة إلى الريف) و(ليلات فى الريف) إلا أنه أيضا موطن الفقر والبؤس واستغلال الفلاح. فالحرمان هى الريحانة الأولى فى (ريحانتى الأولى أو الحرمان). الناس فى (قافلة الرقيق) يسعون نحو التحرر. السلوان أكذوبة فى (أكذوبة السلوان) و(محلاها عيشة الفلاح، متهنى القلب ومرتاح). وهو ما عبر عنه نثرا فيما بعد فى (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) و(معركة الإسلام والرأسمالية)و(السلام العالمى والإسلام)، الشاعر الوطنى الاشتراكى مع (اشتراكية الإسلام) لمصطفى السباعى فى سوريا. ويشعر بضرورة الثورة والخروج من العزلة فى (عزلة فى ثورة). وهو ما تحول عنه أحد تلاميذه إلى «اليسار الإسلامى» عام ١٩٨٠ بعد خمسة عشر عاما من استشهاده.

وهو شعر وطنى يعبر عن الأمانى الوطنية للشعوب العربية، استقلال مصر، ثورة ١٩١٩، سعد العظيم، وحدة مصر والسودان، الجهاد فى فلسطين، انتماء مصر العربى. لذلك أعجب به عبد الناصر فى أوائل الثورة. وأراده رئيسا لهيئة التحرير، أول تنظيم سياسى للثورة. وطلب منه إعطاء أحاديث وطنية فى الإذاعة المصرية. وهو الذى كتب برنامجه الدعوي (دعوتنا) عندما طلب عبد الناصر كتابة الأحزاب لبرامجها السياسية. وسعد العظيم ذكراه خالدة فى (الذكرى الخالدة لسعد العظيم). وهو البطل فى ذكراه فى (البطل) و(ذكرى سعد). وهو (صوت الوطنية). و(مأساة البدارى) تضحية بالمواطنين فى حكومة الظلم. ومصر نبض العروبة فى (إلى البلاد الشقيقة). إنما العيب فى مدح الملك فاروق فى (المهرجان) مهجران العرش والشعب معا (عاش فاروق ودام المهرجان).

وهو شعر يعبر عن الرغبة فى الخلود، وامتداد الإنسان أفقيا بين الماضى والحاضر والمستقبل، ورأسيا بين الزمان والخلود. الزمان يمر فى (مر يوم). ويخطو وثبا فى (خطا الزمن الوثاب). ويصل إلى نهايته فى (نهاية المطاف). وهى محطات أهمها فى سن الثلاثين فى (إلى الثلاثين). ولحظة الانتظار هى لحظة خالدة ينكشف فيها الخلود فى الزمان فى (الانتظار الخالد). ويعود إلى الماضى فى (جولة فى أعماق الماضى) و(الماضى) و(عهد الصغر) و(رثاء عهد) و(عهد ذاهب) و(الذكرى الخالدة لسعد العظيم) و(ذكرى سعد). فالغد مجهول فى(الغد المجهول).

ولا يوجد دين مباشر فى المرحلة الشعرية. كان الدين مجرد صور فنية، معانى علمانية للمعجزة واليقين والحب والشكر والصلاة والوحى والجنة. لا عقائد ولا شعائر ولا إلهيات، بل أخلاقيات وعمليات وإنسانيات. تذوق الجمال عبادة جديدة، والتسبيح لعينى الحبيب. يرفع الروح إلى السماء. وهتف الروح. والدعاء للغريب. وهبل رمز الجهل فى (هبل... هبل)، استدعاء للجاهلية. والبعث للوجدان والضمير والحياة كما هو الحال

فى رواية تولستوى (البعث)، بعث أمة لطرد المحتل. والحياة لها رسول فى (رسول الحياة) والإلهام (وحى جديد)، ولقاء الحبيبين (وحى لقاء) و(وحى الخلود). للأقدار سخرية فى (سخرية الأقدار)، وليست موضوعا للإيمان كما هو الحال فى عقيدة القضاء والقدر. والمعجزة هى الفعل البطولى فى (المعجزة أو السهم الأخير). و(الجبار عاجز) أمام دفعة الحياة. و(الوادى المقدس) فى الأرض وليس فى السماء.

إنما قسوة التاريخ وظلم الشاعر والناقد والمفكر هو رده إلى مرحلة واحدة بعد ١٩٥٤ ونسيان ربع قرن من الإبداع الشعرى والنقدى والفكرى ورده إلى كتاب واحد (معالم على الطريق) الذى هو حرقة سجين مظلوم ومعذب بريء. وقد نسيت جماعته أيضاً المراحل الثلاث الأولى، ولم تتذكر إلا المرحلة الرابعة، باستثناء المخلصين له الذين تعلموا على يديه، وعرفوه مفكرا وثائرا ووطنيا باسم الإسلام. ولولا دخوله السجن فى ١٩٥٤ وتعذيبه لما كفَّر المجتمع فى (معالم على الطريق)، ولولا سفرى إلى فرنسة وعودتى بعد عشر سنوات وعيشى فى جو طبيعى لما كتبت (من العقيدة إلى الثورة)، ولا (من النقل إلى الإبداع)، ولا (من النص إلى الواقع)، ولا (من الفناء إلى البقاء)، ولا (من النقل إلى العقل). ولولا الصدمة الحضارية التى تلقاها من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٠ لما كتب (خصائص التصور الإسلامى ومقوماته) ردا على (الإنسان ذلك المجهول) لألكس كاريل. وهو ما تطور بعد ذلك فى (مقدمة فى علم الاستغراب). ويتم استئناف (فى ظلال القرآن)آخر ما وصل إليه علم التفسير من تطور فى (الموقف من الواقع) أو نظرية التفسير، الجبهة الثالثة من مشروع (التراث والتجديد) بجبهته الأولى موقفنا من التراث القديم، وجبهته الثانية (موقفنا من التراث الغربى).

واليوم يرد – مركز الناقد الثقافى– الاعتبار لسيد قطب شاعرا عسى أن يُرد إليه نفس الاعتبار ناقدا ثم مفكرا ثم سياسيا وتنتهى أسطورة (معالم على الطريق). فنفسية السجين استثناء فى حياة الشاعر الرومانسى، والناقد الأدبى، والمفكر الحر[1].

---

[1]- ما أرى هذه المرحلة إلا نتيجة طبيعية للسقوط في وهَدة المؤامرة، والانزلاق إلى مهاوي الفتنة، ومن ثم الاحتراق بأتُّون الحقد. من طرفي الأمة وجناحيها آنذاك، اللذين كان عليها المعوّل لو تابعا مسيرهما معاً، كما بدأاها، التيار الإسلامي والتيار القومي المعتدل وما وصلت إليه أمتنا اليوم يؤكد أن المؤامرة يومذاك كانت كبيرة ومحكمة، نجتر عذاباتها ونتائجها المرة، والمأمول اليوم أن يدوم هذا التصالح وهذا الوعي، بل وهذا الانسجام بين التيارين في وجه العدو المشترك ..... الذي لم يتغير . (الناشر)

المقدمة
بقلم الناقد سيد قطب

أعرفُ مؤلَف هذا الديوان؛ معرفةً وثيقةً عميقة، قد لا يتأتى لأىّ سِواى أن يعرفَها ! ولقد صَاحبتُه زُهاء سنوات عشر أو أكثر قليلاً، وَراقبتُ خواجَه[(١)] وسَرائرَه وخَبَرْتُ اتجاهاتِه وميولَه، وكونتُ لي رأياً عنه، أقربَ ما يكون إلى حقيقته.

ولقد كان يَشْجُرُ بيننا الخلافُ على كثير من الخَواج والقصائد، ولكنا كُنَّا نلتقي عن قريب أو بعيد، إلا أمراً واحداً،لا نزال مختلفين فيه أشدَّ الاختلاف.

ذلك أنه راضٍ عن مجموعة هذا الديوان، أمّا أنا فلستُ راضياً عنها إلا بمقدار وما أزال أتطلعُ إلى مُثلٍ عُلْيا، كما آخذُ عليه بعضَ أنواعَ الضعف والخطأ. وما يشبه الضعفَ والخطأ في بعض الأفكارِ وبعض الألفاظ !

وفي هذه المقدمة؛ سأستعرض آراء الشاعر واتجاهاته، ثم أذكر مآخذه وعيوبه، محاولاً ألا تؤثر صحبتي الطويلةُ له، والصداقةُ العميقة بيننا؛ في تحليلي لديوانه!!

الشعر والنظريات العلمية والفلسفية

في الفصل الأول من هذا الديوان، وفي كثير من قصائد الفصول الأخرى، تُطالع للقارئ، نظرياتٌ علميةٌ وفلسفيةٌ كثيرة، ولكنها لم تحتفظ بِسَمْتِها[(٢)] العلمي وشخصيتها المحددة، بل استحالت صورةً من صورِ الشعر، فيها موسيقيته وعليها مِسْحَتُه؛ ولها سِحْنَتُه[(٣)].

١- خواجه: خواطره ونزعاته.

٢- السَّمْتُ: الطريقة

٣- السحنة: الهيئة واللون.

وليس هناك عداء بين الشعر وبين الفلسفة والعلم، فليس الثلاثة أنداداً[(١)] حتى يَشْجُرَ بينها العداء!

إنما الشعرُ أوسعُ مجالاً من العلم؛ ومن الفلسفة أيضاً، ولن يَعْسُر عليه، حين يبلغ حداً مُناسباً من النُّضُوج؛ أن يلتهمهما جميعاً، ويَعتصرهما دماً، ويُمثّلهما غذاءً، يُقوّى من بنْيَته؛ إن لم يُحسّ بوجوده!

ولن ننكر على الشعر إلمامَه بالحقائق العلمية والفلسفية فيما يُلِمُّ به من حقائقَ أخرى تُناسب طبيعتَه؛ إلا إذا قَصَرْنا طرق المعرفة على القُوى الواعية في الإنسان، وهذا مبدأ لم يسلم من المآخذ، حتى في أكثف العصور ماديةً، وكثيرٌ من مدارس السيكلوجية[(٢)] الحديثة، تحسب للقوى المجهولة في النفس الإنسانية حساباً كبيراً، وفي مقدمتها ((مدرسة التحليل النفسي)).

وهأنذا ألخصُ بعض هذه المسائل، التي تَعرضُ للقارئ في هذا الديوان، والتي أدركها الشاعر بالإحساس والتأمل تارةً، وبالاستغراق والتجرد تارةً؛ فالتقتْ بعد ذلك بنظريات علمية وفلسفية مقررة، واتفقتْ معها؛ أو اختلفت، لأنها لم تتقيد بها، ولَم تأت عن طريقها وحده.

الجسم والعقل والروح:

القول بالتباين بين الجسم والروح، قديم متداول في الفلسفة القديمة، والشاعر ميال إلى الأخذ بالروح العامة لهذه الفلسفة القديمة، وإن لم يأخذ بنصوصها في الفصل بين هذين العُنْصرين، لاعتقاده بوحدة الوجود.

وبالتحديد يرى أن هناك شيئين متميزين جسماً وروحاً ولكن بينهما اتصالاً...

أما ما يستحق الالتفات فهو أنه يُفرق بعد ذلك بين القوى العقلية؛ والقوى الروحية في الإنسان، وبتعبير أدق بين القوى الواعية، والقوى المُلهِمَة -وليست هي الغرائز- القوى المجهولة الكنه والوظيفة، والتي تعمل دون شعور بها؛ للسمو بالإنسانية.

١- النِّدُّ: المِثْلُ والنظير.

٢- السيكولوجية: علم النفس

ويرى أن العقل يستطيع أن يكفل للإنسانية حياها اليومية وما يقرب منها، ولكنه يقصر عن اتصالها بالمثل العليا الغامضة، وبالعوالم المجهولة، كما يقصر عن إدماجها في الوحدة الكونية الكبرى، والحقيقة الثابتة المتصلة، التي تبعد عن الفواصل من أمثال ((قبل وبعد. ماض وحاضر ومستقبل أنا وغير)).. إلخ.

وفي قصيدة الشاطىء المجهول؛ وهي أولى قصائد الديوان تفصيل لهذا البحث، كما أن فيها ظاهرة أخرى؛ وهي عدم ثقة الشاعر بالقوى الواعية؛ وشدة إيمانه بالروح وما يتصل بها من بداهة[١] واستغرقٍ، وتجردٍ؛ وصوفية.

لقد حَجبَ العقلُ الذي نستشيرُه حقائق جلّت عن حقائقنا الصُّغرى

هنا عالم الأرواح فلنخلع الحجا[٢] فنغنمَ فيه الخلدَ والحبَّ والسحرا

الجسم والزمن والوحدة:

القوى الروحية – عند الشاعر – هي التي تربطه بالوحدة الكونية الكبرى كما تقدم، في حين تقصر القوى العقلية عن ذلك، وهو يرى أن الشعور بالزمن؛ نتيجة لوجود الجسم والقوى الواعية؛ وأن الروح تحس بالوجود المطلق؛ لا يقيده الزمن؛ وبالبداهة لا يقيده المكان.

ولذلك فهو حينما خلع الجسم وخلع الحجا في الشاطىء المجهول رأى أن ليس هناك (حيث) ولا (أمس) ولا (اليوم) ولا (الغد) ولا (غير) ولا (أنا)... إلخ.

ولكنه رأى الأزمان كالحلقة الكبرى ورأى (الوحدة التي احتجبت سراً). وكذلك في قصيدة الليلات المبعوثة حين تجرد لم ير للزمان معلماً ولا رسماً ورأى كل شيء كرمز الدوام.

١ – البداهة: أول شيء، وما يُفجأ منه

٢ – الحجا: العقل

وقد يكون لهذا الإحساس علاقة بنظرية النسبية لأنشتين، كما قد يكون له علاقة بنظريات التصوف الإسلامي، ولكنه الإحساس المستقل للشاعر؛ الذي يشعر به، ويكرره في كثير من قصائده.

ويبدو شعوره بالوحدة الكونية بشكل واضح في (قصيدة الإنسان الأخير)؛ حين يستيقظ والكون قد خلا من الأحياء.

ففي نفســـه ما يشبهُ الموتَ سكرةً ومــن حوله مــوتٌ نَمتْــهُ المقابر

وفي نفســه من مثلهــا كلُّ ذرَّةٍ فهاتيك أشــلاءٌ وهذى خواطر[١]

وفي قصيدة (خبيئة نفسي)[٢] إذ يقول:

خبيئة نفســي في ثناياك معرِضُ لمــا لقَيتْــهُ الأرضُ في الجَــولَانِ

وإنك طلسَــمُ الحيــاة جميعِها وصورتُها الصغُّرى بــكلِّ مكان[٣].

ويبدو شعوره بوحدة الإنسانية؛ في مواضع كثيرة منها أن يجعل الإنسان الأخير يحاول كشف أسرار الغيب إكمالاً للجهاد الإنساني لهذه الغاية:

فياليته يدري بما خلف سِــتْره فيختِمُ سفرَ الناسِ في الكون ظافرٌ[٤]

وفي قصيدة (التجارب) يبدو إيمانه بوحدة الشعور، فقد صور شقّياً وهب ماضياً سعيداً؛ فلم يطق عليه صبراً، وعاد ماضيه الشقى توحيداً لشعوره!

الإحساس بالزمن، ومحاولة الخلود

تبدو ظاهرة؛ تستحق الالتفات في شعر هذا الديوان، فكثير منه، يدل على إحساس متيقظ بالزمن ومروره والأسف على انقضائه؛ والتنبه إلى قصر الحياة؛ ومحاولة خلودها أو امتدادها على الأقل.

١- أشلاء: مفردها شِلْو، والأشتلاء: أجزاء الجسم بعد الموت والبلى.
٢- خبيئة: المَخْبُوء
٣- الطلسْم (في علم السحر): الشيء الغامض.
٤- السِّفرُ: الكتابُ

ويملأ الإحساس بالزمن كثيراً من فصول الديوان المختلفة؛ ففي فصل (الظلال والرموز) يبدو هذا الإحساس على أشده في قصيدة (البعث).

هكذا عشْتُ كسـكّانِ القبور   في ربيــعِ العمــر؛ في العهــد النَّضِرْ

آهِ لو أَســطِيعُ للماضي الحسيرِ   رجعــةً، من بعد مــا جــاءِ وَمرْ[1]

كنتُ أُحييه كما يُحْياَ الشُّبابُ   نابضــاً بالحــبّ؛ جيــاشَ الأمــاني

ممسكاً أهدابَه خوفَ الذّهاب!   مُسْــتعزاً فيــه حــتَّى بالَّثــواني[2]

وفي فصل (الصور والتأملات) تجده جازعاً آسفاً على أنه مر يوم من حياته.

لم تكن فيه حياةٌ أو أمل   أو تمتُّعْ

وهْوَ محسوبٌ علينا في الأجَلْ   فَهْو أَضْيَعْ

وكذلك تجده ينادي ليلات الريف في لهفة ((إيه ليلاتنا،اخلدي، لا تغيبي))!

وفي فصل الغزل والمناجاة تجده يتحدث عن الحياة الغالية فيقول.

واليــومَ آســفُ للدَّقائــقِ تنطوي   من عمــريَ الغالي الثّمينِ الطَّيبِ

واليــوَم أرقُبهــا وأرقــبُ خَطْوَها   فأعيشــها مثلــين بعــد ترقبي!

وفي مواضع أخرى كثيرة.

وليس غريباً؛ أن تلمح اعتزازه بالماضي وأسفه عليه متفشياً في معظم فصول الديوان، فهو تتمة لهذا الإحساس الغريب بالزمن.

١- الحسير: المنصرم

٢- أهدابه: أطرافه

وهو لهذا يحاول الخلود، ويسلك إليه طرائق شتى فتارة يعتصم بالحب:

وغنـــاءٌ عـــن الخلـــودِ غرامٌ هـــو رمـــزٌ ووَصْلـــةٌ للبقـــاءِ

وتارة يلجأ إلى الريف؛ لأن مظاهر الدوام والاستقرار فيه؛ تخفف حدة الشعور بمرور الزمن:

يا ريفُ فيك من الخلود أثَارَةٌ تنســـابُ في خَلَـــد وفي أَوْهامـــي(١)

فإذا أعياه ذلك؛ وأعيا طبيعـــة الخلق، فهو يتعزّى بأخيه؛ ويهدي إليه الديوان لأنه امتداده في الحياة:

تمنيـــتُ ما أعيـــا المقاديرَ إنّمـــا وجدتُـــك رمزاً للأمـــاني الصّوادفِ

فأنـــت عزائـــي في حياةٍ قصـــيرةٍ وأنت امتـــدادي في الحيـــاةِ وخالفي

المجهول:

يملأ الشـــغف بكشف (المجهول) والحديث عن (السر) حيّزاً كبيراً من الديوان؛ ويمد جناحيه على حيز آخر، ومن هنا جاء اسمه.

ولعلها محاولة من محاولات الخلود، أو تعميق الحياة وتمديدها؛بمعرفة عوالم ومصائر مجهولة، يضيق الجهل بها أفق الحياة.

أم لعلها نتيجة للفصل بين أجزاء الكون والحياة، بهذا الجسم الذي لا بد له من الفواصل والحدود مع شـــوق القوى الروحية، إلى العوالم المجهولة، التي حجبها الجسم والقوى الواعية.

وعلى أي حال فالحديث عن المجهول يأخذ صوراً متعددة، ويشـــغل مكاناً كبيراً من اهتمام الشاعر، حتى لقد يلّح عليه في فصل (الغزل والمناجاة) في قصائد كثيرة.

١- الأثارة: البقية

ملكة التصوير وروح القصص:

يتبين للناقد، أن الشاعر في هذا الديوان؛ يقف موقف المصور في كثير من القصائد؛ حتى لا تكاد تخلو قصيدة من تصوير.

وقد يزيد على الصورة الصامتة في كثير من الأحيان حركة نابضة؛ والأمثلة على ذلك في (الشعاع الخابي. وخراب. والصحراء. والإنسان الأخير. وخريف الحياة. والجبار العاجز. وناحت الصخر) لا بل الأمثلة هي هذا الديوان كله، فهو متحف صور، قبل أن يكون قصائد شعر!

ولكن أي تصوير؟

إنه التصوير الهادىء؛ الغامض. فالهدوء والغموض هما اللذان يثيران في الشاعر خاطر التصوير، بل خاطر التعبير، وهو يهرب من الضجة كما يهرب من الوضوح، فإذا اضطر لملابستهما، فهو يعيش فيهما، ولكن لا يعبر عنهما.

ولقد لاحظت أن ألوان ملابسه جميعاً تتفق مع هذا الميل، وكذلك ألوان الأزهار التي يألفها؛ والمناظر التي يفضلها.

وهو مصور حسّي في بعض الأحيان. كما قد يصور الحركات الفكرية ويجسمها، أو الخواطر النفسية؛ ومنها ما يجول في نفسه هو؛ فتعجب لهذا (الوعي الفني) الذي يستطيع مع تصوير خلجات نفسه تصوير (المنتبه) لها في حركتها الداخلية المستمرة كما في (خبيئة نفسي، والنفس الضائعة، والغد المجهول، وغريب) وسواها.

وكذلك تجد روح القصص واضحة ومتفشية في كثير من المواضع، وهو يرمز للفكرة بقصة صغيرة، أو حوار كما في(التجارب) وفي (الصحراء) أو يجعل بعض القصيدة قصصاً، لتصوير موقف من المواقف.

موسيقية الديوان:

منذ عهد قريب جداً، كشفت عن ظاهرة تستحق التسجيل، ذلك أن لوناً من ألوان الموسيقا؛ يتفشى في هذا الديوان كله؛ على اختلاف أوزانه وموضوعاته.

ويجب قبل الحديث في هذا، أن أذكر أن موسيقا القصيدة؛ غير وزنها.

فالوزن يتحقق بأيّ الألفاظ؛ ولكن الموسيقا؛ كما تعتمد على الوزن؛ تعتمد على الألفاظ والتراكيب الخاصة.

هذه هي الموسيقا السمعية، ولكن هناك موسيقا أخرى أرقى، وهي الموسيقا الفكرية؛ ثم الموسيقا الروحية.

وتتحقق الأولى بالوزن والألفاظ، والثانية بتسلسل الفكرة وتلاؤم أجزائها، والثالثة بالجو العام الذي يحس به القارئ للقصيدة. وما من شك في أن جواً نفسياً خاصاً يحف بالقارئ دون أن يحدد أسبابه.

وهذه الموسيقا الروحية هي التي أعنى أنها واحدة في الديوان، وهي من لون واحد. لون الموسيقا الصعيدية! موسيقا أولئك (الصعايدة) الغرباء؛ وهم يرتلونها في نغم رتيب، فيه شجو[1]. وفيه ألم، وفيه حنين. ولكن فيه كذلك رجولة وخشونة وروعة.

وتعليل هذا من الوجهة العلمية سهل. ونظرية (العقل الباطن) تفسره فقد اندست[2] هذه الألحان في نفس الشاعر وهو طفل في (موشا) وهي قرية من قرى أسيوط وهو يقول عن هذا الريف:

إني فقدتُــكَ في الطُّفولــةِ غافلاً   عمَّا حويْتَ من الوجود السّــامي

لكن وجدْتُــكَ إذْ كبِرْتُ بخاطري   رمــزاً أُحيــطَ بغمْــرةِ الإبهــام

١-   الشجو : الحزن

٢-   اندست: دخلت في خفاء واستتار

التعبير:

تبدو في هذا الديوان صورة واضحة للتعبير الدقيق المصور للأفكار؛ وأضرب مثلا لذلك بقصيدة (في الصحراء) فهناك نخلة ملت الحياة التي لا تعرف سرها (يرمز بها إلى الأحياء جميعاً) فهذه النخلة تقول لأختها:

مُنذُ مَا أُطْلِعْتُ في هذا الخَرابِ وأنا أسْأَلُ: ما شَأنِي هُنا؟

ولو قال: ((منذ مَا طلعتُ)) لذهبت قيمة التعبير المصور لحالة هذه النخلة التي أُرْغِمَتْ على الحياة ((فَأُطْلِعَتْ)) دون إرادتها؛ ولم ((تَطْلُعْ)) هي بمشيئتها.

ومثل هذه الدِّقة كثير في الديوان إلا أن هذا لا ينفي أن هناك ضعفاً في بعض التراكيب؛ وخَطَأً في بعض الألفاظ وإن تكن معدودة.

والذي يستحقُّ التنبيه أن هَناك جُرْأَةً في الاشتقاق، قد تُؤدي إلى الفوضى، وقد يستغلُّها العاجزُون في اللغة استغلالاً...!

خاتمة:

وبعدُ: فهناك مَبَاحثُ طويلةٌ عن بقية فصول الديوان لا تتسع لها المقدمة ولا سيما فصل سيد (الغزل) وفصلُ (الوطنيات) أتركها للقراء..[1]

١- اعتمدنا في طبعتنا هذه على نسخة مصرية قام بإعدادها الأستاذ عبد الباقي محمد حسين تمامي،والنسخة تستحق التقدير فقد بذل جهداً ملحوظاً استفدنا منه في طبعتنا هذه فالشكر الجزيل له.

التمرد

إن نفسيِ ليس تَرضىَ : أيُّ نفسٍ

تقبل العيش كسُكّانِ القبورْ؟

عزلة في ثورة!!!*

حَدثيــني أنْــتِ يــا نَفْســي فما أفهــمُ العَالَــم أو يَفْهَمُنــي
إنــي أنكرَتُــه اليــومَ كمــا أنــه بالأمــسِ قَــدْ أَنْكَرَنــي
لم أجــدْ في الكــون إلا أَلَمــا إنمــا الوَحْــدَةُ أصلُ الشَّــجَنِ

* * *

وَحْــدَةُ الأرواحِ أَنْكَــى الوَحَدَاتِ وَحدةُ الأجسام تُنْسَــى وتهُونْ[1]
أيُّ بُؤْســي تســتحثُّ الذكرياتِ كانفراد الرُّوح في وادي الشُّجُونْ
إنَّ رُوحي قد تَناسَتْ ((خُذْ وهَات)) وانزوت في عالمٍ جَمِّ السُّــكُونْ[2]

* * *

لم أجــدْ قلبــاً إذا ارتعــتُ خَفَق خفقة الحُــبِّ بوحْيٍ صــادقِ[3]
وإذا شــذَّ فــؤادٌ فَصَــدَق أتبــعَ الحُــبَّ بِغَــدْرٍ مَاحِــقِ[4]
وفــؤادي يَتنــزى في حَــرَقٍ وَاجِفــاً مِنْ كلِّ حَــدسٍ طارِقِ[5]

* * *

وحبيبٍ قَــدْ سَــمَتْ رُوحِي إليه وعبــدتُ الطُّهْــرَ فيــه والجَمَالْ
ووقفــتُ النفــسَ والفكــرَ عليه والأمــانيَّ وأطيــافَ الخَيــالْ
ورأى مِــني أســيراً في يَدَيــه فتولّــى لاهِيــاً عــني ومَــالْ

* * *

لم أجــدْ في الكــونِ ما أنْشُــدُه مَثَــلاً أعْلــى فــأرْوِي ظَمَئــي
وإذا صــوّرتُ مــا أقصــدُه بُهِــتَ النــاسُ لهــذا النَّبَــأِ
وتولّــى بعضُهــم يَنْقُــدُه جاهــداً والبعضُ يَــروِى خَطَئِي

* **

وتقاليــدٌ وأسْــرَى يَعُبــدُون هــذه الأصنــامَ مُغْلُــولِي الفِكَرْ
وإذا ثــرُتُ عليهــا يَسْــخَطُون ويقولــون تَمــادَى وكَفَــرْ!
وَيْحَهــم مــاذا تَراهــم يبْتَغُونَ؟ أتُرى نحيا شُــخوصاً مِنْ حَجَرْ؟!

* * *

إنْ ذكــرتُ الحُبَّ قُدْسِــياً نَقِيا حسَــبُوه من خَيــالِ الشُّــعَراءْ
إنــي أُدْرِكــهُ رُوحــاً خَفِيــا يَهْبــطُ الأرضَ ومَأواه السَّــمَاءْ
وهــم يَبْغُونَــه إثمــاً فَريــا يُرْتَــدَى في أثْــوابِ البغــاءْ!

* * *

أتُــرى أحيــا بُــروحٍ لا تَحِس وفؤادٍ ليــس يَدْرِى مَا الشُّــعورْ؟
أكتمُ الأنفــاسَ إن جَالتْ بِحسّ ثُمَّ أبْقَــى صخرةً بــين الصُّخُورْ؟
إنَّ نفسِي ليس تَرضَى: أيُّ نَفسٍ تقبــلُ العيــشَ كسُــكَّانِ القُبُورْ؟
حدثيــني أنــتِ يــا نفــسُ إذَنْ واتركــي العَالَمَ في الكَــوْنِ يَمُوجْ

واعشَــقي كلَّ جمَــالٍ يُفتَتَــنُ واضــحِ الطَّلعــةِ بَسَّــامٍ بَهيــجْ
وخُــذِي مَا شِــئته مــن كلِّ فَنٍّ ودَعي مَنْ هَــاجَ في الأرض يَهيج!

* * *

حَلِّقــي يــا نفــسُ في كلِّ فَضَاءْ واهبِطي بــينَ الأقاحــي والزُّهُورْ
واسْمَعي ما شــئتِ مِنْ عّذْبِ الغنَاءْ حينمــا تَهْتِــفُ باللّحْــنِ الطُّيورْ
إنمــا الكــونُ ومَــنْ فيــه هَبَاءْ بعدمَا يَرْضَى عــن النفس الضَّميرْ

* * *

حَدِّثــي يــا نفــسُ إني لَســميعْ إنْ لَهــا النــاسُ ولم يَسْــتَمعُوا[1]
وَصِفي إحساسَــكِ السّامي البديعْ ودَعيهم حيــثُ هُمْ قَــدْ وَدَّعوُا
وإذا الألفــاظُ أعيــتْ، فالدموعْ فــإذا جَفَّــتْ، فخفْــقٌ يُسْــمَعُ

* * *

أقفــرَ العَــالَمُ مــن كلِّ سَــميرْ يُبْعِدُ الوَحْشَــةَ عَنِّى غيرَ نَفْســي
فليَفضْ ما جَاشَ فيها من شــعورٍ ولتكــنْ إلْفي ومَنْ أرجُو لأُنْســي
وَحْــدَةٌ فيهــا هُدوءٌ وســرورْ ومناجــاةٌ، فيا نَفْســي لتأسّــي

* * *

١- لها الناسُ: تشاغلوا

إضطراب خانق! *

أحيــاةٌ أمْ نــارُ الجحيــم بِلظَاهَــا الهائــج المُسْــتَعِرْ؟[١]
لا. ففي نفسي من الشَّجْو الأليم من حَيــاتي فَــوقَ مَــا في سَــقَرْ!

* * *

آه. لا شَــكْوى ولا بَثَّ شَجَنْ لا أريــدُ الضعــفَ. كلا. لا أريــدْ
ســوفَ لا يظهرُ مــني مَاكَمُنْ فليشــدَّ الخَطْــبُ إنّي لَشــديدْ[٢]

* * *

ولمن أشــكوُ إذا شئتُ الشّكَاه؟ ولمن أســطيعُ إيضــاحَ شُــعوري؟
أيــنَ مَن ينظــرُ مِنّي مَــا أراه في شــعوري، غيرَ نَفسي وضَميري؟!

* * *

أُغْــرُبي عَــني بعيداً يــا حَيَاتِي قــد كَرِهــتُ العيشَ في جَــوٍّ قَذرْ!
أُغْربُــي محفوفَــةً باللعنــاتِ آبعُدي عن سَــاخَطٍ جهمٍ ضَجِرْ![٣]

* * *

لا فِــراراً من جهــادٍ كالجَبَانِ لا. فمــا كنــتُ جَبَانَــا أَحْــذَرْ!
إنمــا أنْــتِ ســبيلٌ للهــوان لســتُ أَرْضَــاه ونَفْسِــيَ تَشْــعُرْ

* * *

*نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٩م

١- المستعر: المتوقد، المشتعل

٢- كَمُنَ: اختفى

٣- الجهم: عابس الوجه ، ضجر ضاق وتبرم

أأنَاسِـــيًّا أرى أم حَشَـــراتْ شَـــوَّهَتْ من طَلْعَةِ الكونِ الجميلْ؟
يُشْبِهونَ الناسَ في تلك السِّماتْ بينمـــا أَنْفُسُـــهم رِجْسٌ يَســـيلْ!

* * *

حَقَروا الكـــونَ وأغراضَ الحياةْ حَســـبُوها دَنَســـاً في دَنَـــسْ
وصَغَـــاراً ليـــس يَرْضَـــاه إلـــهْ وَهَـــبَ الأرواحَ نُـــورَ القَبَـــسْ![1]

* * *

إنّهم لَـــم يَعرِفُـــوا معنى الجمال إنّهـــم قـــد جَهِلُـــوا سِـــرَّ الوجُودْ
وإذا طَالَعَهـــم طيـــفُ الكمال لاتحـــاً يهفُـــو، تولّـــوا في جُمُودْ

* * *

فَهِمُـــوا العيشَ طَعاماً وشـــرَاباً ورَواحـــاً حيـــثُ شَـــاؤوا وغُدُوّا
أنفسٌ كالكهـــفِ ما زالت خَرَاباً من شـــعورٍ يُلْهِمُ النفسَ السُّـــموّا

* * *

فـــإذا حدثتَ عـــن طُهْـــرٍ بديعْ وشـــعورٍ يَغْمُـــرُ النفسَ بَـــراءْ[2]
أَدْرَكُوه سَـــافِلَ الشـــأنِ وَضِيعْ وهو أسمى ما اســـتطَاعتْه السَّماءْ!

* * *

١- القبس: النار أو الشعلة
٢- براء: خالص (بعيد عن الشبهات)

حَقَـرُوا العِفَّـةَ والحِـسَّ البَراءْ   حَقَـرُوا الرُّوحَ وهَامُوا بالجُسُـومْ
حَقرُوا الإخلاصَ محْضـاً والوفَاءْ   ورَأَوْا في النفـس مَحْيَاهـا الذَّميمْ

* * *

أئـذا مـا أخلـصَ الـودَّ فُؤادٌ   لفـؤادٍ مُخْلِـصٍ، فَائتلَفَـا
لم يكـنْ ذلـك إلا لِفَسـاد   يَثْلَمُ العِرْضَ ويُؤذِي الشَّـرَفا؟[3]

* * *

لا. فمـا أقْفَـرَ هاتيـك النفوسْ   لا. فمـا أجْمـدَ ذياك الشُّـعُورْ
إنَّ وَجْـه الكـونِ مُغْبَـرٌّ عَبُوسْ   بِهمُـو. فَلْيَغْرُبُـوا عنـه يُنِـيرْ!

* * *

---

[1]- يثلم: يجرح، يحدث فيه نُدبةً

زفرات جامحة مكبوحة *

اذهــبُ وخلِّفــني هنــا متألمــاً لا تلقــني سمحــاً ولا مُتجهِّمــا

اذهبْ وخلِّفْني تذوبُ حُشاشَتي ويَبُــضُّ قلبي مــن قرارتِــه دَما[1]

اذهبْ فلن أشكُو إليك عَواطِفي يومــاً ولــن ألقــاكَ إلا أبْكَمَــا

أرخصتَ حُبِّــي إذْ بَثثْتُكَ بعضَه فَلْيَبْــقَ مَكْبُوحــاً إذَنْ فَتَكتَّمَــا

إن كانَ بّــثُّ الحبِّ عندك مَأثَما فكذاك عِنْدي سَــوف يغدوُ مَأثَما

* * *

اذهبْ وفي نفسِي لِبُعدكَ حَسْرةٌ والعيــشُ بَعْدَك صَــار صُلْباً عَلْقَما

سَــأنامُ مهموماً وأصْحُو حَائِراً وأهيــمُ في وَادِي الأسَــى مُتألِّمَــا

ويُخيم البــؤسُ المُمضُّ فلا أرى إلا شَــقَاءً في الحيــاة مُخَيِّمَــا[2]

لكن سَــأكتمُ ما تُكِــنُّ جَوانحي وأعيشُ مَكْبُوحَ الجَوى مُسْتَسْلِمَا[3]

* * *

واويلتَــاه لقد أهنْــتُ عَواطِفي وحســبتُها عبثــاً يُمَــجُّ مُذَمَّمَا[4]

وأراكَ تَــأبى أن أكــونَ مُتابِعاً لــك في الغُدوّ وفي الــرَّواحِ مُيمِّمَا

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩م

١- يبض: يرشح، يتز.

٢- الممض: المؤلم من أمضّهُ الألم

٣- الجوى: حُرقة الشوق

٤- يُمَجُّ: يُلفظ

لك مَا تَشَــاء، فما أطيــقُ تَبَذُّلاً   مني ولســـُت أطيــقُ منــك تَبَرُّمَا
لك ما تَشَــاءُ، فلن أرى متنائياً   عني فأرجُــو عَطْفَــه مُسْـــتَرْحِمَا
وإِذا شَكَوتُ فللسماءِ سَأشْتِكي   أَلَمِــي وأبْـــدُو صَابِــراً مُتَبَسِّـــمَا

سَأعيشُ عَيشَ الزَّاهِدين وكانَ لي   أمـــلٌ حَطَمْـــتُ قِوامَـــه فَتَحطَّمَا
أملِي الذي قَدْ كانَ لي هو أن يعيش   شَ الحـــُّب فينَــا طَاهِــراً ومُكَرَّمَا
أمَّــا وقَـــد أَرْخَصْتَـــهُ وأهنْتَـــهُ   ورَأيتـــهُ إِثْمَـــاً لديـــكَ مُحَرَّمَـــا
فليذهَـــبِ الأمَـــلُ الـــذي أمَّلْتُه   حِينـــا وعِشْـــتُ بظلِّـــه مُتَنَعِّمَـــا
سَـــأصُون عهدَ الحبِّ عَفّاً طَاهِراً   حتى أمـــوتَ بِـــه شـــهيداً مُغْرَمَا

* * *

عاشق المحال*

ضِقْتَ بالقيد فانْطَلِقْ أيُّها الآبِقُ الشَّرودْ[1]
قد تحررتَ فاستبِقْ للصِّراعات مِنْ جَديدْ

* * *

انْطَلِقْ تَصْعَدُ الرُّباه ثم تَهْوى إلى السُّفوحْ
شارداً تَقْطعُ الحيَاه في التّعلّاتِ والطُّموحْ[2]

* * *

انْطَلِقْ تَفجأُ الخَطرْ كالذي يَفْجأُ الرَّجاءْ
لُعْبةٌ في يَدِ القَدَرْ تَزْرَعُ الأرضَ والسَّماءْ

* * *

جَمْرةٌ أنْتَ تَتَّقِدْ خَلْفَ سِترٍ مِنَ الرَّمادْ
وهي تَذْكُو بِلا مَدَدْ ثم تَغْدو إلى نَفادْ

* * *

أنْتَ مِنْ طَيْفِ القَلَقْ صَاغَكَ اللهُ والجمُوحْ
تَعْشَقُ الأيْنَ والحَرقْ والعَقَابيلَ والجُرُوحْ[3]

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٤٢

١- الآبق: الهارب، الشرود: المطارِد

٢- التعلات: جمع التعلة: ما يُتَّعلل أو ما يُتلهى به.

٣-الأينَ: التعب والإعياء، العقابيل: ما يخلفه المرض من آثار

أَنْــتَ تَرنُــو إلى المُحَــالْ عَاشِــقاً بُعْــدَه السَّــحِيقْ
فــإذا شَــارفَ المَنَــالْ خلْتَــه مِــنْ لُقَــي الطَّريــقْ[٢]

* * *

ضِقْــتَ بالقيــدِ مِــنْ ذَهَــبْ ضِقْــتَ بالأمْــنِ والقَــرَارْ
فَانْطَلِــقْ ثم لا تَثِــبْ عِشَــتْ للخــوفِ والعِثَــارْ[٣]

* * *

١- اللُّقى: ما طُرح وترك لهوانه على الطريق
٢- العِثار: السقوط

حلم قديم*

طَافَ بِي مُستَطلِعاً حُلْمِي القَدِيمْ
فَتَطَلَّعْتُ إليه في وُجُومْ
قلتُ: مَنْ أنْتَ؛ فأغْضَى خَجلاً
قال لي: حُلْمُكَ في العَهْدِ الوَسِيمْ![1]
قلت! يَا حُلْمُ. متى عَهديَ ذاكْ؟
منذُ كَمْ يا حُلْمُ قَدْ طافَتْ رُؤاكْ
قال: لَم يَبْعُدْ بأطيافِي المَدَى
قلتُ: ما أبْعَدَ ما مَرَّتْ خُطَاكْ
شَدَّ يا حُلْمِيَ ما قَدْ حَالَ حِسِّي؟
شَدَّ يا حُلْمِيَ ما أنْكَرتُ نَفْسي!
أتُرى ذاك الذي نَعْرِفُه؟
قال: ما تُبْصِرُ عَينِي غيرَ رَمْسَ[2]!

---

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٥
١- الوسيم : الحسن الجميل
٢- الرمس: القبر مستوياً مع وجه الأرض.

ومَضَى عَنِّي في يأسٍ عَقِيمْ

سَادرَ الخَطْوةِ فِي الأرضِ يَهيمْ[1]

قلت: يَا حُلْمِيَ تمضي مُفْرَداً

ليسَ في الرَّمْسِ سِوىَ قَلْبٍ رَميمْ![2]

* * *

١- يهيم: لا يدري أين يتوجه

٢- الرميم: البالي (فان)

بعد الأوان*

الآنَ والأيامُ مُدْبِرَةٌ، تُوَلْوِلُ بالنُّواحْ
والأفقُ مخضوبُ الأديمِ، وقد تأذَّنَ بالرَّواحْ[١]
أقبلتِ ويحكِ تبْسَمينَ، فأينَ كنتِ لدى الصبَّاحْ؟
وَجهُ الخريفِ، يُطلُّ فاستمعي لإعوالِ الرِّياحْ!

* * *

بَعْثَرتِ أيامَ الشبابِ، فويحَ أيامِ الشبابْ!
لا نستقي إلاّ عَلَى رَنَقٍ وأنفسُنَا غِضَابْ[٢]
لم تَصْفُ كَأْسُ حياتنا يوماً ولا لَذَّ الشرابْ
والآنَ تَنطلقينَ في لَهَفٍ إليَّ وفي ارتقابْ

* * *

عَيناكِ وَالهتَانِ لاَهفتَانِ كلُّهما دُعَاءْ[٣]
وحنينُ مَلْهوفٍ تطلّعَ في قُنوتٍ[٤] للسَّماءْ[٤]

---

* نشرت عام ١٩٤٧م
١- الأديم: بياض النهار.
٢-الرنَق: كدر (الماء المتعكر)
٣- والهتان: متحيرتان من شدة الوجد. لاهفتان: مشتاقتان
٤- قنوت: خضوع وخشوع.

ويحي فأينَ أنا وأينَ حنينُ أيامي الظّماءْ؟!

صَمْتُ الخريفِ يَلُفُّني وعليه شَاراتُ المَسَاءْ!

* * *

ذَهَبَ الزمانُ هُناكَ، فامضي أنت عَنّي

ما عَادَ يُوقِظُني نِداؤكِ خِلْسَة مِن بعد وَهْنِ

ماتتْ مُنَايَ جَمِيعُها، فعَلامَ يَخْدَعُنِي التّمَنّي؟

فَرَقَ الزمانُ طريقَنا، فامضِي وحَسْبُكِ ذَاك مِنّي!

* * *

هَذي خُطَاي على الطريقِ وتلك وَاجِفَةٌ خُطَاكْ[1]

الريح تطْمِسُها فلا خَطْو ولا أثرٌ هُنَاكْ

شَبَحَانِ قد عَبَرا فلم تشعُر بِهذا أو بذاكْ

تَتْلُوهُما الأشْبَاحُ والأيامُ مَاضيةٌ دَرَاكْ![2]

* * *

١- واجفة: مضطربة

٢- دَرَاكِ: متتابعة

الشكوى

لكنها نفسٌ سمتْ فتألّمتْ

والماءُ لا يصفُو الحياةَ لشاربِ

سعادة الشعراء*

دَعْنِي ولا تَنْفُسْ عَليَّ مَواهِبي   خُذْهَا وخُذْ أَلمِي بها وَمَتاعِبي[1]
دعْني فلستُ كما حَسبْتَ مُنعَّماً   بمواهبٍ مَلَكَتْ عَليَّ مَذَاهِبي
أنتَ الخَلِّي فخلِّني وعَواطِفي   آلمتَ وُجْداني فَلَسْتَ بِصَاحِبي
دَعْنِي أعيشُ كما يَشاءُ لِيَ الأَسَى   لا كنتَ مِثْلِي. لادَهَتكَ نَوائبي
إنِي شَقِيٌّ لو علمتَ دَخَائلي   فَدَعِ المظَاهِرَ لا تَرُعْكَ جَوانِبي[2]

* * *

الشِّعرُ من نِعَمِ الحياةِ عَرَفْتُه   وعَرَفْتُ فيه البُؤسَ ضَرْبَةَ لازِبِ[3]
الشعر ذوبُ حُشاشَةٍ مَسْفُوكَةٍ   ألماً وَوَجْداً في حَنينٍ ذَاهِبِ[4]
مَا ضَرَّ قوماً لا تُذَابُ قلوبُهم   شِعْراً وَدَمْعاً مثل قَلْبِي الذائبِ

* * *

الناسُ تَقْنَعُ بالحياةِ وتَرْتَضي   مِنهَا مَحَاسِنَ شُوِّهَتْ بِمثَالِب
والشاعِرُون تَؤزُّهم أدْرَانُها   يَبْغُونَها لم تمتزجْ بِشَوائِبِ[1]

---

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٢٨

١- لا تنفس: لا تحسد

٢- لا ترعك: لا يثير إعجابك.

٣- لازب: ثابت، لاصق.

٤- الحُشاشة: بقية الروح في الجسد.

حِـسٍّ أرقُّ مِـن الأثـيرِ يُهيجُه ما قـدْ تمرُّ عليـه مَـرَّ اللاعبِ[٢]
وهي الحيـاةُ لِمَنْ يَرِقُّ شُـعورُه ألم وأن يُكَثِّـفَ° فَلـذةَ رَاغـبِ[٣]

* * *

مَنْ لِـي إذَا جَنَّ الظـلامُ بَهْدأةٍ كالهادئـينَ وَمَـنْ يُطَمْئِـنُ جَانِبِي
أنـا في الطبيعةِ مُغرمٌ بِمشـاهدٍ تُلَهِـي فؤادِي عـن أعَـزِّ رَغَائِبِي
الليلُ يُشْـجِيني بِرائِـعِ صَحْوِهِ وكواكـبٌ يَغْرُبْن إثْـرَ كَواكبِ[٤]
والبـدرُ يُوحِي لِي بسـرِّ طوافه مُسْتَوْحِشـاً لم يأتنـس بِمُصَاحِبِ
والحُسْـنُ يَدْعُـونِي إليـه فأنثني ويَصُدُّنِـي عنـه بِصَفْقَـةِ خَائبِ

* * *

البائسُـون إذا سَـمِعْتُ أنينَهم أحسسـتُ أن مصابَهم هوَ صَائِبِي
والبَاسِـمُون إذَا شهدتُ ثغورَهم هَاجتْ حَنيـني للصَّفـاءِ الذَّاهبِ
والبعـدُ يُؤذِيـني ورُبَّ مفارقٍ لَـمْ يُـؤْذِه يومـاً تَنائـي غَائِبِ
وكَرَامـةٍ لو مُسَّ منهـا جانبٌ أصْغَرْتُ عيشـي عندَهـا ومَطالِبِي
بَلغَ الحِفاظُ بِها القداسـةَ والتُّقى وحَـذَارِ وَهـمٍ خَاطِـئٍ أو صَائبِ

* * *

١- تؤزهم: تزلزلهم.، أدراها: أوساخها
٢- الأثير: المراد النسيم
٣-يُكثِّف: من كثف يكثف: يغلظ
٤- الصحو: الهدوء والصفاء.
٥- سمتها: أذقتها

يَاليتَ لي نَفســاً إذا مــا سُمْتُها   عَكَرَ الورودِ استرشــدتْ بتجَارِبي[٥]

لكنَّها نفــٌس سَــمَتْ فَتَألَّمتْ   والمــاءُ لا يصفُــو الحياةَ لشــارِبِ

دَعْنِــي أعيــشُ مُعذَّبــاً متألماً   بمواهِبِــي يــا شِــقْوتي بِموَاهِــبي

* * *

سخرية الأقدار*

أغلبُ الظنِّ، وقد تدري الظنونُ أنّهــا ألعــابُ دَهْــرٍ سَــاخرِ
مَاهــرٍ يَهْــزَأُ بالمُسْــتَهزئينَ يبعــثُ النُّكْتَــة عفوَ الخاطــرِ![1]

* * *

وسَــواءٌ أضحكــتْ سُــمَّارَه أم دَهَتْهــمُ بالرزَايــا والمِحَــن
فهــو يُلقِــي أبــداً أدوارَه وهــو لا يُســألُ عن مــاذَا ومَن؟

* * *

يســمعُ الأنّاتِ تشــتقُّ القلوبَ صارخاتٍ كشــجيّاتِ النُّــواحِ[2]
ليكادُ الصَّخْرُ مِــنْ هَوْلٍ يَذُوبُ وهــو يَلْقاهــا بِهُــزءٍ ومِــزَاح!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٢٩

١- عفو الخاطر: من غير تكلّف.

٢- تفجرها، الشجيات: مفردها شجية، وهي المحزنة.

الصديق المفقود!*

ابحثُوا لي ما استطعتُم عن صديقْ فلقــد أعيانــي البحــثُ الكثيرْ!
مخلِــص الطَّبْــعِ له قلــبٌ رَقيقْ خالصُ الإحســاسِ فَيّاضُ الشعورْ

* * *

إنَّ هذَا القلبَ يَهْفُو أبداً
لصديقٍ أصْطَفيه مُفْرَدَا
وأُريدُ الودَّ رَطْباً كالنَّدى
غــيرَ أنَّ الكونَ ذُو طَبْعٍ صَفيقْ[١] نَاضبَ الإحساسِ مَمْسُوخَ الضميرْ
يحقرُ الإخلاصَ في القلبِ الشفيقْ ويَــرى الغــدرَ بإعجــابٍ جديرْ

* * *

طالما هِمْتُ بحبِّ الأصدقاءْ[٢]
وتغنيتُ بألحانِ الوفاء
ساميات كأناشيدِ السَّماءْ
ســكرةٌ عَجْلى ومــنْ ثَــمَّ أفيقْ فــإذا بي ألْمَــسُ الغــدرَ الحقيرْ
وإذا الإخْــلاصُ خَــلاَّبٌ بريــقْ مِنْ سَــرابٍ أو سَنَا بَرْقٍ قَصير[٣]

* نشرت في كانون الثاني(يناير) ١٩٣٠.

١- صفيق: قبيح.

٢- همت: تعلقت.

٣- خلاب: خدّاع ببريقه.

أيهــذا الكــونُ إنْ كنــتَ تُجيبُ!

أيُّ عيــش في حِمي الغــدرِ يَطيبُ؟

ثم مــاذا تَبتغِــي تلــكَ القلــوبْ

غيرَ إحســاسٍ من العطــفِ رقيقْ يَغْمُــرُ الأرياحَ فَيَّــاحَ العَبيرْ[١]

فــإذَا العيــشُ رَجَــاءٌ ووُثــوقْ وإذا الكــونُ رِضــاءٌ وَحُبــورْ

* * *

إنَّ هــذا العطــفَ رَمْــزٌ للخُلودِ

وغِذَاءُ الــرُّوحِ في هــذا الوجُودِ

كلُّ ما فِــي الكونِ لــولاه زهيدْ

ورَحيبُ العيشِ لولا العطفُ ضِيقْ والنعيمُ العَزَبُ مَسْــلُوبُ النعيمْ[٢]

وأرى الإنســانَ بالعطــفِ خليقْ في جحيمِ العيــشِ والعيشُ جحيمْ

* * *

١- فياح : منتشر

٢- العَزَبُ: البعيد الخفي.

ابحثُـوا لي بـيـنَ أطيـافِ الرجـاءِ
عن صديقي ذلـك الطُّهْـرِ البَراءِ
لـن أملَّ البحـثَ لو طَـالَ العَناءْ
ليس هذا اليـأسُ باليـأسِ الحقيقْ فهو لن يُخْبي في نفسـي السَّعيرْ
حِـيرةٌ تائِهـةٌ مـا إنْ تُفيـقْ وهي الوحدةُ أو عَيـشُ القُبورْ

* * *

يا صديقَ الغيبِ يـا طيفَ الأمَلْ
هَاهُنـا قلبٌ مـن الوحـدة مَلْ
ينشدُ الإخلاصَ في قلبِ خَضَلْ[1]
وهو لا ينـوي عِتابـاً لصديقْ حينمـا يُخطـئُ أخْطَـاءَ الغَريرْ[2]
فبحسـبي قلبُه السـمحُ الرقيقْ في فَيـافي العيـشِ إلْفـاً لِـي سميْر

* * *

١- خَضَلْ: عضٌ طري
٢- الغرير: الساذج، عديم التجربة

خراب...!*

أَقْفَرتْ شَـيئاً فَشـيئاً كالبباب   غـيرَ آثارٍ مـن النَبْتِ الهَشـيمْ(١)
باقيـاتٍ ريثمَا يَسْـفَى التراب   فـإذا الكـونُ خَلاءٌ في وُجُـومْ(٢)
* * *

كان ينمُـو هاهُنا النَّـورُ صغيرْ   فـوقَ نبـتٍ لَيِّـنِ العـودِ هَزيلْ
فَـذْوي النَّوْر، ومـا كانَ نَضيرْ   إنمـا المُعْـدَمُ يَرضَـى بالقليـلْ!
* * *

زهرةٌ في إثْـرِ أُخـرى تُحتَضَره   وهْـو يرنُـو ذاهـلاً للزَّهْـرَاتْ
مُلْقَيـاتٍ حولَـه بـينَ الحُفَـرْ   والرِّيـاحُ الهُوجُ تَـدوِي مُعْوِلاتْ
* * *

وإذا الكـونُ حوالَيـهِ خَـرابْ   مُوحِشُ الأرجـاءِ مفقودُ القَطِينْ(٣)
وهو يرنـو في وُجـومٍ واكتئابْ   يكتـمُ العَبْـرَةَ فيـه والأنـينْ
* * *

ويُـدوِّي حولَه صَمـتُ الفَناءْ   حيـث تُمْحَـى كلُّ آثـارِ الوجُودْ
أينَ؟ - لا أينَ! - الأماني والرّجاءْ   طَمَسَ اليـأسُ عليهـا والكُنُودْ(٤)
* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٢

١- الهشيم: اليابس من كلّ شيء
٢- يَسفى: يتطاير، ومنه: الرّيح السّافية.
٣- القطين: المقيم.
٤- الكُنود: نكران النعمة من كَنَدَ النعمة: كفرها وجحدها.

خريف الحياة *

بَكَــرَ الخريفُ فلا ورودَ ولا زهورْ ومَشـــي الركودُ فلا نسيمَ ولا عَبيرْ

صَمَتَتْ صَوادحُها فما تشدُو الطيو رُ بها، وما تشـــدُو الجداوُل بالخريرْ

وسَـــرَى القَفارُ بكلِّ مُخصبَةٍ فَما تجدُ الخصيبَ بهـــا؛ وما تجدُ النضيرْ

والسُّـــحبُ طافيةٌ تُغشّي كالسُّتور وتسـيرُ وانيةَ الخُطا ســيرَ الأسيرْ

فإذا الحياةُ يغضُّ رَونَقها الأســـي وإذا القلوبُ بها كَلِيمٌ أو كَســـيرْ[1]

* * *

والحبُّ! ويحَ الحبّ من هذا البكورِ غامت عليه ســحابةُ اليــأسِ المريرْ

وذوتْ بِجنتــهِ أفانــينُ المُــنى وخَبا بهيكلِ حُســـنِه القبـسُ المنيرْ

وسَها عن التقديس والتسبيحِ في محرابِه العُبّــادُ مَسْــحُورو الدهورْ

ومَشَوا بساحتِه كما يمشي الخليُّ مــن الغرامِ فــلا حنينَ ولا شُـــعورْ

هانتْ شَــعائرهُ ومَسّ ســتورهَ في جُرْأةٍ، غــيرُ المقــدسِ والطّهورْ

* * *

الأرضُ غـــيرُ الأرضِ في دورانِها لتكادُ مِــنْ فَرْط السّــآمة لا تدُورْ

والريحُ غيرُ الريــحِ في جَولانِها لتكادُ تكتــمُ في جَوانِحها الزفيرْ[1]

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- يَغضّ: يتراجع. الرونق: الصفاء والحُسن.

والطيرُ غـــيرُ الطـــيرِ في ألحانِها   لتكادُ تَنْعَبُ بالخـــرابِ وبالثبور[2]

والنـــاسُ غيرُ النـــاسِ في آمالِها   ليكادُ يجثُـــو اليأسُ في تلك الصدورْ

بَكَر الخريـــفُ فويلَه هذا البكورَ   ودنَا المصيرُ فويلَه هـــذا المصيرْ![3]

* * *

١- الجوانح: مفردها الجانحة: ضلع من الصدر والمراد: داخل الصدر.

٢- الثبور: الهلاك.

٣- هنا نداء محذوف: (فياويلهُ)

النفس الضائعة*

أأنكَرْتُ من نفسي أخصَّ شعائري! أأني أنــا؟ أم ذاك رمــزٌ لغابرِ؟
لأنكَرْتُ إحساسي وأنكرتُ منْزَعي وأنكرتُ آمالي، وشتَّى خَواطِري(١)
وأنكرتُ شِعْري وهو نفسي بريئةٌ مُمَحَّضــةٌ مــن كلِّ خِلــطٍ مُخامرِ
وتَفْصِلُني عما مضى من مَشاعِري عهــودٌ وآبــادٌ طِــوالُ الدياجــرِ
وأحســبُها ذكرى؛ ولكنَّ بُعدَها يخيَّــلُ لِــي: أنْ لم تمــرَّ بخاطِــري!

* * *

أُنَقِّبُ عــن ماضيَّ بين ســرائري فألْمحُه كالوهم؛ أو طيف عابرِ(٢)
أعيــشُ بــلا مــاضٍ كأنِّــيَ نَبتَةٌ على السطح تطفُو في مهبِّ الأعاصرِ!
ومــا غابــرُ الإنســانِ إلا جُذورُه فهل ثَمَّ نَبْتٌ دونَ جِــذْرٍ مُؤازِرِ؟
وقد يتعــزَّى المرءُ عن فقــدِ قابلٍ فكيفَ عزاءُ المــرءِ عن فَقْدِ غابرِ؟

* * *

أُنَقِّبُ عن نفسِــي التي قد فقدتُها بنفسِــي التي أحيا بها غيرَ شاعرِ!
واطلبُها في الــروضِ إذ كان هَمُّهَا تَأمُّلــهُ يُفْضــي بتلــك الأزاهرِ
وفي الليل إذا يغشى، وكانت إذا غَفا تيقَّــظَ فيهــا كل غافٍ وســادرِ

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- منزعي: المنزَع: النزوع إلى الغاية والنزوع: الحنين والشوق.

٢- أُنَقِّبُ: أبحث

وفي الليلةِ القَمْراءِ إذْ تَهْمِسُ الرُّؤى وتُوميءُ لـــلأرواحِ إيماءَ ســـاحِرِ
وفي الفجر، والأنداءُ يَقْطُرنَ والشذى يفوحُ، ويُشْجي سَمْعَهُ لحنُ طائرِ[1]
وفي الحبِّ إذ كانت شَواظاً وحُرْقَةً ومَهْبِــطَ آمــالٍ ومَطْمَــحَ ثائرِ
وفي النَّكْبــةِ النَّكْبــاءِ والغبطةِ التي تجودُ بهــا الأقدارُ جُــودَ المُحاذِرِ!
ولكنّــني أيئســـُت أن ألتقــي بها وتاهتْ بــوادٍ غامرِ التيــه غَائرِ
سأحيا إذَنْ كالطيفِ ليستْ تَحُسُّه يــدانِ، ولا يَجْلُوه ضــوءٌ لناظرِ

* * *

١- الشذى : الرائحة، يشجي: يطرب أو يثير إحساساته.

الغد المجهول*

يا ليتَ شِعْرِي، ما يُخبِّئه غَدِي؟ إني أروحُ مع الظنونِ وأغْتدي[1]

وأُجيلُ باصرتي بها وبَصيرَتي أبغي الهُدى فيها، وما أنا مُهتَدِ[2]

حتى إذا لاحَ اليقينُ خلالَها أشفقتُ من وجهِ اليقينِ الأسْودِ

وأشحتُ عنه، ولو أطقتُ دَعَوْتُه وطرحتُ عني حَيْرَتي وتَرَدُّدي

فكأنني الملاّحُ تاهَ سفينةً ويخافُ من شطّ مريبٍ أجْرَدِ!

* * *

ماذا سَيُولَدُ يومَ تُولَدُ يا غدِي؟ إنّي أُحسُّ هولَ هذا المولدِ!

سَيصرّخُ الشكُّ الدفينُ بمُهْجَتي فأبيتُ فاقدَ خيرَ ما ملكتْ يدي

ستروغُ مِنْ حولي عواطفُ لم تزلْ تُضفي عليَّ بعطفِها المُتوددِ

ستَجفُّ أزهارٌ يفوحُ عبيرُها حَولي؛ وينفحني بها الأرجُ النّدي[3]

والمِشْعَلُ الهادي سيخبُو ضؤوه ويلفُّني الليلُ البهيمُ بمفردِي

* * *

* نشرت في ١٩٣٤.

١- ياليت شعري: ليت علمي متحصّل.

٢- الباصرة: قوة الإبصار، البصيرة: قوة الإدراك والفطنة

٣- الأرج: أرج الطيبُ: فاح

ماذا تُخَلّفُ يــومَ تذهبُ ياغَدِي ؟ لاشــيءَ بَعــدِ الفَقْــدِ للمتفقدٌ

«سَــتُخلّفُ الأيــامَ قاعاً صفصفاً تذرُو الرياحُ بها غبــارَ الفدفدِ»[٤]

لامُرتَجى يُرْجى، ولا أســف على مــاضٍ يضيــعُ كأنّه لَــم يُوجَدِ

أبداً ولا ذِكْرى تُجَــدّدُ ماانطوى حتى التــألم لا يعودُ بِمَشْــهَدِى!

رَبّــاه إنى قــدْ سِــئمت تــرددِى فــالآنِ ،فَلْتَقدْمُ بِهولــكِ ياغَدِي

* * *

---

[١] - صفصفاً: المستوي من الأرض لا نبات فيه. الفَدفدُ: الارض الواسعة المستوية لا شيء فيها

غريبا..! *

غريــبٌ . أجــل أنــا في غُرْبــةٍ   وإن حَــفَّ بي الصَّحْبُ والأقرُبونْ
غريــبٌ بنفسِــي ومــا تنطوي   عليــه حَنايــا فــؤادي الحنُــونْ
غريــبٌ وإنْ كَانَ لَمَّــا يــزلْ   ببعــضِ القلــوبِ لِقلــبي حنينْ
ولكنّهــا داخلتْهــا الظنــونُ   وجَــاورَ فيهــا الشُّــكُوكَ اليقينْ
غريــبٌ فَوَاحاجــتي للمُعــين   وواهــَف نفســي للمُخلصِــينْ

* * *

أكادُ أُشــارفُ قفــرَ الحيــاةِ   فأُشْــفِقُ مــن هولــهِ المرعــبِ
هنالــك حيــثُ رُكامُ الفَنــاءِ   يَلُــوحُ كمقــبرة الغيهــب[1]
هنالــك حيــثُ يمــوتُ الرّجاءُ   وتشــوي الأمــاني كالمُتْعَــبِ
فأرْجــعُ كالجــازعِ المُســتطار   أُرجِّــي أمــانيَّ في المَهْــرَبِ[2]
ولكنــه مُقْفِــرٌ أو يــكادُ   فيــا للغريــبِ، ولم يَغْــرُبِ!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الغَيهَبُ: الظُّلمة.

٢- المستطار: الفزِع المذعور

مر يوم *

مَرَّ يومٌ منذُ ما استيقظتُ أمس مَرّ يومْ!
نبأٌ يأباه وِجْداني وحِسّي فهو وَهْمْ
* * *

مَرّ يومٌ؟ قالتْ الساعةُ مَرَّ، قولُ واثقْ!
أسأل الشمسَ: أحقًّا؟ والقمرَ فيوافقْ!
* * *

أهو يومٌ في الرُّؤى لا في الزّمان والحقيقهْ؟
أمْ تُرى يومٌ طواه العَقْربانِ في دقيقهْ؟ [1]
* * *

كيف مَرّ اليومُ! ما هذا العجبُ كيف مَرْ
تَكذبُ الأفلاكُ أمْ حِسّي كَذَبَ؟ أمْ سَحَرْ؟
* * *

لم تكنْ فيه حياةٌ أو أملُ أو تَمَتُّعْ
وهو محْسُوبٌ علينا في الأجلِ فهو أضْيَعْ!
* * *

تَحْسُبُ الأقدارُ بالْكم فلا هي تُفَرّقْ [2]
بينَ يومٍ مَرَّ أو يومٍ حَلا أو تُحققْ! [3]
* * *

ونُؤديها كما تَبْغي الحسابَ وَهْوَ عُمرْ!
فيه من خِصبٍ وفيه من يَبابٍ وهْي تَذْرُو [4]

* نشرت عام ١٩٣٤

١- عقرب الساعة: المؤشر وفيه كناية عن سرعة انقضاء اليوم

٢- بالكم: أي الكمية لا بالقيمة.

٣- مَرّ: من المرارة ضد حلا من الحلاوة.

٤- يباب: خراب

إلى الثلاثين *

إلى الثَّلاثِين نَصِّي! الرِّكابَ حَثيثةً ياليَالِ[1]
مَضي من العُمرِ أغْلى اللُّبابِ فلستُ آسٍ لِغَالِ
مَضى من العُمرِ ما يُستَطابُ مِنَ بَهجةٍ أو جَمالِ
مَضى كما جَاء عَهدُ الشَّبابِ عهدُ المُنى والخيالِ
وضَاعَ في غَمرةٍ واضْطرابِ ومَرَّ دُونَ احتفالِ
فأسرعي ياليَالِ
عَلامَ مِنْ بَعْدِه تُمْهِلينْ؟ وأيّ غيبٍ تَهابْ؟
وما احتفالٌ بِمرِّ السِّنين؟ من بعدِ مَرِّ الشَّبابْ؟
وما الذي ياليالِ يكونُ بعد اكْتِهَالِ الرِّغَابْ
يكونُ – وَاحَسْرتَاه – السكونُ عَلى ضفافِ اليَبابْ؟[2]
يكونُ – كالقيد – عَقلُ رزينٌ! يعطُو لشطّ الصّوابْ![3]
فيَ السُوءِ المآبْ[4]

* نشرت في آذار(مارس) عام ١٩٣٤.

١- نَصي : اظهري من نَص ينصُّ: رفع وأظهر، عَنّ وحدد.

٢- الرّكاب: ما توضع فيه الرِّجل ، والمراد: الاستعداد والتهيئة.
الحثيثة: السريعة الجادة.

٣- يَعطو: يطلّع.

٤- المآب: المصير

فذلك العقلُ رمزُ القيودِ ونحنُ شَرُّ العُنَاه[1]
يَزُودُنا عن مراقِي الخُلُودِ وخَيرِ ما في الحَياةْ
والطيشُ رمزُ الشَّبابِ المُرِيدِ يَسمُو بِنا عَن مداهْ
فنحنُ نَرْنُو لهذا الوجودِ بِفتَنْةٍ وانْتِبَاهْ
فلا نُبالي بِصَرْفِ الجُدودِ ولا نَخافُ الغَداهْ[2]
فكلُّ يومٍ حَياهْ
يُضاعَفُ اليومَ منّي المُصابُ إنْ لَم أعِشْ بالخيالِ
قَضَيتُ - واحسرتَاهُ - الشّبابَ كالكهلِ في كلِّ حَالِ
يجيشُ بالنفسِ سَيْلُ الرّغابِ فلا يُمَسِّي اعتدالي
وَوُجْهَتي في الحياةِ الصَّوَابُ ونظرتي للمآل![3]
عصيتُ أمْرَ الحياةِ المُجَابُ فكان رُشْدي ضَلالي!
فأسْرِعي ياليالِ

* * *

---

١ - العُنَّاه: مفردها عان: الخاضع الذليل.
٢- بصرف: من صرَف الدهر: نَوائبه وحِدثانه. الجدود: الحظوظ والمراد : فلا يبالي بالأحداث التي يخخطها الحظ لنا.
٣- المآل : المصير والنهاية.

خطا الزمن الوثاب *

خُطَا الزَّمنِ الوثَّـــابِ بعضَ التَّوثُّبِ إلى أيـــنَ؟ قد أوْغَلْت في غيرِ مَذْهبِ
تَمُرِّيـــنَ كالأوهـــام لا أسْـــتَبِينُها وتَمضِـــين عَنِّي مَوْكِبـــاً إثر مَوْكبِ
وإني كالمخمُـــور قد غـــابَ وَعْيُه وكالشَّـــبَح الهَيْمانِ في غيرِ مَطْلَب[١]
تشـــابهت الأبعادُ عنـــدي فما أرى أمامـــي فَرقاً بـــين نـــاءٍ ومُكْثَبِ[٢]
ويـــا رُبَّمـــا أنـــس أمُـــوراً قَريبةً وأوغل في الماضـــي البعيد المُنَكِّبِ[٣]

* * *

خُطَا الزَّمنِ الوَثَّابِ. بعضَ التوثُّب طَويت حَيـــاتي بينَ صبُـــحٍ ومَغْرِبِ
قفي لحظةً؛ أنظُـــرْ إلى الأمل الذي ضَمْمـــتِ ثَنَاياه علـــى كلِّ مُعْجِبِ
وأسْـــتَرْجِعُ المَاضِـــي رُويـــداً وَهِينَةً أُداعبُ فيه الطفلَ أو أضْحكُ الصبِّي[٤]
وأسْـــمَعُ أوهـــامَ الفـــتى وخَيالَه كما يَسْمَعُ المُشـــتاقُ ألحانَ مُطْرِبِ
قفي لحظةً؛ أنظُـــرْ إلى الأمل الذي أبَحْتُ له من مُهْجَتِي كلَّ مَشْـــرَبِ
وغَذَّيتُه نَفْســـي، وقَـــدْ بِعْتُ دُونَه حَواضِـــرَ أيامي ومَاضِـــي المُجَرَّبِ

---

* نشرت في تشرين (اكتوبر) عام ١٩٣٧

١- الهَيمان: من هَامَ يهيمُ: خرج على وجه الأرض لا يدري أين يتوجه.

٢- ناء: بعيد. مكثب: قريب.

٣- المنكب: من نكب عنه: عَدَلَ وتنحَّى.

٤- هينة: بطيئاً.

قفي. أنتِ قد جَفَّلتِ مَاضِيَّ فانزوي   ونَفَّــرتِ آمالي وعَمَّيْــتِ مَآرَبِي[1]

* * *

تَمرَّين يــا أيــام قَفْــراءَ؟ أمْ أنا   خَويتُ من الإحساس؟ قُولي وأطنبي[2]

وأحْسَــبُ أنْ لَن تُعْــربي بِمقالةٍ   إذا كان سَمْعي لا يصيخُ لُمْعرِبِ![3]

* * *

١- جفلت: طردت. مآربي: حاجتي الشديدة

٢- خويتُ: من خوى المكان : خلا مما كان فيه. أطنبي: أطيلي .

٤- تعربي: توضحي وتبيني

نهاية المطاف *

تَنْشُـــدُ السُّـــلْوَانَ من حُبٍّ عَقِيم   وتـــرومُ الْبُـــرءَ مـــن دَاءٍ قـــديم
ها هُو السُّـــلوانُ فانْظُـــرْ: أتَرى   شَارَةَ الموتِ على تلكَ الرُّسُومْ؟[١]
شَـــاه في خاطِرِك الكـــونُ وماتْ   وتَخَلَّتْ عنـــك أحْلَى الذِّكْرَياتْ[٢]
وبَـــدَا العُمْـــرُ حَزينـــاً عَاطِـــلاً   كامِدَ السَّـــحْنَة مَجفُوَّ السِّـــمَاتْ
قَدْ مَضَـــى الحُلْمُ، فحقِّق في العَيانْ   هل تَرى إلاَّ خـــواءً في الزَّمَانْ؟[٣]
وتهاويلُ الـــرُّؤى... يـــا ويَحها!   غالها الصَّحْوُ فماتـــتْ مُنْذُ كَانْ![٤]
نَـــمْ قَرِيرَ العـــينِ إنْ كنـــتَ تَنامْ   لَفَّكَ الصمـــتُ وغَشَّـــاكَ الظَّلامْ
يَأمَـــنُ الدُّنيَـــا ويَخْلُـــو لِلكَرى   مُعْـــدَم الكفينِ مَفْقُـــودَ الحُطَامْ![٥]
قَدْ خَلا الهيكلُ مـــن وَحْي الصنَّمْ   وغَدا معبـــودُكَ الأسْـــنَى حُطَمْ[٦]
أتُطيـــقُ الآنَ تَحيـــا مُلْحِـــدَا   أم تُـــرى تَخلُـــو لشـــيطانِ النَّدَمْ
ضِقْتَ بالخوفِ ودُنيا الاضطرابْ   أتَـــرى الأمْـــنَ هُنا بـــينَ اليَبَابْ؟

---

* نشرت في آب (أغسطس) عام ١٩٤٥

١- السلوان: من سلا يسلو: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

٢- شاه: قبُح

٣- خواء: من خو يخوي: خلا مما كان فيه . والمراد الفراغ

٤- غالها : أهلكها

٥- الحطام: متاع الدنيا.

٦- الأسنى: الأعلى

أيهـــا المنكـــوبُ في أحْلـــى المُنَى الحياةُ الحـــبّ والحُـــبّ العَذابْ!

ضِقْـــتَ بالقيدِ! فها أنـــتَ طلَيقْ! ما يُبَاليـــكَ إذن حَـــادي الرّقيقْ!

فَهُـــو يُخْلِي في الفيافِـــي كلَّ مَنْ لا يُســـاوي ثَمَنَ القيـــدِ الوَثيقْ![1]

عُمْـــرُكَ الفَـــارِغُ كالثِّقْـــلِ زَهيدْ ليس فيـــه مِنْ طَريـــفٍ أو تَليدْ[2]

وهـــي الأيـــامُ تَقْضِـــي مِثْلَمـــا تَنْقَضِـــي أيـــامُ مَأجُـــورٍ شَـــريدْ

أيـــنَ أحْلامُكَ بالعُـــشِّ الجميلْ؟ أيـــنَ آمَالُـــك في الظِّـــلِّ الظَّليلْ؟

قَـــدْ مَضَـــى الحُلْمُ ووَلّـــى مُوهِنَا فاركَـــنْ الآن إلى الصَّحوِ الطَّوِيْل!

تَمّـــض يا منكودُ ما كنـــتَ تَرومْ ومَشَى السُّـــلوانُ في الحبِّ القديمْ

نَـــمْ قريـــرَ العَينِ واهنَـــأ بالكرى الكَـــرى المَيِّتِ في القلـــبِ العَقيمْ!

* * *

١- الفيافي: الصحراوات

٢- طريف أو تليد : حديث أو قديم

الحنين

كانَ ، والمؤلمُ في (كانَ) الفَناءُ !

حيث لا رُجعي ولا طيفُ أملْ

عهد الصغر *

إذا الليـــل جَـــنَّ تجيـــشُ الفِكَـــر   ويُـــؤرّقُ جَفْنِـــي مَـــرُّ الذِّكَرْ(١)
ويخلُـــو فـــؤادِي لأحلامِـــه   فيجعـــلُ منهـــا حديثَ السَّـــمَرْ
وتَخْلُـــدُ رُوحـــي إلى الذكريات   فَتَسْـــري تبَاعـــاً سِـــراعاً تَمُـــرْ
فآنـــاً تُـــؤزُّ وآنـــاً تَلـــذُّ   وآنـــاً تَسُـــوءُ وآنـــاً تَسُـــرْ(٢)
هـــدوءٌ طويـــلٌ وصمـــتٌ رهيبٌ   وفي النَّفْس أشـــجانُها تَشْـــتَجِرْ
إذا مـــا ذَكَـــرْتُ زمانـــاً تَقَضَّـــى   بديـــعَ الرُّسُـــومِ جميـــلَ الأثـــرْ
تـــراءى لِنَفْسِـــي عهـــدُ الصِّغَـــرِ   فتشـــتاقُ نَفْسِـــي لعهـــدِ الصِّغَرْ
لعهـــدِ الرِّضَـــاء وعهـــد الحُبورِ   وعهـــدِ الصَّفَـــاء القليـــلِ الكَدَرْ
أنـــامُ وأصْحـــو علـــى ما أشـــاءُ   طـــروبَ الفـــؤادِ قريـــرَ النَظَرْ
وتصحُـــو الغزالـــةُ مِـــن خِدْرِها   فتزهُو الـــورودُ ويحيـــا الزَّهَرْ(٣)
وتبـــدو الرِياضُ ريـــاضُ القُرى   بوشـــيٍ جميـــلٍ ووجـــهٍ نَضِـــرْ
ويَسْـــجَعُ فيهـــا الحمـــامُ طروباً   وتشـــدُو البلابلُ فوقَ الشـــجرْ

---

* نشرت في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٨

١- تجيش الفكر: تتدافع وتتدفق الأفكار.

٢- تؤز: تزلزل بشدة.

٣- الغزالة: يقصد بها الشمس

رعى الله عهداً جميلاً تولَّى وخَلّفَني للأسى ثُمَّ مَرْ
وأسْلَمني لِصعاب الأمور وكيدِ الصُّروفِ وطولِ السَّهرْ

* * *

ألا يَا رَعى الله عهدَ الصِّغَرِ ألا يا لحا الله عهدَ الكِبَرْ[1]
فذلك عهدٌ صبَوحٌ أغَرْ وهذا عبوسٌ ظَلومٌ قَتِر

* * *

١- لحا فلاناً: قبّح فلاناً.

جولة في أعماق الماضي*

حَدِّثَــاني بمــا مَضَــى حَدِّثَانِــي وأعيــدَا إليَّ عَهْــدَ الأمانــي
واذكــرُا لي زمانَ عشــتُ طَروباً لا أُبــالي بحادِثــاتِ الزمــانِ
وصِفَــا لي لياليــاً قَــد تَقضَّــتْ كنتُ فيهــا كالحالِم الوَسْنَانِ
صَوِّرَا لي الريــاضَ والزهرَ والوردَ ولحنَ الطيــورِ عَــذْب الأغانِي
وأعيــدَا لِمَسْــمَعِي ذكريــاتٍ لا تَصَــدَّى لهــا يــدُ النِّسيانِ
واسمَحَــا لي بزفــرةٍ وحَنــينٍ ليس لي سَلوة سِــوى التحنانِ[١]
واغفــرا لي دُمــوعَ عيــني فــإنِي لأرى الدمــعَ فــوقَ كل بيــانِ
إنَّــه النَّفْــس رُقِّقــتْ ثم سَــالتْ أو هــو القلبُ ذَائبــاً من حنانِ
وأقــلُّ الوفــاءِ للعهــدِ ذِكْــرى هي خيرٌ مــن حاضــرِ الأزمانِ
وقليــلُ عنــد التذكُّــر شــوقٌ ودُمــوعٌ تُكــنُّ أسْــمى المعانِي
إنّ ذِكْــرى القديم للنَّفْسِ تُؤسِــي وتُهيِّــجُ الشُــجونَ للوجــدانِ
وهُــو واللهِ بعــضُ أجزاءِ نَفْســي باعــدتْ بينهــا يَــدُ الحَدثَانِ[٢]
فاذكُــرَا لِــي القديم همســاً ورفقاً ودَعَــانِي أجيــشُ لا تَعــذلانِ

---

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٨، ثم نشرت في آذار (مارس) بعنوان (سبحة في أغوار الماضي)

١ – التحنان: الحنين الشديد، أو الرحمة

٢ – الحدثان: الليل والنهار

يـا ديـاراً نَشـأتُ فيهـا صبيًا وصَحِبتُ الشبـابَ في العُنفُوَانِ
لـكِ مـني تحِيـةٌ وسـلامٌ أنـتِ دارُ النعيـمِ والرِّضْـوانِ
فيـك يـا دارُ من صِباي رسـومٌ زاهيـاتُ النقـوشِ والألـوانِ
هـي عندي أعـزُّ من كلِّ شـيءٍ وهـي تبقـى وكلُّ ما عَـزَّ فَانِ
فيـك يـا دارُ من هَواي رَسـيسٌ وألـذُّ الهوى هـوى الشُّبانِ[1]

* * *

فهو رَوضُ الحيـاةِ في ذلكِ الحينِ وفيـه القُطـوفُ شـتى دَوانِ
وهو وحي من جانـب الله يُوحي وهـو سـرُّ الإلـه في الإنسـانِ
مـا أرى العيشَ غـيرَ حبٍّ بريءٍ مـن ذميـمِ الأهـواءِ والأدْرَانِ
رُبَّ يـومٍ قضيتُـه في حُبـورٍ بـين جمـعٍ من صفـوةِ الخِـلاّنِ
دونَـه الدهـرُ والحيـاةُ جميعـاً في رِضـاءٍ ومتعـةٍ وامتنـانِ

* * *

إن تلـك الحيـاةَ شـيءٌ عجيبٌ وهـي النَّفْـسُ كلَّ يومٍ بِشَـانِ
كيـف كان الربيـعُ ثوبـاً بهيجاً وهـو اليـومَ نَاصِلُ الألـوانِ؟[2]
ها هـو الروضُ والـوردُ والزهرُ وهـذا الحَمَـامُ مـن فـوق بانِ
لا أرى الـوردَ غير جذرٍ وسـاقٍ أو أُحِـسُّ الغِنـاء عذباً شَـجاني

١- رسيس من رسّ يُرسّ رسيساً: دخل وثبت المراد: أثر باق ثابت.
٢- ناصل الألوان: زالت ألوانه من نَصل اللون : زال اللون

إنَّمــا النَّفْـسُ حين تَصفُـو تَراها   خلعــتْ صَفْوها علــى الأكوانِ

وهــي النَّفْسُ حــين تَغْبَــرُّ يَبْدُو   كلُّ نــورٍ أمامهــا كالدُّخَــانِ

لو تســاوى الإحساس في كلّ آنٍ   تتســاوى الأشــياء في كلّ آنِ

عَمَّــرك الله مــا المحاسِــنُ إلا   صــورةُ النَّفْــسِ في بديــع افتنانِ

وكــذا القُبْحُ صورةٌ قــد تَراءتْ   في خيــالٍ فحُققــت للعيــانِ

فرعــى الله عهــدَ أُنــس أراني   صــورةَ الكَونِ في جمالِ الحســانِ

وَرَعــى الله خــيرةً ورفاقــاً   ورَعَــى الله أربعــاً ومَغــاني[1]

* * *

١- أربعاً: مفردة ربع، والرَّبع محلة القوم ومنزلهم وقد يطلق على القوم مجازاً. المغاني: المنازل

الماضي*

شَبَحُ الماضي وما الماضي سوى بعض نَفْسي قَد تولاَّه العَدَمْ
يَتراءى كُلَّما شَطَّ النَّوى فإذا الذكرى شُجُونٌ وألمْ
وإذَا الكَامنُ في نَفْسِيَ ثَارَ
جَائشاً مُضْطرماً
كالجحيمْ
كُلَّما أقْبَلَ يومٌ ومَضَى أَوْغَلَ الماضي بمجهول سَحيقْ
ذاهباً عني كبرق أوْمضَا ثم دَوَّى بعدَه الصمتُ العميقْ
وهو صمتٌ تحته صَخَبٌ مُثَارُ
وحنينٌ أُضْرِمَا
ووجُومْ
آه لو ملكتُ تصريفَ الزَّمن كيفمَا أهوى وأنِّي أَرْغَبُ
لرجعتُ الدَّهْرَ للماضي إذَنْ فإذا بي حيثُ كُنَّا نَلْعَبُ
ورفاقٌ ليِّنو العودِ صِغارْ
ليس تدري الألَمَا
والهُمُومْ
زَهَرَاتٌ نَضرَاتٌ باسماتٌ تلمح الغبطة فيها والرضاء
مَرحَاتٌ مَشرقاتٌ لاهياتٌ لا ترى في الكونِ إلا ما تَشَاءْ
فَهْوَ روضٌ زَاهرٌ دَاني الثِّمارِ
وَهْيَ نورٌ قد نَمَا
في الكُرومْ

تَتَساقى الودّ مِنْ غيرِ انْتباه فإذا العيشُ سرورٌ وفَرَح[1]
وإذا الكونُ وما فيه حَيَاه تتبدّى في نشاطٍ ومَرَحْ
تلك أيامٌ طويلاتٌ قِصَارٌ
في زمانٍ بَسَمَا
ونَعِيمْ
أينَ مِنّي ذلك العهدُ الوَسِيمُ أينَ مِنّي بعضُ أيام الصِّغَرْ
إنّها مَرّتْ كما يهفُو النسيمُ فَيُحَيي ويُحييه الزّهَرْ
ذهَبَ الماضي وأعيا الانتظارُ
وهو يعدُو قُدُما
كالظّليمْ[2]
أيُّها الماضي رُويداً في خُطَاكَ فعلامَ اليومَ تَمْضي مُسْرعاً
إيه مَهْلاً حَسْبُنَا طولُ نواكَ وبِحَسْبِي مِنْكَ أن لن تَرْجِعَا(١)
لَجّتْ الذكرى ولم يبقَ اصطبارُ
وستغدُو عَدَماً
لا يدُومْ

* * *

١- تتساقى: تتبادل الشراب
٢- كالظليم: ذكر النعام.
٣- نواك: فراقك.

رثاء عهد *

أأنــا أرثيــك يــا عَهْــدَ المُنَى؟ أأنــا أرْثيــكَ يــا عهــدَ الوَفَاءِ؟
أنْــتَ يَــا عَهْــدُ أأرْثيــك أنَا؟ لا. فَلَــنْ أقْوى على هــذَا الرّثَاء!

* * *

لا. ولَنْ يَجــرى على الطِّرْس قلمٌ لا. ولَــنْ تُعْلِــنَ هَــذَا كَلِمَاتْ(١)
أرِثَــاءٌ؟ أغَــدَا الماضِــي عَــدَمٌ؟ أو هــل يَغْــدُو رَهينــاً بِفَواتْ؟

* * *

رَبِّ . حقٌّ ذاكَ أمْ هاجِسُ سـوُءِ يَنْفُــثُ الهــمَّ بِنفســى والقَلَقْ؟
أمضَى عهــدٌ هو العمــرُ الهنيءُ؟ أو حــقٌّ ذاك يــاربٌّ أحَــقْ؟

* * *

أوَ عهــدٌ هــو رَيَّــا مُهْجَتَــين وهُو سَــارٍ في الحنَايَا والشِّعَاب(٢)
يَنْطَــوِى كا لــبرقِ في غَمْضَة عينٍ ثم يبــدُو لا ئحاً مثْل السَّــرَابْ؟

* * *

أوَ يغــدو ذلــك العهــدُ الوسـيمُ حُطَماً تَلْهُو به أيــدى الفَنَاءْ؟
زَهْــرَةٌ في الكُــمِ تَلْقَاهَــا هَشــيِمْ ونعيماً وَادِعاً يَضْحَى شِــقاء(٣)

---

* نشرت في أيلول (سبتمر) ١٩٢٩.
١- الطرس: الورق الذي يكتب عليه
٢- ريّا مهجتين: ما يروى قلبين.
٣- الكم: البرعم. الهشيم: عشب جاف.

أهُنَــا مَثْــواكَ يــا عهــدُ. هُنا؟ أهُنا يــا عهد أقْصَــى خُطَواتك؟

وإذَا أدْعُــوك يــا عهــدَ المُنَــى لَم تُجِبْ دَاعيكَ من بعدِ وَفَاتكْ؟

* * *

وإذَا قَلّبْــتُ يــا عهــد يــديَّ حســرةً قاتِلــةً أو لَهْفَــا

أتُــرى تَرنُــو بإشــفاق إلَيَّ أم تَــرُدُّ الطَّرْفَ عَنّــى صَدْفَا؟[١]

* * *

ولو أنى اســطعتُ يا(عهــدُ) الرّثَاءْ بعدَ إذ يَمْضِى من العمرِ ســنينْ

فبــأي القــولِ أســطيعُ الوَفَــاءْ وبــأيّ الدمــعِ تُذْريــه العيونْ؟

* * *

أنْتَ جــزءٌ من فؤادِى قَــدْ فقدتُه ما غَنَاءُ القــولِ في صَدْعِ فُؤادْ؟

أو غَنَــاءُ الدّمْعِ في مــاضٍ عَدِمْتُه هو أغْلَى ما أُرَجّــى مِنْ تلادْ؟[٢]

* * *

آه يــا عهــدُ ومــا آلمَ آهُ وهي ذَوْبُ النفــسِ لا رَجْعُ أنِينْ

أُغــربِي عَنّــي بعيــداً يــا حَيــاهْ لا يطيــقُ العيشَ منكــوبٌ حزينْ

* * *

١- صدَفا: من صَدَفَ عنه يَصدفُ: أعرض ومال، وصدف فلان عن الشيء: صرفه.

٢- تلاد: المال الأصلي القديم والمراد: الأصالة

عهد ذاهب؟!*

عُــزَّ حــتى لَتُوقِيــه العيــونُ وتَفْديــه الأمَــاني والقُلــوبْ
وتَســامَى عَــنْ مَنــالاتِ الظُّنونِ وبَــدَا كالخُلْد مَأمــونَ المَغيبْ
لا تَراه النفسُ إلاّ بَاقيا
أبدَ الدهر قويّاً وَاقيَا
طاهرَ الأرْدَانِ عَفًّا سَاميَا(١)
كالرجاءِ العَذْبِ في الذِّهن الخصيبِ زَاخِراً مَــا إنْ يُرائِي أو يَخيبْ
هُــو عَهــدٌ صِيغَ مِــن حُــبٍّ نَقيٍّ وسُــمُو فوقَ إحْســاسِ البَشَرْ
وَوِقــاءٌ ســابغُ الغيــضِ نَــدِيٌّ وحَنــانٌ مِثــلَ أرْواحِ الزَّهَرْ(٢)
صَوَّرتْه ساعةَ العَطْفِ السَّماءْ
ورعتْه يدُ أمْلاكٍ بَراءْ
فغذته بأفاويقِ النَّقَاءْ(٣)
وتَجلَّــى الغيــبُ عَنْــه فَســفَرَ في جَــلالٍ وجَمــالٍ مُزْدَهِــرْ
كَانَ. والمُؤلْــمُ في (كَانَ) الفَنــاءُ! حيثُ لا رُجْعَــي ولا طيفُ أمَلْ
وَرَمَــاه بَغْتَــةً سَــهْمُ القَضَــاءِ فَتَراخَــى في انحــلالٍ واضْمَحلْ

---

* نشرت عام ١٩٣٠.
١- الأردان: مفردها رِدن: وهو طرف الكُمّ كناية عن الطهارة العامة.
٢- الغيض: القليل.
٣- أفاويق: مفردها، الفيقة: اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين والمراد به أطيب الطعام وأطهره.

وتَراءى بَعدَ حِينٍ خَاليًا

من رُوَاءٍ كان فيه حَاليًا[1]

مُوحِشَ الأرجَاء يبدُو خَاويَا

غـاض مِنـه كلُّ أُنْـسٍ وارتَحَلْ مِثْلَما يَخْلُـوُ من الأهلِ الطَّلَلْ[2]

أيُّهـا العهـدُ الـذي مَـرّ. ودَاعاً هـو ذوبُ النفسِ أو فيضُ الألَمْ

سـوفَ تَبْقَى أبـدَ الدَّهْرِ شُـعاعاً في ضمـيري يَتَـراءى في الظُّلَمْ

سوف أبْكيكِ بُكاءَ الثَّاكِلِ

وأروّيكَ بِدَمْعي الهاطِلِ

وأُناجِيكَ بِقَلْبي الذَّابِلِ

طَالَمـا أحْيَـا فَأمَّـا يَنْصَـرِمْ ذَلِـكَ العمـرُ تولاّنـا العَدَمْ

* * *

١- حالياً: مزيناً

٢- الطلل: بقايا الدور

السعادة حديث الأشقياء *

إيــه حَــدِّثْ عــن السَّــعادة إني قد مللتُ الشَّــقَاء كلَّ الشَّــقاءِ
أطلِــعِ الصبُّــحَ في حَديثِــك يجلو بعضَ هذا الأســى بفيضِ الضيِّاءِ
يا أخــي ضَاقَ بالحــوادثِ ذَرْعي وسَــئمتُ الشَّــكاةَ مِنْ بَأسائي
ومَللــتُ الحديــثَ فيهــا فحدِّثْ أنتَ يــا صَاحِبي حديــثَ الهَناءِ
إنَّ بعــضَ الحديثِ يُدنِــي الأماني بخيوطٍ – وإنْ وَهتْ – مِنْ رَجاءِ

* * *

أبْعــثُ الطّــرْفَ في الفَضــاءِ مَليًّا فأرى الأفــقَ ضيقــاً في الفَضاءِ
والصبــاحُ الوديعُ ما عَادَ يَسْــري لفــؤادي كمــا سَــرَى بالرِّضَاءِ
والربيــعُ الأنيــقُ ما عَــادَ يُذكي فِــيَّ وَمْــضَ الحيــاةِ كالأحياءِ
والجمالُ الذي يَشيعُ في النفسِ رُوحاً عــادَ مَيْتــاً مُعَطّــلَ الإيحَــاءِ
هــي نفسٌ أحالــتْ الكــونَ قَفْراً فتــراءَى مُعطــلاً مِــنْ وَرَاءِ
هــي نفــسٌ تَحطَّمَتْ يالنفســي هي دَائِي فلســتُ أرجو شِــفَائِي

* * *

يا أخي ثارتْ الشَّــجُون وهاجتْ حُرقَــاتي وأيقظــتْ لأوائــي(١)
يا أخِي هَاتِ مِــن حديثِك. صَوِّرْ في خَيــالي مَلامِــحَ السُّــعَدَاءِ
كيــفَ يَحيَــون غبْطَةً وابتســامًا كيــفَ يرضَون للأمانــي الوِضَاءِ
أو فأمْسِــكْ فــكلُّ شــيءٍ مُثيرٌ لشُــجُونِي. وخلِّــنِ وشَــقَائِي

* * *

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٠

١- الأواء: الشدّة والألم.

وحي الريف

ياريف تدعوني إليك ؛ إنني

للمستطار إلى لقاكَ الظامي

ليالٍ في الريف *

مِـنْ حنينِ الفـؤادِ؛ مِـن خَفَقَاتِه ذلك الشِّـعرُ، من صَدى زَفَرَاتِه
وَسِـعَتْه الألفـاظُ وَزْنـاً ومَعْنَـى ثم ضاقـتْ عن رُوحه وسِـمَاتِه
هُـو وحـيٌ لذكريـاتٍ حِسَـانٍ أوْدَعَ الخُلْـدُ بينهـا ذِكْرَياتِـه
وليـالٍ يَـا حُسْـنَها مِـنْ ليـالٍ يَشْـتَرِيها مُخلّـدٌ بحياتِـه
هَمسَ الصمـتُ بينها هَمسَـاتٍ خَفَّـضَ الكونُ عِنْدهـا خَفَقاتِه
وسَـرى البدرُ مُغْمِضَ الجفنِ وَسْنَا نَ كَطَيْفٍ مُسْـتَغْرقٍ في سُـباتِه

* * *

يـا جمـالاً بريـفِ مصـرَ قريراً هـادِىءَ البالِ في خُشـوعٍ وَقُورِ
لسـتُ أنسـى فيكَ ليـاليَ مرتْ هُنـاّ أطيـافُ عهدِنـا المأثُـورِ
حينَ نَسْـرِي والبدرُ يَنْشُرُ ضوءاً فوقَ سـهلٍ كالعَيْلَمِ المَسْجُورِ[1]
بينمـا الزهـرُ حـالمٌ في رُبْـاه وغُصـونٍ مُهَـدَّلاتِ الشُّـعُورِ
وخريـرُ الأمـواه سَـاجٍ رتيبٌ مثـلَ شَـدْوٍ في عَالَمٍ مَسْـحُورِ
ونَجـيٌّ مـن الرِّفـاقِ بِهَمْـسٍ وحديثٍ مُسْـتَعذَبٍ مِنْ سَـميرِ
قَـدْ وَعَـى الدهرُ هـذه الليلاتِ ووعينـا آثارَهـا الباقيـاتِ

---

* نشرت عام ١٩٣٣

١ – العَيلَمُ المسجور: البحر المملوء

فهي ذِكْــرى تَوشَّــجَتْ بنفوسٍ   حانيــاتٍ لطيفِهــا رَاجِفَــاتِ[3]
ســوف تُعييه رُقْيــةٌ مــن خُلُودِ   عوّذَتْهــا الفنــاءَ والحَادثات.![4]
هذه مَسْــكَةٌ مــن الأبــد البَاقي   المعهــودِ قبــلَ خَلْــقِ الحيــاةِ
ذَخَرَتْهــا الأحقابُ حــتى اجتمعْنَا   فأبيحــتْ فمالَهــا من فَــوَاتِ

* * *

١- ساج: ساكن هادئ.
٢- نجيٌّ: من النجوى: الحديث الخافت بين الرفاق.
٣- توشجت: ارتبطت برباط قوي.
٤- عوّذتها: حصنتها

العودة إلى الريف *

مَهْدَ الرَّجَـاءِ ومَهْبِـطَ الأحلامَ وطَـنى عليـك تَحيتي وسَـلامي
يا ريف فيـك من الخلـودِ أثَارَةٌ تنسـابُ في خَلَدي وفي أوْهامي[1]
وتردُّ إحْسَاسـي إليك إذَا خَلَتْ نفسـي إلى الآمـالِ والآلام
وكأنَّني المسـحورُ يَقْفُو سَـاحِراً في بُهْـرةٍ كالطائـفِ النّـوام![2]

* * *

إني فقدتُـكَ في الطفولـةِ غافلاً عَمّا حَوَيتَ من الوُجُودِ السّـامي
لكن وجدتُـك إذ كبرتُ بخَاطري رمـزاً أُحيـطَ بغَمْـرةِ الإبهـام
وتكشـفتْ نَفْسـي فلُحتُ كأنما نَفْسـي وأنْـتَ جُمِعْتُمـا بتُؤام[3]
ووجدتُ أَحْلامـي لديكَ وَضيئةً لم تُبْـلِ جِدَّتَهـا يـدُ الأيـام
واليومَ عُدتُ إليكَ أَحْسَـبُ أنني طـيرٌ يـؤوِّبُ بعـدَ جَهـدٍ دَام
يا ريـفُ تَدعُوني إليـك؛ وإنني للمسـتطارُ إلى لقـاكَ الظّامـي!

* * *

هـذا الهـدوءُ كأنّما هُـو عَالَمٌ في الوهـمِ، لَـمْ يَتَبَـدَّ للأقـوام
وكأنّه الحُلُـمُ الجميـلُ يَحوطُهُ صمتٌ كصمتِ العابدِ المُتسـامي
وتُحُس بالسـرِّ العميـقِ تَخالُهُ يُضْفـي علـى الأيقـاظِ والنُّوام

---

* نشرت عام ١٩٣٣
١- أثارة: بقية
٢- في بهرة: في دهشة.
٣- بتؤام: التؤم: الصَّدَف، التُؤامية: الدُّرَّةُ

ويلوحُ في وضـــحِ النهارِ ويَنْطَوي ما بينَ طيـــاتِ الظَّـــلامِ الطَّامي[1]
هو ذلك السِّـــرُ الـــذي مِفْتَاحُه ضُمَّـــتْ عليـــه جَوانِـــحُ الأهرامِ

* * *

إني أجـــولُ بِخَاطـــرٍ مُتنقـــلٍ في حيثمـــا امتـــدَّ البســـيطُ أمامي
فـــإذا مَواكِـــبُ للجمـــالِ وَديعةٌ جمَعَـــتْ طرائفَهـــا يَـــدُ الإلهـــامِ
للطيرِ فيهـــا، للأزاهـــرِ، مَوْكِبٌ للنـــاسِ، للحشـــراتِ، للأنْعـــامِ!
متآلفِين، سَـــرى الرِّضَا لنفوسِهِم فيما اغْتَذَوا من مَشْـــرَبٍ وطَعامِ!
كلٌّ يرجِّـــعُ للطبيعـــةِ لَحْنَـــه في ذلك الوادي الخصيـــبِ النَّامي
وهُنـــا الطبيعـــةُ كالغريـــرة إنمـــا وَرِثَـــتْ وقَـــارَ أُبـــوّةٍ مُتَـــرامِ![2]
تَلْهُـــو، ولكـــن في بـــراءةِ طِفْلةٍ مـــن نَسْـــلِ آلهةٍ غَبَـــرْنَ كِـــرَامِ!
عَبَدتْهـــم الأوهـــامُ في غَمَراتِهَـــا وانـــدسَّ بعضُ الوهـــمِ في الأفهَامِ
وتَوارثَتْـــه طبيعَـــةٌ خَلَـــدَتْ بهـــا مصـــرٌ علـــى كَـــرٍّ من الأعـــوامِ
يا ريفُ مِصَر، وأنت سِـــرُّ بَقائِها اســـلَمْ، فَدَتْكَ مَواهِبي وخُطَامي.

* * *[1]

1- الطامي: الشديد .
2- الغريرة: الساذجة من غير تجربة.

الليالي المبعوثة*

بعد عام كاملٍ من الليلات الأولى عاد الشاعرُ إلى الريف، فقضى فيه ليلات مثلها، في جوٍّ نفسي مُماثل، وبين رِفاق هم الرفاق، وكان عدد الليلات الأولى والثانية مُتحداً.

أَهُــو البعــثُ ياليالِــي الخُلودِ؟ أمْ تُــرى أنتِ نَفْخَــةٌ من جديدِ؟
أم تُــرى صــورةٌ منــك صِيغتْ بَــين وَحــي الإِلْهــامِ والتجويدِ؟
يــا ليالّي مــا أراكِ سِــوى أنتِ كمــا كنــتِ مــرة في الوجودِ!
ها هُنــا والزمــانُ يَحْلُم وَسْــنَا نَ سَــعيدٌ لهــا بِحُلْــم سَــعيدِ!
ورَنَــا البــدرُ في حَيــاءٍ وَديــعٍ وهــو راضٍ رِضــاءَ طفــلٍ وَليدِ
ورِفاقــي هــم الرِّفاقُ، ونَفْسِــي هي نفسِــي، وعَالَمي؛ وعهودي!
مــا أرى مَعْلَمــاً تغيَّر أو رَسْــماً مَحَتْه يــدُ الزمــانِ الكَنُــودِ[1]
أنــتِ ليلاتُنــا! فَقُصّــي عَلينــا كيــف أفْلَتِّ من زمــانِ القيودِ؟

* * *

قَــدْ تسـللنَ خِفْيــةً في الظلامِ بينما الدهــرُ سَــادِرُ الأوهامِ![2]
ثم وَافيِنَنَــا وهُــنَّ سُــكَارَى حالمــاتٍ أَغْرِقْــنَ في الأحــلامِ
هامســاتٍ لَنا. لقد بُعِــثَ العَهْدُ فهيــا مِــن كُلِّ لَهفــانَ ظَــامِ[3]

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الكنود: يذكر المصيبات وينسى النعم.

٢- سادر: لا يهتم ولا يبالي بما صنع والمراد حائر الأوهام

٣- اللهفان: المتحسر.

فأجبنَــا دُعاءَهــنَّ ســراعاً وخلَعْنــا دُنيا الحجــا والحُطام[1]
ورقينا مَـدارجَ الخُلْـدِ والكَونُ مُسَـجًّى في غَفْلَـةٍ وظَـلامِ
ها هُنا كنــتُ منذُ عــامٍ! ولكن يــا لنتفســي! فها هُنــا أيّ عامِ!
مــا أرى للزمــانِ رسمــاً! فهذا كلُّ شــيءٍ هُنــا كرمزِ الــدّوام
إيــه ليلاتِنــا، أعيــدي علينــا قصة الخُلْــدِ، فالأماني ظَــوام[2]

* * *

خَيَّــمَ الليلُ في خُشُــوعٍ رَهيبٍ غير لمحِ الرؤى، وخَفْــقِ القُلوبِ
وسَــرينا نرتــادُ سِــرّض الليالي وهــي تُفْضِــي بسِــرِّها عجيب!
ومَتاعــاً مِــنَ الحيــاةِ نَفيســاً ضَمَّنَتْــه آلافُ عهــدٍ خَصيــبِ
قَــد رَشَــفْنَا خلاصةً منــه تُغْني عن حياةِ الورى وعيشِ الشُّــعوبِ
وسَــرى في النفوسِ معنىً جديدٌ عَبَّــرَتْ عنــه بالغنَــاءِ الرتيــبِ
وتســامتْ أرواحُنــا في نَجــاءٍ وتَهــادتْ قُلوبُنــا في دَبيــبِ
تلــك ليلاتُنــا، وهــذا صَدَاهَا إيــهِ ليلاتِنــا؛ اخْلُــدي، لا تغيبي

* * *

١- الحجا: العقل (الإدراك والفطنة)، الحُطام: متاع الحياة.
٢- ظوامئ: مفردها ظامئ وهو العطش الشديد

ريحانتي الأولى
أو
الحرمان *

ريحانــتي الأولى وَرَوْحح شــبابي   أئذا دَعْوتُ سَــمِعْتُ رَجْعَ جَوابِ
أنا في الجحيــمِ هُنا وأنــتِ بجنَّةٍ   مِنْ رَوْحِ إعْجابٍ ورَيْقِ شَــبابِ[1]
أنا في الجحيمِ وأنــتِ نَاعمةُ المُنَى   خَضْــراءُ ذاتُ تَطلّــعٍ وطِــلابِ
أنا لا أُريــدُكِ هاهنــا في عالَمي   إني أُعيــذكِ مِــنْ لَظــىً وَعذابِ
لَكِنَّهــا الذِّكْرَى تثــورُ بِخاطِري   مَجْنُونَــةً حمقــاءَ ذاتَ غِــلابِ

* * *

عَيْنــي رَعَتْكِ وأنــتِ نابتَةٌ فلم   تَغْفَــلْ ولم تَفْتُــرُ ولم تتألَــمِ
وتَعهَّدَتْــكِ يَــدِي وأنــتِ نحيلةٌ   وغِذَاكِ من نَفْسي الحَنانُ ومنْ دَمي
فَنَمَوْتِ والآمالُ حَوْلكِ تَنْتَشِــي   وتَهُــمُّ رَاقِصــةً وتَهْتِــفُ بالفــمِ
حتى إذا أَيْنَعْتِ وانطلقَ الشَّــذى   ألفيــتُ نَفْســي في صَميــمِ جَهنَّمِ
مُلْقىً هُنالــكَ لا أحُسُّ ولا أرى   إلاّ الشُّــواظَ وكلَّ داجٍ مُعْتِــمِ[2]

---

* نشرت في أيلول(سبتمبر) عام ١٩٣٧

١-رَيقَ: من الرَّوق: أول الشيء، روق الشباب: أوله.

٢- داج معتم: شديد الظلمة.

بيــني وبينــكِ شُــيَّةٌ لا تَنْتَهِي   أبــداً أُقــارِبُ حَولَهــا وأُباعِــدُ
هي شُــقَّةٌ النفسِ الخَرابِ، وإنّها   لمجاهــلٌ لم تُكتشــفْ وفَدافِــدُ[1]
الشــمسُ فيها لا تُطــلُّ ومَا بها   إلا الرواكــدُ والظَّــلامُ البَــارِدُ
أنا لَسْتُ سَــالكهَا وأنت حَفيةٌ   أن تَجْنُبي عَنْهــا ونَجْمُك صَاعدُ[2]
فــإذا الــذي بَيني وبينــكِ كلُّهُ   ذكْــرى تُطــلُّ برأســها وتُعــاودُ

* * *

وأراكِ مِــنْ خَللِ الغيومِ أسِــيفةً   إذْ تَذْكُرِيــن رِعايــتي وجُهــودِي
وتَريْــنَ حَاضِرَنــا وَغابِرنَا معاً   وتُراجعِــينَ مَواثِقــي وعُهــودِي
نَفْســي فداكِ فلا أراكِ شَــجيّةً   تُرقــي الغُضُــونُ لوجهــكِ المَعْبُودِ
وقفٌ عليــكِ تَطلُّعــي وتَلهُّفي   وقفٌ عليــكِ قَصائدي ونَشــيدي
لكــن أُعيذُكِ خَطْــرةً في عَالَمي   إنّــي أُعيــذُكِ وَحْشَــتي وُكُودِي

* * *

١- فدافد: أرض واسعة لا شيء فيها.
٢- حَفِية: مهتمة

عبادة جديدة؟! *

لـــكَ يـــا جمـــالُ عبـــادتي لـــك أنْـــتَ وَحـــدَكَ يـــا جَمالْ
تعصـــى تعاليـــمُ الطُّغـــاة، أو الهُـــدَاة علـــى ضَـــلالْ
ويُخالــفُ التشــريعُ جهــراً أو خَفَــاءً في احتيــالْ
وتُجانَــبُ الأديــانُ أو تُنْســى وتُهْجَــرُ عَــنْ مَــلالْ
وأراكَ وَحــدَكَ يــا جمــالُ تَلقــى الخضــوعَ والاحتفــالْ
والحـــبَّ والإيمـــانَ مِـــنْ كلِّ الأنـــامِ بـــكلِّ حَـــالْ!

* * *

المـــالُ مَعبـــودُ الحيـــاة المُسْـــتَذلُ قُـــوى الرجـــالْ
هـــو بعـــضَ قُربـــان النفـــوس إلى مَقَامـــك في ابتهـــالْ
وأرى الألوهـــة فيـــكَ تُوحـــي بالعبـــادة في جَـــلالْ
مـــا أنـــتَ إلا مظْهَـــرٌ منهـــا تُوشِّـــيه الظِّـــلالْ[1]
فـــإذا عَبدتُـــكَ لم أكُـــنْ يا حُسْـــنُ مِـــنْ أهـــلِ الضَّلالْ
بـــل كنـــتُ محمـــودَ العَقيـــدة في الحقيقـــة والخيـــالْ
أعْنُـــو لِمـــنْ تَعنُـــو لَـــه كلُّ النفـــوسِ بـــلا مثَـــالْ[2]
مُتَفرِّقـــاً في الكَـــونِ في شَـــتى المَرائـــي وَالخـــلالْ
فـــإذا تَركَّـــزَ هـــا هُنـــا بَطُـــلَ التَّمحُّـــلُ والجِـــدَال![3]

* * *

* نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٧

١- توشيّة: تنقشه وتُحسنه من وَشَى الشيء وشياً: نمقه ونَقشه وحَسنه.

٢- أعنو: أخضع.

٣- التمحل: الاحتيال

تسبيح...! *

لعينيكِ تَسبيحي وهَمْسُ سَرائري   وفي صَمْتِها المُوحي مرَادُ خَواطِري
تُطلُّ علـى الدنيا فتوقِـظُ قَلْبَها   وتمنحُ هـذا الكونَ إيمانَ شَـاعرِ
وتَسْـكُبُ في ألحانِـه عبقريـةً   من الفـنِّ لم تخطرْ بآمالِ سـاحرِ
وتجلُـو مـن الدُّنيا عميـقَ فنونها   وتكشـفُ في أطوائها كلَّ خاطرِ
ومِـنْ عجبٍ تُوحي بفتنةِ سـاحرٍ   وتَهْمِـسُ في صمتٍ بتقديسِ طاهرِ

* * *

لقد شَـفَّ هذا الوجهُ حتى كأنه   خواطِـرُ فنـانٍ نَـدِيِّ المشـاعرِ
وقد رقَّ هذا الجسـمُ حتى كأنه   هَواتفُ حُلْـمٍ ناعماتِ البَشَـائرِ
وقد رقَّ هـذا الصوتُ حتى كأنه   أغاريدُ لَحْنٍ في السـماواتِ عَابرِ
وقد خفَّ هـذا الخَطو حتى كأنه   مـرورُ نسـيمٍ بالأزاهـيرِ عاطرِ
وخِلْتُكِ طَيفاً هامساً في ضمائري   وإنـكِ طيـفٌ هَامسٌ للنواظرِ!

* * *

لأيقظتِ في نفسي سـعادةَ شاعرٍ   وراحـةَ موهـوبٍ وغِبْطَـةَ ذَاخرِ
وأشـعرْتني معنى الطلاقَة والرِّضَا   ومعـنى الغِنى عـن كلِّ آتٍ وغابرِ
مَدَى فيه من أفـقِ الخلودِ مدارجُ   رَقَيْـتُ إليها في سَـنى منك باهرِ
سَـبقتُ به خَطوَ الحيـاةِ لِنَهْجِها   وجُـزْتُ بـه آفاقَهـا في المَعابـرِ
فيا لـكِ مِن هَـادٍ سَـنيِّ المنائرِ   ويَـا لي من سَـارٍ وَحِـيِّ البَصَائرِ

* * *

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٣٨

في السماء *

أيقظـــتِ أنبلَ ما يُجـــنُّ ضَميري   وبعثتِ جوهـــرَ عُنْصري المَطْمُورِ[1]

فإذا أنـــا الرُّوح التي تَســمُو بها   دُنيـــا الحيـــاةِ لأوْجهـــا المنظـــورِ

وإذا أنـــا النُّـــورُ الـــذي تجلُو به   تلك الحيـــاةُ غَياهـــبَ الدّيجورِ[2]

وإذا أنا الشَّـــوقُ الذي يَحدُو لها   فتَغـــذُّ بـــينَ مَســـالكٍ وصخـــورِ

وإذا أنا الشَّـــعر الذي تَشْـــدُو به   في نَشْـــوةٍ وتجيـــش بالتعبـــيرِ

وإذَا أنا الخـــيرُ المُمَحَّضُ والهدُى   والحـــبُّ والنَّجوى خِـــلالَ ضَميرِ

* * *

فَبأى معجزةٍ كَشَـــفْتِ ضَمائرِي   وجَلَـــوْتِ كلَّ مُحَجَّبٍ مَسْـــتُورِ؟

وغَـــذَوتِ فيَّ فَضَائلـــي ورَوَيْتِها   حـــتى أظلَّـــتْ بالجَـــنى المَذْخُورِ؟

وجعلتِ من زَادِ الخلودِ مَطامحي   وجعلتِ أشـــواقِي صـــلاةَ طُهورِ؟

بالحبِّ والحُسْـــنِ الوديـــعِ ونظرةٍ   بيضـــاءَ صافيـــةٍ تُريحُ شُـــعوري

وتُحيلُ أشـــواقي رِضـــاءَ مُخلَّدٍ   راضٍ بخُلْـــدٍ لم يُشَـــبْ بِقُصُـــورِ

وتُحيلُـــني رُوحاً تَرِفُّ على الوَرى   كالعطفِ، أو كالحـــبِّ، أو كالنُّورِ

فإليكِ تَسْـــبيحي وهَمْسُ سَرائري   وإليكِ غايـــةُ غِبْطَتي وسُـــرورِي

---

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٨

١- يُجنُّ: يستتر.

٢- الدّيجور: الظلام.

بين عهدين *

طِرْتِ عَنْ عُشّـــكِ الْجَميلِ فَأْوبِي ... شَدَّ مَا اشْـــتَاقَ طَيْرُهُ أَنْ تؤُوبي![1]
كانَ دفئـــاً وَكانَ مَرْتَـــعَ صَفْـــوٍ ... فكَسَـــاهُ الصَّقيعُ ثوبَ القُطُوبِ[2]
مُنْـــذُ غَادرْتِـــهِ قَـــدِ انْتَثَر الحبُّ ... وطَاحَـــتْ بـــهِ رِيَـــاحُ الْهُبُـــوبِ
وتَخَلَّـــتْ عِنَايـــةَ اللهِ عَنْـــهُ ... فَهُوَ في وَحْشَـــةِ الغَريـــبِ الكئيبِ
وَلَيَاليـــهِ شَـــاجِياتٌ حَيـــارَى ... يَتَرامَيْـــنَ حَوْلـــهُ مِـــنْ لُغُـــوبِ[3]

* * *

عُـــودِي إلى الْعُـــشّ عـــودِي ... وَرَفْرِفِـــي مِـــنْ جَدِيـــدِ
وَرَنّمِـــي بالأغَـــاني ... في جَـــوّهِ وَاسْـــتَعيدِي
وَأدْفئِـــي بالأمَانِـــي ... مَـــا مَسَّـــهُ مِـــنْ جُمُـــودِ
وَتَمْتمِـــي بالتّعَاوِيـــذِ ... وَالرُّقَـــى وَالنَّشـــيدِ
وَأطْلقِـــي فِيـــهِ لَحْنـــاً ... يَشْـــدُو لِحُـــبّ سَـــعيدِ
وَيَطْـــرُدُ الْيَـــأسَ عَنْـــهُ ... بالشَّـــدْوِ والتّغْرِيـــدِ

* * *

---

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٤٢

١- اللغوب: التعب مع الإعياء.

طَالَ انْتِظَارُكِ وَهْناً في ظُلْمَةٍ وَكُنُودِ[1]
وَالرِّيحُ تَعْبَثُ فِيهِ بِكُلِّ غَالٍ مَجِيدِ
وَكُلُّ خَفْقِ جَنَاحٍ أَوْ رَجْفَةٍ مِنْ بَعِيدِ
يُخَالُ فِيهَا مَآباً بَعْدَ النَّوَى وَالشُّرُودِ

* * *

عُودِي إِلَى الْعُشِّ عُودِي وَرَفْرِفِي مِنْ جَدِيدِ
أَضْنَاكِ طُولُ الشُّرُود وَلَذَّةُ التَّصْعِيدِ
عُودِي إِلَى الدِّفْءِ فِي عُشِّكِ الأَمِينِ الوَدُودِ
الْعُمْرُ يَمْضِي فَهَيَّا نُعِيدُهُ لِلْوُجُودِ

* * *

1- وهَناً: ليلاً ، كنود: المراد في انقطاع

نداء الخريف *

تَعالَيْ. أوْشَكَتْ أيامُنا تَنْفَدْ
تعالى. أوشكتْ أنفاسُنا تَبْرُدْ
بلا أمَلٍ، ولا لُقْيا، ولا مَوْعِدْ
* * *

تعالَيْ. هذه الأيامُ لا تَرْجِعْ
ولا تُصْغي لنا الدُّنيا ولا تَسْمَعْ
ولا تُجْدَي شَكاةُ الدَّهْرِ أو تَنْفَعْ
* * *

كلانَا ضَائعٌ في الكون مَفْقُودُ
فَلا هَدَفٌ له في الأرضِ مَشْهُودُ
ولا أملٌ لَه في الغيبِ مَوعُودُ
* * *

ألا مَا أحْمَقَ اثنَيْنِ غَرِيبَيْن!
إذا عَاشَا – مَعَ الحبِّ– فَريدَيْنْ!
وهذا الكونُ لا يَدْري الشَّرِيدَيْنِ!
* * *

نَعَمْ قَدْ أدْمَتْ الأشواكُ قَلْبَيْنَا
وَسدَّتْ هذه الدُّنيا طَريقَيْنَا
ولكنْ أينَ مَاضِي حُبِّنَا أيْنا؟
* * *

---

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر)١٩٤٣

تَعالَيْ نُحْيِ بالأشْواقِ مَاضِينَا
ونَبْعَثْ في حِمَى الحُبِّ لَيَالِينَا
فهذا الحبُّ إذْ نُحْييه يُحْيِينَا
* * *

تعالَيْ لَمْ يَعُدْ في العُمْرِ مُتَّسَعُ
تعالَيْ لم يَعُدْ في الكَوْنِ مُنْتَجَعُ[1]
وغُولُ الدهرِ لا يُبْقِي ولا يَدَعْ
* * *

تعالَيْ! نَحنُ بَعْثَرْنا السُّويعَاتِ
وضَحَّينَا بأيام عَزيزَاتِ
فيا أُخْتاه يَكْفِينا حَماقَاتِ
* * *

أَجَلْ يا أختُ ما قَدْ ضاع يَكْفِينا
فَعُودي. هَا هُو العُشُّ يُنَادِينا
فلا نُخرِبْه يا أختُ بأيْدِينا
* * *

ربيعُ العُمْرِ يا أُخْتَاه قَدْ مَرّا
فَلَمْ نُطْعِمْه أو نَغْنَمْ بِه ذُخْرَا
وما عَادَ لَنا منْه سوى الذِّكْرى
* * *

١- منتجع: المراد لا يوجد مكان يصلح للإقامة.

فَلا نَخْسَر هَزيعَين منْ العُمْرِ[١]
فَدفْءُ العُشِّ قَدْ يُجْدي لَدَى القَرِّ[٢]
ورُوحُ الحُبِّ قَد يُحيِي لدى القَبْرِ
* * *

ويا أُخْتَاه زَادُ العُشِّ يَغذُونَا
فإنّ الزَادَ قَدْ قَلَّ بأيْدينَا
وجَذْبُ العُمْرِ يا أُخْتَاه يُؤْذينَا
* * *

تعالَى نَقْطَعِ البَاقي منَ العُمْرِ
رَفيقَيْنِ على الخَيْرِ عَلى الشَّرِّ
حَليفَيْنِ عَلى اليُسْرِ عَلى العُسْرِ
* * *

تَعالى أوْشَكَتْ أيامُنَا تَنْفَذْ
تَعالى أوْشَكَتْ أنْفاسُنَا تَبْرُدْ
بلا أمَلٍ ولا لُقْيَا ولا مَوْعِدْ

* * *

١- هزيعين: الهزيع :ربع الليل أو نصفه، والمراد هنا مضى أكثر العمر.
٢- القر: شدة البرد.

هتاف روح *

في ليلة دفيئة من ليالي كاليفورنيا(سان فرانسيسكو).

في الجـوّ يـا مصـرُ دِفءٌ يُدْنِـي إلّي خيالَـكِ
وتَسْـتَجيشُ حنيـني إلى الليـالي هُنالِـكِ
للأُمسـيات السُّـكَارَى نَشْـوى تَـرِفُّ حِيَالَـكِ
ونَسْـمَةٌ فيـك تَسْـرِي ريَّانَـةٌ مـن جَمَالِـك
نجـواكِ مِـلْءُ فُـؤادِي تُـرى خَطَـرتُ ببالـك

* * *

النيـلُ والمـوجُ سَـارٍ يُقَبِّـلُ (الشُّـطْآن)
والبـدرُ والنـورُ سَـاهٍ كحـالمٍ وَسْـنَانْ
وفي الجِـواءِ حنـينٌ مُجَنَّـحٌ حَـيرانْ[1]
ومـن هُنالِـكَ لَحْـنٌ يَهْفُـو إلى الآذانْ
صَـدَاه نَـاءٍ عميـقٌ في نـاي هـذا الزّمـانْ

* * *

---

* نشرت في نيسان (أبريل) ١٩٥٠

١- الجواء : الواسع من الأمكنة.

في النفـس يـا مِصُـر شـوقٌ لخَطْـرَةٍ في رُبَـاكِ

لضَمَّـةٍ مِـنْ ثَـراكِ لنَفْحَـةٍ مِـنْ هَـواكِ

لوَمْضَـةٍ مِـنْ سَـماكِ لِهَاتـفٍ مِـنْ رُؤاكِ

لليلـةٍ فيـك أُخْـرى مـع الرِّفـاقِ هُنَـاك

ظمـآنُ تهتـفُ رُوحـي متى تَـراني أراكِ؟

* * *

دعاء الغريب *

(سان فرانسيسكو)

يا نائياتِ الضِّفافْ هُنا فتاكِ الحبيبْ
عليه طَالَ المَطافْ متى يعودُ الغريبْ؟

* * *

متى تَمُسُّ خُطاه ذاكَ الأديمَ المغبَّرْ
متى يَشُمُّ شَذاه كالأُقحوانِ المُعَطَّرْ؟

* * *

متى ترى عيناهْ تلك الربوعَ المواثلْ؟[1]
أحلامُه ومُناه تدعوه خلفَ الحوائلْ[2]

* * *

حنينُه رَفّافْ إلى الدِّيارِ البعيدهْ
مَتى مَتى يا ضفافْ تَأوي خُطاه الشريده؟

* * *

رُؤاكِ في ناظرَيهْ ترفُّ كالأحلامْ
تُرى هفَوْتِ إليه على مَدَى الأيامْ؟

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٥٠

١- المواثل: القائمة والمراد هنا قائمة في ذهنه وخياله.

٢- الحوائل: الموانع

ليلاتُـــكِ السَّـــارياتْ كالنَّسْـــمَةِ العبقريّـــهْ
حالـــتْ إلى ذكريـــاتْ مُعَطَّـــراتٍ نَديِّـــهْ

* * *

مُجَنَّحَـــاتِ العبـــيرْ مُرَفْرَفَـــاتِ الأمَـــاني
في عَـــالمٍ مســـحورْ مُوســـع بالأغَانِـــي

* * *

هُنالـــك حيـــثُ خُطـــاهْ مَنشـــورةٌ في الطريـــقْ
مـــا زَالَ فيهـــا الحيـــاةْ تَدْعُـــو دُعـــاءَ الغريـــقْ!

* * *

يـــا أرضُ رُدِّي إليـــكِ هـــذا الوحيـــدَ الغريـــبْ
هَـــواهُ وقـــفٌ عليـــك رُدِّي فتـــاكِ الحبيـــبْ

ابتسامة*

أنِرْ بِفـؤادي كلَّ أسْـوانَ مُظْلِمِ ببَسْـمَةِ رَاضٍ في الحيـاةِ مُنَعَّمِ[1]
وصَوِّرْ بهـا الآمالَ: إنِّـي رأيتُها تطيـفُ بريَّـا ثَغـرِكَ المُتَبَسِّـمْ
وطالـعْ بِها وَجْـهَ الحيـاةِ نَديَّةً تَمسُّ حَشاشـاتِ القلوبِ ببَلْسَمِ
وتَسْرِي إلى الأرواحِ رُوحاً مَهُوماً يفيضُ عليها من رِضـاءٍ وأنْعُمِ[2]
فَدَيْتُـكَ لا تَألُ الحياةَ ابتسـامةً أرقَّ وأحـنى منْ خيـالٍ مُهَوِّمِ[3]
مُرنّحَةَ الأعطافِ تُومِضُ خِلْسَـةً وتَخْطُـرُ في رِفْـقٍ بذيالِـكَ الفَمِ!
فديتُكَ أرْسِلْها على الكَوْنِ غبْطَةً تُشَـافِهُهُ هَمْسَ الرَّجـاءِ المُتَمْتِمِ
وتدرِكُهـا الأرْواحُ في خَطَراتِهـا كما تدرِكُ الأسمـاعُ هَمْسَ التَرَنُّمِ
فديتُـكَ لا تـألُ الحياةَ تَبَسُّـماً فإنـكَ لم تُخْلَـقْ لِغَـيرِ التَبَسُّـمِ
وقتكَ الليالي العابسـاتُ عُبوسَها إذَنْ فَتبَسَّـمْ كيفما شِـئْتَ وَانْعَمِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٠

١- أسوان: حزين.

٢- مهوماً: في أوّل النوم.

٣- لا تبخل، لا تقصّر

التأمل

إلى الشاطىء المجهولِ والعالَمِ الذي

حَننتُ لمرأة، إلى الضفة الأُخْرى؟

إلى حيثُ لا تدري إلى حيثُ لا تُرى

مَعالمُ للأزمانِ والكونِ تُسْتَقْرا

بسمة بعد العبوس
أو
حياة بعد موت*

بَسْــمَةٌ! أمْ تلكَ أنْفَاسُ الحياةْ؟ ولقــاءٌ ذاكَ أمْ رَجْــعُ العُمُــرْ؟
نَفْحَــةٌ تَنْفُثُها[٤٢] تلك الشِّــفاه تبعــثُ المَيْــتَ وتُحيي مــا انْدَثَرْ

* * *

بَسْــمَةٌ كاللحــن مِــنْ قيثارَةٍ رائــقِ المعــنى رَقيــقِ النغَمَــاتْ
أو شَــذى يَــأْرَجُ مِنْ نَــوَّارَة في غُصــونِ الوردِ زاكــي النَّفَحاتْ

* * *

بَسْــمَةٌ أنْدَى على القلب الكَليمِ من نسيمِ الصُّبْحِ أو طيفِ الأملْ(١)
بَسْــمَةٌ تُشْــرِقُ في الوجهِ الكريمِ كابتسامِ الزَّهْرِ في الروضِ الخَضِلْ(٢)

* * *

نَظَــر الدهــرُ إليهــا فابتَسَــم وســرتْ في القَفْرِ فاخضَّل الجَديبْ
سَــريان البُــرْءِ هَوْناً في السَّــقمِ ودبيبُ الرُّوحِ في الميْتِ السَّــليبْ

* * *

ذلــك القلــبُ وقد جــفّ نَدَاه وغــدَا أجــوفَ كالنبتِ الهَشِــيمْ
وخَبَــا في أفقِــه ضــوءُ الحَيَــاة وبَــدَا كالمعبــدِ البَالــي القــديمْ

* * *

---

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٩

١- الكليم : المجروح

٢- الخضل: من خَضِل يخضَلُ: نَدِي وابتلَ.

ذلك القلبُ قد اخْضَلَّ وَحَنَّ　　وأحسَّ الرُّوحَ في رِفْقٍ تَسيلْ
إذ تَراءى الأملُ الحُلْوُ الأغنُّ　　في ثَنايا ذلك الثغرِ الجميلْ

* * *

هَتفتْ رُوحي وحَيَّاه فُؤادي　　في هدوءٍ شاملٍ ضافٍ حَنُونْ
وتزودتُ من الحبِّ بزادِ　　ومنَ الإخلاصِ تُبديه العيونْ

* * *

إنَّ عَينيه إذا تَرنُو إليَّ　　تسكب الرَّوْحَ بقلبي والرَّجاءْ
وهو إذ يحْنُو بعِطْفَيه عَليَّ　　يَغْمُرُ النفس بِفيضٍ من رِضاءْ

* * *

إنّ في عينيه مَعنى للسُّمو　　فوقَ ما يُدْرِكُ هذا البَشَرْ
وبها آياتُ عَطْفٍ وحُنُوٍّ　　لستُ أدْريها ولكنْ أشْعُرْ

* * *

أتُرى أنْعَمُ منْ بعدِ الشَّقاء؟　　أتُرى في الشَّوْك قد تَحيا الوُرودْ؟
بِحَياتي وأمَانِيّ الوِضَاء　　عَهْدُنا الغَابِرُ لو كانَ يَعُودْ

هدأت يا قلب؟!*

هَدأتَ يـــا قلبُ فاهدَأ هكَذا أبداً　　وعِشْ هنيئاً إذا أحْسَسْـــتَ سُلْوانا
فجمةُ الحـــبِّ قد تخْبُــو ويَعقُبُها　　بَردُ السُّـــلُو وتَنْسَـــى كلَّ ما كانا
فـــلا جَفاءٌ ولا شَـــكْوى تُردِّدُهَا　　ولا دَلالَ وَلا وَجْـــداً وَتَحْنَانَـــا
تُمْسي وتُصبْحُ حُرّاً غيرَ مضطربٍ　　ثَبْتَ الجَنَـــانِ مُريحَ البـــالِ طَمْآنا
نَعَـــمْ سَـــتَعْدِمُ حِسّـــاً رقَّ جَانِبُه　　ودَقَّ في عـــالمِ الإحســـاسِ ميزَانَا
ومَـــا يُضيرُكَ مِـــن فُقْـــدانِ رِقَّته　　إذَا فَقَـــدْتَ بِها بُؤســـاً وأشْـــجَانا
وما الحياةُ إذا رَقَّ الشـــعورُ سوى　　بـــؤسٍ يَجْرَعُـــهُ الإنســـانُ غصَّانا

* * *

ستُبصِرُ الوردَ ورداً والسماءَ كما　　تَلُوحُ للناسِ والأكـــوانَ أكْوانَا !
وتُبْصِرُ الحبَّ شـــيئاً أنْـــتَ تَعْرِفُه　　وليس سِرًّا . ويَبْدُو الإلفُ إنسانا !
خلعـــتَ ثوبـــاً عليه أنـــتَ وَاهِبُه　　لولاه مَـــالاَحَ في الأنْظـــارِ فَتّانا !

* * *

فخَلِّ يـــا قلبُ آمـــالاً تجيشُ بها　　فقـــد تغْـــررك الآمـــالُ أحيانَـــا
هـــذا الهـــدوءُ تُنَمِّيـــه وتَألَفُـــه　　فيســـتحيلُ مـــع الأيـــامِ نســـيَانَا

* * *

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩

الدنيا

إيــه يــا دُنيا ومــا أَنْتِ سِــوى عبــثِ الأطفــالِ فيمَــا يلعبُون
ضَجَّــةٌ صاخِبــةٌ لا تحتــوِي غــيرَ أَصْــدَاءٍ قَويــاتِ الرَّنــيْن
فــإذا فَتَّشْــتَ عــن مَبعثِهــا لم تجدْ شــيئاً تُخْبيــه الوُكُون![1]

* * *

عودة الحياة*

عَجَــبٌ خَفْقُــكَ يــا قلــبي في هــذه الأضلعِ من بعــدِ الخُفُوتْ!
أَوَمــا زلــتَ إِذنْ لم تَشْــتَفِ مِنْ حنــينٍ فيك حَــيٌّ لا يموتْ؟

* * *

أَوَ مَــازالَ إذنْ نبــعُ الحيــاة لم يَغِــضْ فيك ولم ينضــبْ مَعِينُهْ
رُبَّمــا فَــاضَ على تلــك الفلاةِ في فؤادٍ مُقْفِــرٍ جَفَّــتْ غُصُونُهْ!

* * *

طــالَ عَهِــدى أيُّها القلــبُ به ذلــك الخفــقُ الــذي ذَكَّرتَنيــه
ذلــك الخَفْــقُ الــذي لا ينتَهى حيث يَســرِى الشّــعْرُ كالتيارِ فيه

* * *

* نشرت عام ١٩٣٠

١- الوكون: مفرده وكنٌ والوكن: عش الطائر حيث كان.

كـــم ربيـــعٍ مَـــرَّ يتلُـــوه ربيعٌ   وفـــؤادِي في خريـــفٍ راكـــدِ
هَامِدَ الإحساسِ جَاثٍ بالضلوعِ   في حيـــاةٍ ذاتِ نَمَـــطٍ واحـــدِ
* * *

وحُرِمْـــتُ الحِسَّ ، حـــتى بالأَلَمْ   والنَّـــدى حتى بتســـكابِ الدُّموعِ
إيه . مـــا أقفرَ إحســـاسَ العَدَم   والأمانِـــي راكـــداتٌ في القَنُـــوعِ
* * *

هاتِ ياقلبُ من النبـــضِ القَويِّ   وتَفَتـــحْ كلَّ يـــومٍ عَـــن جديـــدِ
لَم يَـــزَلْ في جَعْبَةِ الكَـــوْنِ الغَنيِّ   مَـــا يُغَذّيـــكَ بأحـــلامِ الوُجُـــودِ
* * *

وإذا لَم تســـتطعْ فاخلـــقْ حَيَاه!   من شُخوصِ الوهمِ أو طيفِ الأمانِي
ومن الحبّ، وما صاغـــتْ يَدَاه   مـــن جحيـــمٍ يتلظّـــى أو جِنَـــانِ
* * *

البعث *

قد بُعثتُ اليومَ أحيا منْ جَديدٍ فهو بَعْثٌ من حياةٍ خَامدةْ
مَرَّ نِصفُ العُمرِ أو كادَ يزيدُ لهفَ نفسي – في حياةٍ رَاكدةْ
في حياةٍ لم أجِدْ فيها حَيَاه!
بَلَغَ العُقْمُ بها أقْصَى مَدَاه
وتبدَّتْ بَلقعاً مثلَ الفَلاه(١)
ثم لاحتْ تَتَراءى مِنْ بَعيدٍ شُعلةٌ مِن نارِ حُبٍّ وَاقدةْ
تُلهبُ الحسَّ وتَسْتوحِي القصيدْ والأناشيدَ العِذابَ الخالِدةْ
شاعرٌ قد صِيغَ من فيضِ الشعورِ مُلْهَمَ الفِطْرةِ منْهُومَ النَّظَرْ(٢)
نابضٌ بالعطفِ حَساسُ الضميرِ يُدركُ الهَمْسَةَ تَسْرِي في حَذَرْ
كيفَ يَحيا – وهو هَذا – في عَمَاءْ
مُغْلَقَ الإِحساسِ مَطْمُوسَ الرَّجَاءْ
مُقْفِراً كالكهفِ مَحْجُوبَ الضيِّاءْ؟
هكذَا عِشْتُ كسكانِ القُبورِ في ربيعِ العُمْرِ في العهدِ النَّضِرْ
آه لو أسْطِيعُ للماضِي الحسيرِ رَجْعَةً من بعدِ ماجَاء وَمَرّْ!

* * *

* نشرت عام ١٩٣٢
١- بلقعاً: خالياً من كل شيء، يقال: مكان بلقع
٢- منهُومُ: الجائع، شديد الرّغبة بالشيء.

كنتُ أُحييه كما يَحيا الشبابُ! نابضــاً بالحــبّ جَيّــاشَ الأمانــي
مُمْسِكاً أهدابَه خوفَ الذَّهابِ مُســتعزّاً فيه حــتى بالثوانِــي![1]
ظَافــراً أمــرحُ فيــه كالطيــورْ
حينمــا تشــدُو بألحــانِ البكورْ
بعدمــا تَنْفحُهــا ريــحُ الزهورْ
نصفُ عُمْري قَدْ تَولّى في اكْتئابِ فلأقض النصفَ نشــوان الأغانِي!
هائماً ألْهــو بمعســولِ الرّغَابِ أو أُغنِّــى بالأمــانِيِّ الحِســانْ!

* * *

١- أهداب: مفردها هُدبة: طرف الثوب الذي لم يُنسج.

الشعاع الخابي*

لاحَ لي من جانبِ الأفُق شُــعاعٌ بينمـــا أخبِــطُ في داجــي الظَّلامِ
في صحارى اليأسِ أسْرِي في ارتياع حيثُ تبدو مُوحشاتٍ كالرِّجامِ[1]
حيثُ يَسْرِي الهولُ فيها واجما
ويطوفُ الرُّعب فيها حَائمَا
والفناءُ المحضُ يبدُو جاثما
وترى الأشــباحَ في رأسِ التِّلاع كالسَّعَالي، أو كأشــباحِ الحِمامِ[2]
فاغــراتٍ تَتَشـــهى الابتــلاعَ تنهشُ اللّحَم؛ وتَفْــري في العظَامِ

* * *

فَتلفــتُّ علــى الضــوءِ يَلُوحُ مِثْلمـــا تَلْمَـــحُ عـــينُ السَّـــاهِرِ
أو كما تَهْمِسُ في الأجداثِ رُوحٌ أو كمعـــنًى شَـــاردٍ في الخاطـــرِ
قد تلفتُّ بقلبٍ مُستَطارْ
شَفَّه الذُّعْرُ وأضنَاه العِثَارْ[3]
طَالما رجّضى تَباشير النهارْ

---

* نشرت عام ١٩٣٢

١-الرِّجام: من رجم القبر: وضع عليه الرِّجام.

٢- السعالى : مفردها السِّعلى: الغول.

٣- شفه: من شَفّ أي نحل ودقّ من همٍّ أو مرض ويقال : شَفّه الحبُّ أو الهمُّ.

ثم أزمعتُ إلى الأفق الصَّبُوحِ أرتجي فيه أمانَ الحائرِ
أصعَدُ الرابِيَ وأهوَى في السُّفوحِ وكأني طيفُ جِنٍ نافِرِ
ثُم ماذا؟ ثم قَدْ سَاد الحَلَكْ فَجْأةً والقَبَسُ الهادي خَبَا
ثم أحسستُ بدقاتِ الفَلَكْ لاَهثاتٍ، تَتراخَى تَعَبَا
رجفةُ الخائف أَضْنَاهُ العَياءْ
وهو يعدُو لاَهثاً عَدوَ الطّلاءْ(١)
قبلما يَلْحقُهَا غُولُ الفَنَاءْ
وإذا قلبي خَفُوقٌ مُنْتَهَكْ ليس يَدرِي لخلاصٍ سَبَبَا
حولَه الظُّلْمةُ في أيِّ سَلَكْ حيثُ ينسى الهاربُون الهَربَا!

*** *

قلتُ ماذا؟ قال لَي: رَجْعُ الصَّدى إيه ماذا؟ قلتُ للوهم عَلامَا؟!
قال لي اخشعْ أنْت في وادي الرَّدى حيث يَطْوي الضَّوءَ طُرًّا والظَلامَا!
ها هنا تُثوي الأماني؛ هَا هُنا
فَي مَهاوِي اليأسِ في كَهْفِ الفَنَا
كل شيءٍ هالكٌ، حتى أنَا!
ثم ضَاعَ الصوتُ يَفْنَى بَدَدَا وتَلاشَى تاركاً منه النمامَا
وإذا بِي عُدْتُ أسْرِى مُفْرداً لا أرى شيئاً، ولا أدْرِي إلامَا!

١- الطّلاء: مفردها الطّلا، والطلا: ولد الظبية
٢- طُرًّا: جميعاً
٣- النماما: الآثار الباقية

في الصحراء *

في ليلة من ليالي الخريف المقمرة، الراكدة الهواء؛ المحتبسة الأنفاس، وفي صحراء جبل المقطم الموحشة، وبين هذا القفر الصامت الأبيد[1] -- كانت تتراءى نخلات ساكنات في وجوم كئيب ومن بينها نخلتان: إحداهما طويلة سامقة، والأخرى قصيرة قميئة.

بين هاتين النخلتين دار حديث. وكانت بينهما همسات ومناجاة!

* * *

الصغيرة:

ما لنـــا في ذلـــك القفـــرِ هُنا مَا بَرحنـــا منذ حين شَـــاخِصَاتْ؟

كلُّ شـــيءٍ صامتٌ مـــن حَوْلنا وأرانـــا نحـــن أيضـــاً صَامتـــاتْ!؟

تطلُعُ الشـــمسُ علينا وتغيبْ

ويطلُّ الليلُ كالشـــيخِ الكئيبْ

والنجومُ الزُّهْـــرُ تغدُوَ وتَئُوبْ

وهجيرٌ وأصيلٌ... وطلوعٌ وأفولُ... ثم نَبقَى في ذهولٍ ساهمات!

* * *

أفلا تدرينَ يـــا أُخْتي الكبيرةُ مـــا الـــذي أطْلَعَنـــا بـــيَن اليبـــابْ؟

أيمـــا إِثْـــمٍ جنينْـــا أو جريرةٍ سَـــلَكَتْنا في تجاويـــفِ العـــذابْ؟

١- الأبيد: الموحش

قد سئمت اللّبْثَ في هذا المكانْ
لَبْثَةَ المَصْلُوبِ في صُلْبِ الزمانْ
أفما آن لتبديل... أوان؟
حدثيني لِم نَشْقَى؟ حدثيني كم سَنَلْقَى؟ حدثيني كَم سَنَبْقَى واقفات؟

* * *

الكبيرة:
أنا يــا أُختــاه: لا أدري الجوابَ وَدَفــينُ السِّــرِ لم يُكْشَــفْ لَنا
منذ مــا أطلعتُ في هــذا الخرابِ وأنــا أســألُ: مــا شَــأني هُنا؟
فيجيبُ الصمتُ حَولي بالسُّكُونْ!
وأنا أخبط في وادي الظنونْ
لستُ أدري حِكْمَةَ الدَّهرِ الضنينْ[1]
غير أنا حائراتٌ... والليالي العابثاتُ... تتجنّى ساخراتٍ لاهيات!

* * *

رُبّمــا كُنّــا أســيراتِ القَــدَرِ تَسْــخَرُ الأيــامُ منّــا واللّيالــي!
تَضــربُ الأمثــالُ فينَــا والعِبَرَ وإذا نشــكو أذاهــا لا تُبَالــي!
رُبما كُنا مَساحيرَ الزمنْ!
قد مُسخْنَا هكذا بين القُنَنْ[2]
في ارتقابِ الساحرِ المُحْيي الفَطِنْ!
فإذا كان يعود... فكّ هاتيك القيود... فرجعنا للوجودِ ظافرات!

١- الضنين: البخيل: الشحيح
٢- القنن: مفردها قنّة: وهي قمة الجبل

أو ترانـــا نَسْـــلَ أربـــابٍ قُدَامى   قـــد جَفَاهـــا وتَولّـــى العابدُون!
جَفَّتْ الـــكأسُ لديهـــا، والنّدامى   غـــادروا ندوتَها تَنْعِـــي القرُون
أو ترانا مَسْخَ شيطانٍ رجيمْ!
صَاغَنا في ذلك القفرِ الغَشُومْ!
وتولّى هارباً خوفَ الرُّجُومْ!
فبقينا في العَراءِ.. يجتوينا كلُّ راءٍ.. وسَنَبْقَى في جَفاءٍ شاردات[1]

* * *

لســـتُ أدرِي، كلُّ شيءٍ قد يكونُ   فَتَلقّـــي كلَّ شـــيءٍ في سُـــكُونْ
وإذا مـــا غَالنـــا غُـــولُ المَنـــونِ   فهنـــا يَغْمُرُنـــا فيـــضُ اليقـــينْ!

* * *

ثم سَـــادَ الصمـــتُ كالطيـــفِ الحزيـــنْ
وتَسَـــمَّعْتُ لأقـــدامِ الســـنينْ
وهـــي تَخْطُـــو خَطْـــوَةَ الشـــيخِ الرزينْ
هامساتٍ في الرمالِ مُنشِداتٍ في جلالِ كلُّ شيءٍ للزوالِ والشتات

* * *

١- يجتوينا: يكرهنا من اجتوى: كره

بين الظلال *

يـــا ذِكْرَيـــاتِيَ البعيـــدةَ
يـــا أُمنياتـــي الشَّـــريدةَ
إليّ قبـــلَ الصبـــاحِ
إليّ مِـــنْ كلِّ صـــوبِ
فَهينمِـــي حـــولَ قلـــبي
فانـــت وَحْيِـــي وزَادي
غَفلْـــتِ يـــا ذِكْريـــاتِي
بـــين اصطخـــابِ الحيـــاةِ
وكلِّ جَـــأرٍ قـــويٍّ![2]
ســـهوتِ يـــا أُمنياتـــي
إلى مَراقِـــي الحيـــاةِ
بحاضـــرٍ مَأتِـــيَّ

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الهينمة: الصوت الخافت.

٢- الجأر: الضخم (من الرجال)

يا ذكرياتِيَ البعيدة   في عالمِ الأشباحِ
يا أُمنياتِي الشريدةَ   في عالمِ الأرواحِ

إلَيّ قبلَ الصَّباحِ

الليلُ أرْخى سُتُورَه   في هُدْأة كالخُلود
والبدرُ أرْسَلَ نورَه   كبَسْمَةٍ من وَليدِ

راضي المُحيَّا سعيدِ

وخفَقَ الكونُ خفقاً   قد ضَرَّمتْهُ الليالي
وعادَ يَهْمِسُ رِفْقاً   بذكرياتِي الخَوالي

وأمنياتي الغَوالي

وجدتُ نَفْسي وكانتْ   ضَاعَتْ ضَياعَ الإياسِ
ورُضْتُ نَفْسى فَلانتْ   من بَعْدِ طولِ الشِّماسِ

وبعدِ صعبِ المِراس

ورفرفتْ ذكرياتٌ   أثَرنَ قَلْبي حنينَا
ونضَّرَتْ أمنياتٌ   ذَبُلْنَ كالزهرِ حِينا

فيالصنعِ السنينَا

يا ذكرياتِيَ البعيدةَ   في عالمِ الأشباحِ
يا أمنياتِيَ الشريدةَ في   عالمِ الأَرواحِ

إلَيّ قبلَ الصباحِ

فالفجُر في الكونِ لاَحَ
والصبحُ يُذْكِي الصياحَ
فأقبلِي في انفرادِي   ورفرِفي في فؤادِي

* * *

الإنسان الأخير*

صَحَا ذاتَ يومٍ حينَ تَصْحُو البَواكِرُ ... وتستيقظُ الدُّنيا وتَجلُو الدَّياجرُ[1]

ويُشْرِقُ وجهُ الصبْحِ في غمرةِ الدُّجى ... كما تشرقُ الآمالُ واليأسُ غامِرُ

وتضطربُ الأنفاسُ خفّضَها الكَرى ... وتخفقُ أرواحٌ وتَذْكُو مَشَاعِرُ

وحينَ يعِجُّ الكونُ بالصوتِ والصَّدى ... وبالكدحِ تُزجيه المُنى والمخاطرُ

وبالصرخةِ الهوجاءِ والضحكةِ التي ... يَضجُّ بها الأحياءُ، والدّهرُ ساخرُ

* * *

ولكنّه لم يُلْفِ بالكونِ نَأمَةً ... تَنِمُّ على حيٍّ، ولم يَهْفُ خاطِرُ

ففي نفسه ما يُشبه الموتَ سَكْرَةً ... ومن حولِه موتٌ نَمتْه المقابرُ

جَلالٌ كأنَّ اللهَ أطلَعَ وَجهَه ... عليه؛ فقرّتْ في النفوسِ الضمائرُ

وصَمْتٌ فما في الكونِ صوتٌ ولا صَدَى ... ولاَ خَفْقَةٌ يُحْيي بها الكَوْنَ شاعرُ

فأدركَ في أعماقِه عَن بَديهةٍ ... نهايةَ ما صَارتْ إليه المصائرُ

* * *

وما هَمَّ بالتنقيبِ عن أيِّ صاحبٍ ... ففي نفسِه يأسٌ من النفسِ صادرُ

ولكنه أَلْقَى بها عَبْرَ نظرةٍ ... على الكونِ والأيامِ وهي دوائرُ

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الدَّيجور: الظلام والجمع: دياجر

٢- عَجّ يعجّ: رفع صوته وصاح.

٣- نأمة: الصوت الضعيف الخفي أيّاً كان

رُكامٌ وأشـــلاءٌ وأطـــلالُ نعمـــةٍ وبؤسٌ، وشَـــتى ما حوتَه الأداهرُ

وفي نفســـه مـــن مثلهـــا كلُّ ذَرَّةٍ فهاتيك أشـــلاءٌ وهَذي خواطرُ

تجَمَّـــعَ فيها مـــا تَفَـــرَّقَ في الوَرَى وما ضَمنَتْ تلك السُّنونُ الغوابرُ

خلاصـــةُ أعمارٍ وشـــتى تجـــاربٍ ومجمعُ أشـــواقٍ بها الكونُ حَائرُ

* * *

وأوغَل في إطْراقةٍ ملْؤُها الأســـى فمرّت عليـــه الذكريـــاتُ العَوابرُ

تَحتُّ خُطَاهـــا مَوْكِباً إثرَ مَوْكبٍ وقد جاورتْ فيها المآســـى البَشَائرُ

وأقبلـــتْ الآمالُ واليـــأسُ حَولها تُمزّقُهـــا أنيابُـــه والأظَافـــرُ

وجمّع فيهـــا الخيرَ والشـــرّ رابطٌ من النفسِ مشـــدودٌ إليها مُخَامِرُ[2]

وشَـــتى عبـــاداتٍ وشـــتى عقائدٍ يُؤَلِّفُهـــا الإيمـــانُ وهـــي نَوافـــرُ

وفيهـــا من المجهولِ ســـرٌّ وروعةٌ ورغبـــةُ محـــرومٍ وخوفٌ مُســـاوِرٌ

وقد كانَ في المجهولِ مَطْمَحَ كاشفٍ تُحَجّبُـــه عـــن طالبيـــه السَّـــتائرُ

فياليتَه يَـــدْرى بما خَلْف سِـــتْره فيختم سِفْرَ الناسِ في الأرض ظَافِرُا![1]

* * *

١- مخامر: خَامَرَ الشيء: مراسه وخالطه وخامر المكان: لزمه وأقام به.

٢- مساور: واثب ثائر، يقال: ساورته الهموم والهواجس والأفكار : صارعته.

٣- سِفرَ الناس: كتاب الناس

وعادتْ له الآمـالُ إذ جدّ مَطْمَحٌ يُرْجَـى، وأَذْكاه الخيـالُ المغامرُ
لعـل وراءَ الكـونِ مفْتَـاحُ لُغْزِه وطِلْسـم ما ضُمَّتْ عليه السَّرَائرُ
وما هي إلا وَمْضَةٌ تَكْشِـفُ الدُّجَى ويخلعُ هذا الجسـم والجسمُ جَائِرُ
ولـولا مواثيـقُ الحيـاةِ تُشـدُّه إليهـا لأمضى عَزْمَـهُ وهو صَابِر.
وخلَّف هذا الجسمَ للموتِ والبِلى وأشرقَ رُوحا حَيثُ تَصفُو البصائرُ
وعَـاودَه حـبُّ الحيـاةِ لِذاتِهـا وقد أَجْفَلتْ تلك النَوازِى الكوافرُ
وهاجتْ به الأطماعُ حُبَّ امتلاكِها لـه وحدَه والنـاسُ مَيْـتٌ وداثِر
فعـادَ إلى الدُّنيا العريضـةِ مالكاً ولا مَنْ يُلاحيه ولا مَن يُشـاطِرُ!
ولكنّـه لم يسـتطبْ مُلْكَـه الذي تمحَّـض لا يسـعى بـه أو يغامرُ
وما فيه مـن كدٌّ ولا من تسـابق ولا سـابقٌ في الكادحـين وقاصرُ
وكيـفَ يطيبُ العيـشُ إلا تزاحماً فيرْبَـح مجدودٌ ؛ ويَخسـر عَاثِرُ؟!

***

هنالك دوّتْ في السماكين صيحةٌ دعاءٌ لعزرائيـلَ والكونُ سَـادِرُ
((بَرِمْتُ بهذا الكونِ هَمدانَ مُوحِشاً بَرِمْـتُ بِمُلكٍ رَبُّه فيه خاسـر))
((فهيا إِذنْ للمـوتِ أَرْوِحُ رِحلةً لِتُكْشَـفَ أَسْـتَارٌ ويَهـدَأ ثَائِرُ))

***

وفيما يُعاني سَكْرَةَ الموتِ هَينَمتْ[٢٧] إلى مَسْـمَعيه هاتفـاتٌ سـواحِرُ
((هو السّرُ أن تَهفو إلى السّرِ لهفةً وأن تَشْتَرُوا الآتيَ بِما هُو حَاضِرُ))!

إلى الشاطئ المجهول *

تَطِيفُ بنفسي وهي وَسنانة سَكْرَى   هواتفُ في الأعماقِ سَاريةٌ تَتْرى[1]
هواتفُ قد حُجِّبْنَ؛ يَســرين خِفْيَةً   هوامسُ لَم يكشِــفنَ في لحظةٍ سِتْرا
ويَعْمُرنَ من نفسِي المجاهلَ والدُّجَى   ويُجَنِّبْنَ من نفســي المعالمَ والجَهْرا
وفيهن مَنْ يُوحِــين للنفسِ بالرِّضا   وفيهن مَن يُلْهِمْنَها السُّخطَ والنُّكْرا
ومن بينِ هَاتيــك الهواتِفِ مَا اسْمُه   حنينٌ. ومِنهُنَّ التشوقُ والذّكْرى!
أَهَبْنَ بنفسِــي في خُفــوتٍ ورَوعَةٍ   وسِرنَ بهمسٍ، وهي مَأخُوذةٌ سَكْرَى
سَــواحِرُ تَقْفُوهُن نفسي ولا ترى   من الأمــرِ إلا ما أردنَ لهــا أمراَ!
إلى الشاطئِ المجهولِ، والعَالَمِ الذي   حَنِنــتُ لمرآه؛ إلى الضِّفة الأخرى
إلى حيثُ لا تدري إلى حيثُ لا تَرى   معــالِمَ للأزمانِ والكَوْن تُسْــتَقْرَا.
إلى حيثُ ((لا حيثُ)) تُميزُ حدودَه!   إلى حيثُ تَنسى الناسَ والكونَ والدَّهرا
وتشعر أن (الجزءَ) و(الكلَّ) واحدٌ   وتَمْــزِجُ في الحسّ البداهةَ والفِكْرَا
فليس هُنا (أمسُ) وليس هنا (غَدُ)   ولا (اليومُ) فالأزمانُ كالحَلْقَةِ الكُبْرى
فليــس هُنا(غيرُ) وليــس هنا (أنا)   هُنا الوَحْدَةُ الكُبْرى التي احْتَجبتْ سِراً

***

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- وسنانة: أخذت في النعاس، وهو مبدأ النوم، تترى:: متتابعة.

خَلَعتُ قيودِي؛ وانطلقتُ مُحَلّقاً   وبي نشوة الجبارِ يَستلهِمُ الظَّفَرَا
أُهوّم في هذا الخلودِ و أرتقي   وأَسْلُك في مَسْراهُ كالطيفِ إذ أَسْرَى
وأكشفُ فيه عَالماً بعدَ عالمٍ   عجائبَ مازالتْ ممنّعةً بكْرَا
لقد حَجَبَ العقلُ الذي نَستشيرُه   حقائقَ جلَّتْ عن حقائقِنا الصُّغْرى
هُنا عَالَمُ الأرْوَاحِ فَلْنَخْلَعْ الحِجَا!   فَنَغْنَمَ فيه الخُلْدَ والحبَّ والسِّحْرَا

***

السر
أو
الشاعر في وادي الموتى *

اعتاد الشاعر أن يتردد كثيراً على وادي الموتى في أوقات مختلفة، أكثر ما تكونُ عند مغربِ الشمس، وقبلَ طلوعها !

وهو يجد في هذه الزيارات، لذةً غريبةً ، كما يجد مجالاً لتأملاتٍ غيرِ محدودة ؛ ولكنها تُثيرُ فيه الشوقَ لمعاودتها كَرةً أخرى.

وفي مرة منذ ستة أعوام ؛ أرقَ في الهَزيع الثاني، فجال بخاطره، أن يلجأ إلى حمى المَوتى، مدفوعاً بشعورٍ غَامض، لا يبالي وحشةَ مثل هذه الأماكن ، في جُنْح الليل المُدْلَهِم!

وسار خطواتَ، ولكنه أحس بالرهبة؛ وساوره الوجل، وشعر كأن أصواتا من وراء الحفائر تتناجى، ثم تُوجّه إليه الخطاب.

ليس للشعر يد في هذا التصوير؛ فهو الحقيقة التي أحسها ، كما يسمعُ الصوتَ ، وكما ينظر المرئيات .

وقد عاد صامتًا واجماً؛ وبعد أن ذهب عنه الرَّوع، حاول أن يفسر عن طريق (الوعي والتأمل) ما دفعه لهذه الرحلة، وما شعر به في أعماق نفسه.

ولقد ظل يعجز عن ذلك، كلما حاوله؛ مدى ستة أعوام، حتى استطاع في هذا العام، أن يترجم هذا الشعور شعرا؛ بعد أن فقد كثيرا من روعته، ووصل إلى الدرجة التي يستطاع عنها التعبير.

***

---

* نشرت في ١٩٣٤.

مَنِ الطارقُ السّارِي خلالَ المقابرِ كخَفْقَةِ رُوحٍ في الدُّجْنَاتِ عَابِرِ[1]

من الوجلُ المذعورُ في وحشةِ الدُّجَى تقلِّبُــه الأوهــامُ في كلِّ خَاطــرِ؟

ينقِّــلُ في تلك الدياجــيرِ خَطْوه ويَخطــرُ في هَمْسٍ كَهَمْسِ المُحاذرِ؟

وقد سَــكَنَتْ مِنْ حَولِهِ كلُّ نَأمَةٍ سِــوى قلبه الخفاقِ بينَ الدَّياجرِ؟

وغَشَّاه رَوعُ الموتِ، والموتُ رَوعةٌ تَغْشَــى، فيعنُو كَلُّ نِكْسٍ وَقادرِ؟

* * *

«هو الشاعرُ الملهوفُ للحقِّ والهُدى وللســرِّ لم يَكْشِــفْه ضَوءٌ لناظرِ!

تحيَّر في ســرِّ الحياةِ ومــا اهتدى إليه، ولَــم يَقْنَعْ بتلــكَ الظَّواهرِ

وسَاءلَ عنه الكونَ والكونُ حائرٌ يســيرُ كَمعْصُوبٍ بأيدي المقادرِ!

وسَاءَل عنه الموتَ، والموتُ سَادرٌ وسَاءَل عنه الشِّعَر في حَنَقٍ ثائرِ![2]

وسَاءَل عنه كلَّ شــيءٍ، فلم يَفُزْ بشــيءٍ ولم يرجعْ بِصَفَقَــةِ ظَافرِ

* * *

أفي هذه الأجداثِ طِلَسْــمُ سِرِّه لعلَّ! فمــن يَدْرِي بســرِّ المقابرِ؟

ألم يخلــعْ الموتــى الأحابيل كلَّها؟ أحابيــلَ أوهام الحيــاةِ الجَوائرِ![3]

ألم يتركُــوا الدُّنيــا الغَــرورَ لأهلِها؟ ويستوثِقُوا مما وراءَ المصائرِ؟

١- الدُّجنات: الدُّجنة: السواد أو الظلمة

٢- سادر : غير مبال بشيء.

٣- الأحابيل:مفردها الأحبيول، والأحبولة: المصيدة، والمراد هنا المظاهر الخادعة.

ألا تَهمسُ الأرواحُ بالسرِّ إنْ سَرى إليهـــا؟، ألا تُهدِي اليقـــينَ لحائرِ؟
أجلْ! رُبَّما تُعْطِي الجوابَ لســـائلٍ ورُبَّمـــا تجلُـــو المصـــيرَ لشـــاعرِ!

* * *

وفيما يُناجي في حِمى الصمتِ نَفْسه تَســـمَّع هَمْســـاً من خلالِ الحَفائرِ
«مَنِ الطارقُ السَّاري خلالَ المقابرِ فَأقلَـــقَ مِنَّا كلَّ غَافٍ وسَـــاهرِ»؟
«أما يَقْنَـــعُ الأحياءُ بالرَّحْبِ كلِّه؟ أيَا ويحَ للأحيـــاءِ صَرْعَى المَظَاهرِ»
«تَرَكْنا لهـــم دُنْياهُمـــو ودِيارَهم ولم يَدَعُونـــا في حِمى غـــيرِ عَامرِ»

* * *

وقالَ فتى منهـــم حديثٌ قُدومُه بنَغْمَـــةِ إشـــفاقٍ، ونَبْرةِ سَـــاخرِ!
«لعلَّ الذي قَدْ دَبَّ في ذَلك الحِمى وأيقـــظَ في أحْشَـــائه كلَّ سَـــادرِ»
أخُو صَبْوةٍ، يهفُـــو إلى قبرِ مَيِّتٍ لَـــهُ عنده وَجْـــدٌ وتَحنـــانُ ذَاكرِ»
«يقرِّبُـــه منها التَّذَكُّـــرُ والهوى وتُبْعِـــدُه عنهـــا غِلاظُ السَّـــتائرِ»
«ومَا أخْدعَ الحبَّ الذي في دِيارِهم! يُغَشِّـــى عَلى أبصارِهـــم والبَصائرِ»
وقالتْ لَهم أُمٌّ وفي صوتِها أسَـــىً وَنَبْـــرةُ تَحنـــانٍ، وكِتْمـــانُ صَابرِ
«ألا رُبَّما كانَـــتْ ثَكُولاً حَزِينةً على فَلْـــذةٍ مِـــنْ قَلبِهـــا المُتَناثرِ»
«ورُبَّما كانتْ عَجُـــوراً تَأيَّمَتْ وضَاقتْ بِدَهْرٍ نَاضبِ العَونِ غَادرِ»

* * *

وقَدْ ذَهبُوا في حَدْسِهم كلَّ مَذْهب   وفيما حَوَتْه نَفْسُــه مِنْ مَشــاعرِ!
وجَلْجَلَ صوتُ الشيخ يدْوِي كأنّما   هو الدهرُ في صوتٍ من الرّوعِ ظاهرِ
«مَنِ الطارقُ السّارِي خلالَ المقابر   فأقلق منّــا كلَّ غافٍ وسَــاهرِ!»

* * *

فقال أخو الأحياءِ؛ والقلبُ خافقٌ   منَ الوَجَلِ الأخّاذِ، في صَوْتٍ حاسرِ
«أنــا الحيُّ لمّا يدرِ أســبابَ خَلْقه   أنا المُدْلِجُ الحيرانُ بــينَ الخواطرِ»
دلفــتُ إلى وادي المَنَايَــا لَعلّني   أفــوزُ بســرٍّ في حَنَايــاه غائــرِ؟
أمــا تَعلَمُون السّــرَ في خَلق عَالمٍ   يموتُ ويَحيَــا بينَ حــينٍ وآخرِ؟
وَتكْنُفُــهُ الأحداثُ من كلِّ جَانبٍ   ويركبُ للغاياتِ شَــتى المَخاطرِ؟
وليــس لَــه من غايــةٍ غــيرَ أنّهُ   مَسُــوقٌ إلى تحقيــقِ رَغْبــةِ قاهرِ!
ضنينٌ بمــا يَبغِيــه ليــس يُبيحُه   لســائله عَمَّــا وراءَ الظّواهــرِ
ومــاذا لقِيتم بعد ما قَــدْ خَلَعْتُمو   قيــودَ الليالي الخادعــاتِ المَواكرِ؟
وماذا وراءَ الغيبِ؛ والغيبُ مُطْبقٌ؟   وهَــلْ يتجلّــى مــرةً للنواظــرِ؟
سؤالُ أخي شوقٍ، وقد طالَ شَوقُه   وحيرتُــه، بينَ الشــكوكِ الكَوافرِ

* * *

أرَيْتَ لو أنَّ الهــولَ صوّرَ منظراً   تُجلِّلُــه الأخطــارُ جَــدَّ غوامرِ؟
كذلك سَــادَ الصمتُ بين الحفائرِ   ورَانَ علــى أرواحِهــم والضّمائرِ
وأذْهَــلَ هَاتيك النفوسَ فخفَّضَتْ   من البَهْــرِ[٩٢] والإعياءِ دقّاتِ طافرِ!

وجَلْجَلَ صوتُ الشيخِ يَدْوي كأنّه يُحَــدِّثُ منْ كَوْنٍ قَصِــيٍّ المَعابرِ!
أيــا وَيْلهــا تلك الحيــاةَ وأهلَها تُكَشِّــفُ عن بلوائِها كلَّ سَــاترِ!
وتطلبُ أســبابَ الشَّقاء لنفسِها! فتضربُ في تيهٍ من الشكِّ حَاضرِ!
لقد أغمضَ الموتُ الرحيمُ جفونَنَا وهَــدَأ في أفكارِنــا كلُّ نَافــرِ
نســينا ســؤالاً؛ لم يزلْ كلُّ كائنٍ يــرَدِّدُهُ حــيرانَ في حَــزَرٍ حَازرِ
نســيناه فارتحْنا مــن الحَيْرةِ التي خَســرْنا بها الأعمارَ جَــدَّ نواضرِ
وها أنــت ذا تُذْكيه. يا لك جائراً ويــا لكَ مخدوعــاً بســرِّ المَقابرِ!
وهــا نَحن وَدَّعنا هــدوءاً وهينةً شــريناهما بالعُمرِ، يا للخســائرِ!
أريْتَ لو أنَّ الهــولَ صَوَّرَ مَنظراً تجلُلُــه الأخطــارُ جَــدَّ غَوامرِ؟
كذلك سَــادَ الصمتُ بينَ الحفائرِ ورانَ علــى أرواحِهــم والضمائرِ
وأذهَلَ هَاتَيك النفوسَ فخفضتْ من البهــرِ والإعياء دَقَــاتِ طَافرِ

* * *

وعَاد أخو الأحياء يعطو بحســرةٍ ولهفــةِ محــرومٍ، وإعيــاءِ خَائــرِ
لقد كانَ في المَوتى وفي الموتِ مَأمَلٌ يُعلله بالكشــفِ عــن كلِّ ضَامرِ
فألفى سَــراباً ثمَّ لا يَنْقَعُ الصَّدَى فــوا ندمــاً عــن بحثِــه المُتواترِ!
فقد كان خيراً أن يعيشَ على المُنَى ويأملَ بعدَ الموتِ كَشْــفَ السَّتائرِ
ويا ليتَ هذا الموتَ يُسْرِعُ خَطوهُ فيَطْــوي حَيا عُمرِهِ رِبْحَ خَاســرِ!

التجارب *

كثيراً ما يَبْرَمُ الإنسانُ بماضيه أو حاضره، ويسخطُ على تجاربه ومصائبه!

وقد تصوَّر الشاعر شقياً أعفته الأقدارُ من ماضية وتجاربه، وأطلقته كأنما وُلد في لحظته، ولكنه لم يستطبْ حاله، لأنه لم يجدْ رَكيزةً يرْكنُ إليها، وودَّ لو أنَّ الأقدار وهبته ماضياً سعيدا؛ فاستجابت له. ولكنه عاد يشعرُ بغربته عن ذلك الماضي، ولم تعدْ هناك قيمة لآماله، التي خلقها ماضيه هو، وارتبطت به، وعندئذ عاد لماضيه في لهفة واشتياق إليه.

* * *

شَكا بُؤسَ ماضيه الحفيلِ الجوانب بكل مصابٍ فادحِ العِبْءِ صَائبِ![1]

وضَاق به صدراً على طُولِ صُحْبةٍ تُملُّ، ويَا بِئْسَ الأسى من مُصَاحِبِ!

وودّ لــو أنَّ الدهرَ يُعْفِيــه بُرهةً من الغابــرِ المملولِ جَــمِّ النَّوائبِ

فأصْغَتْ لـــه الأقـــدارُ في أُمْنياتِه علـــى أنها لم تُصْغِ يومـــاً لِطالبِ

وأعْفَتْـــه مـــن ماضِيه حـــتى كأنّه وليدٌ خَليُّ القلـــبِ من كلِّ نَائبِ!

* * *

نَضَا عَنْه أعْبَاءَ السِّـــنينَ الغَوارِبِ ونَحَّى عن الآمالِ قيدَ التجاربِ[2]

وعَـــادَ طليقـــاً لا يُعـــوِّقُ خَطْوَه مَرَّاسٌ؛ ولا يَثْنِيـــه خَوفُ العَواقبِ

---

* نشرت: ١٩٣٤

١- نضا الشيء: نزعه وألقاه.

٢- المرّاس: ذو الشدة العظيمة.

وخُفِّضَ صوتُ الذكرياتِ أو امَّحى   وجَلْجَلَ كالنَّاقُوسِ صَوتُ الرَّغائبِ
وآضِ وليدُ اليـــومِ في مَيْعَةِ الصِّبا   جديداً بدنياه؛ جديـــدَ المطالبِ[1]
بعيداً عن الماضِي الذي آدَهُ الأسى   وحَفَّتْ به الأحداثُ من كلِّ جَانبِ[2]

* * *

ولكنّـــه ألْفَاه أسْـــوَانَ مُوحشـــاً   كما أُفْرِدَ الإنْسِيُّ من كلِّ صَاحبِ
وألفَـــاه في هـــذي الحيـــاةِ كأنَّه   غريبُ عَـــرا، في عَالَمٍ مِنْ غرائبِ[3]
وألفاه مقصوصَ الجَنـــاحِ إذا هَفَا   إلى الأوجِ لم يُسْـــعِفْه عزمُ المُغَالبِ
وإنْ هَـــمَّ لم يُبْصِرْ لَـــه من ركيزةٍ   تَضَاعَفَ عندَ الوَثْبِ جَهدَ المُواثبِ
وقَدْ أبْصَرَ الآمَـــالَ عَرْجَاء لم تجدْ   لها سَـــنَداً من ذِكْرَيـــاتٍ ذَواهبِ
فعادَ إلى الأقدارِ يشـــكُو صَنيعَها   ويُوسِعُها في شَـــكْوه عَتْبَ عَاتبِ!
أما يستطيعُ الدَّهرُ – لو شَاء نَصفَةً   له – عوضاً من غابـــرٍ منه خَائبِ
بماضٍ سعيدٍ لم يَشُبْ صَفوَه الأسَى!   فيحيا علـــى رُكْنَيْن: آتٍ وذَاهبِ!

* * *

فَأصْغَتْ لـــه الأقْـــدارُ في أُمنياتِه   على أنها لم تُصْغِ يومـــاً لِطالبِ!
وأعطَتْـــه أنْقى صفحـــةٍ في كِتَابِها   لأسْـــعدِ مَخْلوقٍ وأهنَـــأِ رَاغبِ!

* * *

١- آض الشيء كذا: تحوّل إليه، ميعة: ميعة الشيء: أوله
٣- آداه: قوّاه وأعانه
٣- عَرا: من العُرى، والمراد: إنه وجد نفسه غريباً أو عارياً من كل فضيلة.

ولكنـــه ألفـــاه لم يغـــدُ مالـــكاً لِمـــا مَنَحَتْـــه مِنْ عَزيـــزِ المَواهبِ

وألفاه لم يكْشِـــفْ خَبيئةَ نفســـه لذياك الماضي الـــذي لَمْ يُصَاحِبِ!

وأَبْصَـــرَ بالآمـــالِ حَـــيرى كأنما تَســـاءَلُ عن دَاعٍ لها جَـــدِّ دَائبِ

دَعَاهَـــا فلمَّا أقْبلتَ من سَـــمائِها رأتْ غيرَه في غَفْلَـــةٍ غيرَ رَاقبِ[1]

ومـــا الأملُ «البسّـــامُ» إلاّ رغيبةٌ لنفسٍ ترى مِنْ دَهْرِها وَجْهَ «غَاضِبِ»

* * *

فَعَـــادَ إلى الأقْدَارِ يَطْلُـــبُ عَوْنَها عَلى رَجْعِ مَاضِيه بِحَسْـــرَةِ تَائبِ!

أجَلْ عادَ مَلْهُوفـــاً لِمُرّ التجاربِ وأيامه الأولى الظِّماءِ السَّواغِبِ[2]

أجَلْ ذلك الماضي الذي هُو بِضْعَةٌ مِنَ النفسِ دُسَّتْ في الحَشا والترائبِ[3]

* * *

فأصغتْ لـــه الأقـــدارُ في أمنياتهِ علـــى أنّها لَم تُصْـــغِ يوماً لِطالبَ!

وعَـــادَ إلى دُنْيـــاه مِنْ بَعْـــدِ غُربةٍ وألقتْ عَصَاها واســـتقَرّتْ بآيِبِ

* * *

١- دعاها الماضي الشقي وأقبلت فوجدت الماضي السعيد غير ملتفت لها.

٢- السواغب :مفردها ساغبة: جائعة متعبة.

٣- الترائب: عظام الصدر موضع القلادة، والمراد دُسّت في القلب والصدر.

خبيئة نفسي *

خبيئةَ نفسي؛ قد غَفَا الكونُ فاسفِري   وكوني سَميري، بعد أنْ نامَ سُمَّري
سَهَا الدهرُ والأقدارُ رنَّقَها الكَرَى   وهوَّم في جوفِ الدُّجَى رُوحُ خيِّرِ (١)
يُطيفُ على العَانين بالعطفِ والرِّضا   ويغمــرُ بالإغفــاءِ رأسَ المفكــرِ
وينتظــمُ الدنيــا هــدوءاً كأنهــا   عــوالمُ في وادي المُــنى لم تُصــوَّرِ
فلا صوْتَ إلا خَفْقــةٌ من جوانحٍ   كما خفقتْ للضــوءِ عينُ المُصوِّرِ
ولَــمْ يَبْقَ من تلك الحيــاة وأهلِها   سوى طيفِها السَّارِي بوادِي التَّذَكُّرِ

* * *

خبيئةَ نفســي مِن عهودٍ ســحيقةٍ   ومن جَوفِ آبادٍ مضتْ قبلَ مَولدي!
أُحِسُّــكِ في أغوارِ نفسي ولا أرَى   مُحيَّــاكِ إلا كالخيــالِ المُشَــرَّدِ
علمتُكِ حــتى أنتِ مِنِّــي بُضْعةٌ   جهلتكِ حتى أنتِ في غيرِ مَشْــهدِ
ويــا طَالما أخلفــتِ لي كلَّ مَوْعدٍ   ويــا طالما ألقــاكِ في غــيرِ مَوْعدِ!
عبجتُ فكــمْ مِنْ نفــرةٍ تَنْفُرينها   على فَرْطِ مــا تُبْدينه مــن تَوَدُّدِ!
حديثُكِ من نفســي قريبٌ؛ وإنما   إخالُــكِ في وادٍ من التِّيه سَــرْمَدِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- رنقها: كدّرها.

خبيئةَ نفســـي، ما تُرى أنتِ؟ إنني أريـــدُك في جوٍّ من الضـــوءِ مَعلَمِ
أعنصـــرُكِ الإيمـــان والطُّهرُ أصلُه وإلا إلى الكفـــرانِ والرِّجسِ مُنْتَمِ؟
وفي أي وادٍ أنْتِ تســـرين خِلْسَةً؟ ومـــن أي عهدٍ في الجهالاتِ مُبْهمِ؟
وكم فيك من نصرٍ، وكم مِنْ هَزيمةٍ تَجاوزتَـــا في حَشْـــدِكِ المتَزَحِّـــمِ
وكم فيك من يأسٍ؛ وكم فيَك مَأملٌ وكـم مـــن تَردٍّ، أو وثـــوبِ تَقَحُّمِ
وكم فيك من حُبٍّ، وكم فيك بغضةٌ ومِنْ رُشْـــدِ إلهامٍ، إلى خَبْطِ مُظْلمِ

* * *

خبيئةَ نفســـي في ثنايـــاكِ مَعْرِضٌ لمـــا لَقِيَتْـــهُ الأرضُ في الجَـــوَلانِ
وفيـــك من الآبـــادِ ســـرٌّ وروعةٌ وفيـــك صِراعاتٌ بـــكلِّ زمانِ[1]
وفيكِ الْتقى الإنسانُ من عهدِ خَلْقه وفيك الْتقَى الرُّوحـــيُّ والحَيواني
وإنـــكِ طَلْســـمُ الحيـــاةِ جميعها وصورتُها الصُّغـــرى بكلِّ مكانِ[2]
أبيني إذنْ عن ذلـــك العالمِ الذي تضمَّنتـــهِ مـــن صُـــورةٍ ومَعَـــانِ
أبينِـــي أُطَالِعْ في ثنايـــاكِ مَا مَضَى ومـــا هُـــو آتٍ مِـــنْ رُؤىً وأمَانِ

* * *

١- الآباد: مفردها الأبد وهو الدهر .
٢- الطِّلسَمُ: السرُّ الغامض.

الخطيئة*

مِنْ خِـــلالِ الظَّلماءِ في بَهْمَةِ اللَّيلِ تَمَشَّـــتْ كالحيَّـــةِ الرَّقْطـــاءِ
تُوقظُ الجِسْـــمَ والغزيزةَ بالْهَمْسِ وتَطغـــى علـــى الحِجَا والـــذكَاءِ
وَهْيَ من خشـــيةِ الضَّميرِ تَوارَى في زَوايـــا الميـــولِ والأهـــواءِ
فـــإذا شَـــعَّ مِنْ سَـــنَاهُ شـــعاعٌ أرْجَفَتْ منه، وانـــزوتْ في التواءِ
وإذا خيَّـــم الظَّـــلامُ تـــراءَتْ في احتـــراسٍ مِـــن أعـــينِ الرُّقَباءِ!

* * *

لحظـــةٌ تلـــك ثم خَيَّـــم صمتٌ وظَـــلامٌ؛ فما تَـــرَى مِـــنْ ضِيَاءِ
فمضـــتْ تُضـــرِمُ الغريـــزةَ ناراً وتُثـــيرُ الشُّـــواظَ بـــينَ الدِّمـــاءِ
البِدارِ البِـــدارِ يا أيها الْجِسْـــ ـــمُ شِفاءً من الطَّوى والظُّماءِ![1]

* * *

وتوارى (الإنســـان) حين تبدَّى (حبـــوانٌ) ذو شِـــرَّةٍ نَكْـــرَاءِ
وإذا بالخطيئَـــةِ السَّـــوْءِ نَشْـــوَى بانتصـــارٍ، نالتْـــهُ في الظَّلْمَـــاءِ!

* * *

---

* نشرت في نيسان (أبريل) عام ١٩٣٥

١- البدار: الإسراع. الطّوى والظماء: الجوع والعَطَش.

القطيع *

لَظى الشمسِ ؟ أم فَوّارةٌ من جهنمٍ تَسـيلُ شَـظَاياها، وتنضَحُ بالدّمِ
هو القيظُ قد فـازتْ ينابيعُ وَقْده وفاضتْ على الأرضين في كل مَجْثَمِ
وضَاقَ رُواقُ الظّل عنها وأرسلتْ من الشـمس أرسالٌ إلى كلّ مُبْهَمِ
فمالَ إلى الرّاعي الشّطوطِ قطيعُه يَبـثُّ رجـاءً في ثُغـاءٍ مُتَمْتِـمِ
ونَاجَاه، ويحَ الظلّ إنْ نحن لم نَملْ إليـه، ويا بُؤْسَـاه سـعياً لِمَغْنَمِ!
عَيينا بهذا الضّـرْب في كلّ حَرَّةٍ وراءَ ذَمَاءٍ من شَـرابٍ ومَطْعَمِ[1]
وما أنتَ – لو تدرِي – برابحِ صَفْقَةٍ ولا نحـنُ؛ إنّا كلّنا ذلـك العَمِي!
نسـيرُ بصحراءِ الحياةِ، ولا نَرى سِـوى ظِلّنا، يَطْغَى على كلّ مَعْلَمِ
يُسَـخِّرُنا مَـنْ لا نـراه، لغايةٍ يَراهـا، ولم نُـؤذَنْ بها أو نُفَهَّمِ!
فيا أيُّهـا الرّاعِي هـدوءًا وهَيْنَةً إلى الظـلّ نَرْتَعْ لحظـةً أو نُهوّمِ[2]
فمـالَ به الرّاعي إلى ظـلّ دَوْحةٍ ظليلٍ، وعُشْبٍ نابتٍ قُرْبَ جَدْولِ

* * *

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٣٥

١- الحرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت ، ذماء: البقية.

٢- النهومُ: النوم الخفيف.

تَناهَى إليها الطيرُ من وَقْدة اللَّظى وثــابَ إليها الظِّــلُّ في غير مَعْجَلِ
وألْقَــى عصاه، ثُمَّ ألْقَى بجســمه وقد ضَافَه بالأيْنِ طــولُ التنقلِ[1]
وراغَ إلى المـاء القطيــعُ كأنما تَدَهْدَهَ جَرفٌ مــن بَطيحٍ مُزَلْزَلِ
يَعُبُّ وَيستســقي بشــوقٍ ولهفةٍ ويُفْعَــمُ ريًّــا مــن مُعــلٍّ ومَنْهلِ
فلما ارْتَوى آوى إلى الظلِّ مُجهداً وقد خلَّ في أعضائــه كلَّ مَفْصلِ
فنامَ على الأعشابِ، مَا إنْ تُرى له رؤوسٌ، فقد دُسَّتْ بأحناءِ مَدْخَلِ
توحَّدَ جسمُ الشَّاءِ كالزَّرَدِ التقتْ مَدَاخِلُه، وانْسَابَ جَمَّ التَسَلْسُلِ[2]
كأنَّ شــاءَ ذياك القطيــعِ تَوَحُّداً فأغفــلَ ذاك الرأسَ رمــزَ التعقلِ
ويا طالما قد فَرَّق الناسَ رَأْسُــهم وما يَقتضيــه من طِمــاحٍ ومَأْمَلِ

* * *

وطافتْ على الراعي رُؤىً عَسْجَديةٌ وجالــتْ به الأحــلامُ كلَّ مَجالِ
لقــد هبطَ الــوادى فألْقَــاه جنةً بمــا فيه مــن خَفْضٍ وهَــدْأة بَالِ
ومــاءٍ غزيرِ النبعِ سَلْســالِ مَنهلٍ يَحُفُّ به عُشــبٌ وفيــضُ ظِلالِ
ألاَ إنــه هــذا النعيــمُ ، وإنهــا هي الجنــةُ الفَيْحاء خلــقُ خَيالِ!
وقد غادرَ الوادى إلى الغابِ، ياله من الخوف في هَــوْلٍ به وصيالِ[3]

١- الأين: الإعياء والتعب.
٢- الزَّرد: حلقُ الدّرعِ، المراد أن الشاء في تجمعها أو تكورها كأنها مغطاة درعٌ من حِلق.
٣- الصيال: غالبه ونافسه.

يُزمجر فيه الوحـــُش من كل فاتكٍ قـــد اختلطـــتْ أصواتُـــه كعَوالِ

وتَعْصِفُ فيه الريحُ، ياهَولَ عَصْفِها زئيرُ أُســـودٍ، أو فحيـــحُ صِلالِ[1]

فهَـــبَّ مَفيقـــاً، يســـتبين حياتَه ليوقـــن أن لم تَصطـــدم بوبـــال

فألفى قطيعَ الشـــاءِ يدعوُ فصيلَه إلى التّدىْ ، في صوتٍ يجلجل عالِ

وأطرقَ يستوحى الرُّؤىَ ويحها الرؤى إلى أين قد طافَتْ بـــه غيرَ عَالَمِ؟

وأين مـــن الوادى خُطَـــاه؟ وإنها لآ مأُل رَاجٍ أو خيـــالاتُ حَالَمِ !

وأين هـــو الغابُ الرَّعيـــب؟ وإنّه ليهفُـــو إلى مـــاضٍ ســـحيقِ المعالمِ

لأعيـــاه تَاؤيُل الـــرُّؤى ، غير أنّه يحسُّ هدوءاً في ضَلالِ الطلاســـمِ

فمـــال على (أرغوله) يَستَجيشُـــه خواطـــرَه بالذكريـــاتِ الهوائـــمِ

فرجَّـــعَ أنغاماً من الغـــابِ وزْنُها وألحانُهـــا نســـمُ الريـــاضِ الحَوالمِ

فأوزانُهـــا ذكـــرى، وألحانُها مُنىً كذلك يشدو في الورى كلُّ نَاعمِ

وقد رقَّتْ الآصاُل وانْسلّتِ الصَّبا وصاتَ مع الأرغولِ صوتُ السَّوائمِ

فـــكان مِزَاجاً من جمالٍ وَوَحْشَـــةٍ ولـــذَّاتِ مَوهـــوبٍ وآلامِ غَارِمِ

وغَشَّـــى على الدُّنيا ظلاَمٌ فهوّ متْ ونامـــتْ كطفل في الغِـــرارِ هَائمِ

* * *

١- الصّلّ: الحية من أخبث الحيات، والجمع: الصِّلال.

على القمة*

نظـــرتُ إليها وهي شَـــمَّاءُ تذهبُ   كما لاَحَ في أفْقِ السمواتِ كوكبُ
فأعجبـــني منها السُّـــموقُ وهَالَني   تَطاولُها والرّيح تَطغى وتَصخبُ[1]
وطـــارَ خيـــالي فوقَهـــا ووراءَها   يصـــوّر مـــن أطيافِهـــا مـــا تَغيّبُ
عجائـــبُ لَم تخْطُر على البالِ مِثْلُها   ودُنيا من الأحـــلام تَزْهُو وتعجبُ
وقلت: ســـعيدٌ من تطـــاولَ كَفُّهُ   ذَرَاها وتـــدرِي عينُه مـــا تَحجبُ
دَلَفْتُ إليها، والخُطَا تَسْـــبِقُ الخُطَا   وفي النفس شَوقٌ يَسْتَحِثُّ ويُلْهِبُ
هو الشوقُ للمجهولِ يَهْمسُ طيفُه   وتَهْفُـــو رُؤاه مغْريـــاتٌ وتَغْـــرُبُ
هو الشـــوقُ للرُّقيا وفي الحيِّ حافزٌ   إليهـــا فيرقـــى في الحيـــاةِ ويَغلبُ
دَلفْـــتُ فلم أنظُـــرْ إلى الخلفِ مرةً   وهل ينظرُ العَجْلانُ مـــاذا يُعَقّبُ؟
وما عاقَني جُهدٌ ولا وَقْعُ عُثْـــرَةٍ   وأنْسَـــتْنِي الأشـــواقُ أنّـــي مُتْعَبُ
هنا القِمَّةُ الشَـــمَّاءُ يَا حُسْنَه هنا!   ويا حُسْنَ ما يدنُو إلى النفسِ مَأرَبُ
تأمّلْتُهـــا فرحـــانَ أخفقُ نَشـــوةً   وأوْشـــكُ أُغْذِي سَـــنَاهَا وأشْرَبُ
وقلتُ: هنا يا نفسُ أشْـــرَفُ بُقْعةٍ   وأرْحَب أفقٍ في الســـماواتِ يَرقُبُ
وإنّـــك مِن فـــوقِ التـــلالِ طَلِيقةٌ   ولم يَبْـــقَ مَســـتورٌ عليـــك مُغَيّبُ

١- نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر) ١٩٣٧

٢- السموق: الارتفاع والعلو

فَقَرِّى هنـــا يا نفسُ جَدُّ ســـعيدةٍ   فليس وراءَ الأفقِ يا نفسُ مَطْلَبُ»

وأغمضتُ عيني سَابحاً في خواطِري   وبي نَشْـــوةٌ تَطفُو بنفسٍ وتَرْسُـــبُ

فمـــا رَاعَـــني إلاّ الزمـــانُ يَلُفُّني   إلى الضِّفَّة الأخرى كما لَفَّ كوكبُ

إلى أيـــنَ ؟ لاتَعجلْ رُويـــدكَ هَيْنَةً   فما هكذا تُطـــوى الأمَاني وتَذْهبُ

وما هكذا يُجْـــزَى الذي جَدَّ جَدُّه   إلى القمةِ الشـــمّاء، والقلبُ مُلْهَبُ

وخلّـــفَ في ناءٍ من السَّـــفْحِ زَادَه   وما عَـــزّه في ذلك الوعـــرِ مَرْكبُ

رويـــدكَ يا هـــذا الزمـــانُ فإنني   من الهوّةِ الجَرْداءِ أخْشَـــى وأرْهَبُ

وإن لا يكنْ بُدٌّ من الســـير فانطلقْ   إلى الخلـــفِ إنِّي عَاذِرٌ لـــك مُعْتِبُ

تَألَّفْتُـــه يومـــاً فإنْ عُـــدتُ لم أعُدْ   إلى غربـــةٍ تخفُـــو علـــيَّ وتَنْكُبُ

ولكنّـــه لم يُصْـــغِ لي في ضَرَاعتِي   ومـــازال يَهْـــوِي بي ولا يَنْكُـــبُ

إلى الهوةِ الجـــرداءِ فالعُمرُ مُجْدِبُ   إلى الهـــوةِ الجرداءِ فالدّهْـــرِ يَلْعبُ

* * *

١- تَنكب: تميل عني. والمراد تبتعد

مصرع قصيدة*

أحسسْتُ مَصْرَعَها بنَفْسِي بينَ التأوُّهِ والتأسِّي
وسمعت حشرجة الجريح تئنُّ في أطواء حسِّي
هي من بنات الشّعر لم تُولَدْ، ولم تُوأَدْ لوَكْسِ[1]
جاشت لفاتنةٍ على الشُّطآنِ ذاتِ رِضاً وأُنْسِ
نضِجَت محاسُنها كما نضجت قطوفُ جنىً بغَرْسِ
وحسبتها صينت على الـ أنظار من قطفٍ ومسِّ
فهممتُ أدعوها دعاءَ الفَنِّ في خطراتِ همسِ
شعراً يسِّجلُ حسْنَها للكون في أحناءِ طِرْسِ
وإذا الأيادي القاطفات تجول في عَبَثٍ وبخسِ!
يا ويل قُطّاف الجمال بغير ما وَرَعٍ ونَطْسِ[2]
بَيْنا نَحُومُ عليه في تَقْوى كما نَرْنُو لِقُدْسِ!

* * *

وإذا التي جَاشَتْ بنَفْسِي تُثوّى مُضَرَّجَةً بِحِسِّي!

* * *

---

* نشرت في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٣٨

١- الوكس: العيب والنقص.

٢- النطس: من نطِسَ أي دقق النظر في الأمور واستقصاها.

وجوه طريفة*

طَالِعِيــنِى في كلّ يــومٍ بِوَجْـهِ   فلديكِ الوجـوُهُ شـتَّـى طريفَهْ
وَافْجَئِينِــى لديــك بالخَطْر المَحبو   بِ يُجَـدِّدْ حياتَنـا المَأْلُوفَـهْ
بــتُّ أَشْـتَاقُهُ وأرقُـبُ مَـاذَا   يَحْمِـلُ اليومُ من أمـانٍ مَخُوفَهْ!
كلَّ سَـمْتٍ أراكِ فيـهِ جميـل   كلُّ ظـلٍّ أراكِ فيـه شَـفيفه
أنـتِ مـا أنـتِ؟ عَالَـم مُترامٍ   أبْـدَعَ الفـنُّ والمُنَـى تَألِيفَـهْ
أنـت كُثْـرٌ فَفيكِ تَحْيَـا طُيُوفٌ   كلُّ طَيـفٍ لـه رُؤاهُ المُطيفَـهْ
تـارَةً أنـتِ حَـرَّةٌ أصْطَلِيهَـا   وإذَا أنـتِ كالرِّيـاضِ الوَرِيفَـهْ
وَتَلُوحِـينَ قِطْعَـةً مِـن حَنـانٍ   وَتَلُوحِـينَ بَعْـدَ حِـينٍ مُخِيفَـهْ!
وأرى فيـكِ طِفْلَـةً لم تبـارحْ   مَلْعَـبَ الطِّفْلة. اللّعـوب الخَفيفَهْ
وإذَا أنـتِ قَهْرَمَانَـةُ دَهْـرٍ   مُوْغِـلٍ في المَسَـارِبِ المَلْفُوفَـهْ(١)
وإذا ما انْطويتِ أمسـيتِ سِـرًّا   صَانَـهُ الدَّهْـرُ مُحْكِمـاً تَغْلِيفَه
وإذَا مـا انطلَقْـتِ مثلَ شُـعَاعٍ   كنـتِ رَقْرَاقَـةً وكنـتِ لَطيفَـهْ
لـكِ طَعْـمٌ أذُوقُـهُ بـل طُعُومٌ   كُلُّهَـا نَاضِـجٌ هَويـتُ قُطُوفَـهْ
هُـوَ طَعْمُ الحياةِ في فَـوْرَةِ النُّضْجِ   شَـهِيُّ الْجَنَـى خَبِـرْتُ صُنُوفَهْ

* * *

---

* نشرت في آذار (مارس) عام ١٩٤٢

١ - قهرمانة: مدبرة البيت ومتولية شؤونه ويقال: المرأة ريحانة وليست بقهرمانة.

إلى الظلام*

إلى الظَّلام الأمين تَحدَّري يَا سَفيني
وَجَانبي كلَّ نورٍ النُّورُ يُؤذى جُفُوني
لَقَدْ حَطمْتُ شِرَاعي ومِجْدَفي ويَميني
وهدَّ عَزْمِيَ مَوجٌ يَثُورُ كالمَجْنُون
أخْشَاه أخْشَاه جُهدي فَحَاذِري يا سَفِيني!

* * *

طَالَ الصِّرَاعُ ونَاءتْ نَفْسِي بِعِبْءِ السِّنين
أُريدُ وَقْفَةَ أمْنٍ في مَجْهَلٍ مَأمُون
أُزيحُ فيهِ قَليلاً عَن عَاتِقي المَوْهُون
وأستريحُ رُويداً من الصِّراع الحَرُون[1]
وقد أُعاوِدُ سَيْرى في اللُّج أزجى سفيني

* * *

إلى الظلام الأمين إلى مَلاذ السُّكون
طَالَ التيقُّظُ حتَّى أعْشَى السُّهادُ عُيوني[2]
إلى المَسَارِبِ فَامْضي لأنْزَوِي عن شُجُوني
وعَنْ رَجائي ويأسي وكلِّ ما يَعْنيني
الانْزِوَاءُ مُريحٌ فَأوْغِلي يَا سَفِيني

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤.

١- الحرون: المتمرد والمراد : الصراع المرير.

٢- أعشاها: أضعفها.

قافلة الرقيق *

قِــفْ بنا يا حَــادِي العمــر هُنا لَحْظَــةً تَنْظُــرُ مــاذَا حوْلَنــا
في طَرِيــقٍ قَــدْ نَثَرْنَــا عُمْرَنــا فيــه أشــلاءَ حيــاةٍ ومُنَــى

* * *

قــد نَثَرْناها على طَــولِ الطريقْ ومَضينَا ضِمْــنَ قُطْعــانِ الرَّقيقْ!
مَوكِبٌ يَعطُو إلى الشَّطِّ السَّحيقْ مُغْمَــضَ العينين يَسْــرِى مَوْهِنا[1]

* * *

من ظَــلامِ الغَيبِ تَخطُــو قَدمَاه لظَــلامِ الغيــبِ تَنْسَــاقُ خُطَــاه
في طَريــقٍ غامــضٍ يُدْعَى الحياه يَهْتِــفُ الحــادِي فيمضِــي مُذْعِنَا

* * *

لَهَفَــةً لو عُدتُ أرْعَــى خُطَواتِي في طَريــقٍ دَرَجْــتُ فيــه حَياتِي
فَتطَلَّعــتُ إلى هــذا الشَّــتاتِ وأنــا في الكَــرَّةِ الأخْــرى أنَــا!

* * *

لَتَمَلَّيــتُ شِــيَاتِي وسِــماتِي وأمَانِــيَّ ويأسِــي ورَجَاتِــي[2]
وحَمَاقَاتِــي ورُشْــدِي وهَنَاتِــي والهَــوى الحَانِــي الــذي ظَلَّلنــا

---

* نشرت في عام ١٩٤٦.

١- المَوهِنُ: نحوٌ من نصف الليل أو بعد ساعة منه. والمراد ليلاً.

٢- شِياتِي: مفردها الشِّية. العلامة.

* * *

كلُّها عَاهَـدتُ أن أقْضِي عُمرِي وأنـا أُخْلِصُهـا سِـرّى وجَهْرِي
وإذَا السّـوْطُ هَوى يُلْهِبُ ظَهَرِي حيثُ لا أسْـتطِيعُ رَيْثـاً أو وَنى[1]

* * *

وإذا الآمَـالُ والآلامُ خَلْفِـي سَـاخِرَاتٌ مِنْ مواعِيـدي وخُلْفِي
مُلْقَيـاتٌ بـينَ إهمـالٍ مُسِـفٍّ لم أُوَدِّعْهـا. فيـا وَاحَزَنَـا![2]

* * *

أيُّهـا الحَـادِي ألا فامـضِ بِنَا قـد أثـارتْ ذِكْرَياتِي الشَّـجَنَا
لم نعُـدْ نَجـزعُ لو تَحْـدُو لَنَا: «نحـن لا نَرْجَـع يوماً هـا هُنا»

* * *

١- الريث: التمهُّل ، الونى: الضعف.٢- المُسِفّ: من أسَفّ إذا دنا إلى الطريق.

في مفرق الطريق *

بين نفسين من النفوس الكثيرة التي تعيش في الإنسان الواحد متفرقة في بعض الأحيان. دار هذا الحوار... فأما إحداهما فتتعلق بماض عزيز لا رجعة له ولا أمل فيه، وأما الأخرى فتترع إلى العزاء بالتطلّع إلى جديد:

أنْـتَ أوْغلتَ في الظـلامِ طويلاَ   فمتى يـا رفيـقُ تبغـى القُفولا؟
شـدَّ ما آدَنَا التخبُّـطُ في الليلِ   وخِفْنـا ظلامَـه المدخـولا![1]
ورأينَـا الأوهامَ تبدو شـخوصاً   ورأينا الشـخوصَ تبدو هَيُولَى[2]
وَخَبَرْنـا فلـم يُفِدْنـا اختبـارٌ   وسَـخِرْنَا مِمَّـا خَبَرْنَـا طَويـلاَ
يـا رفيقـي. إذا قَـدَرْتَ فأوِّبْ   إن هـذا الظـلامَ يُضْنِـي العُقُولاَ

* * *

أنا أخشـى الضيـاءَ أُبْصِر فيها   ذكريـاتي تبدلـتْ تبديـلاَ
أنا أخْشـى النَّهار يكشِـفُ عني   كلَّ وَهْـمٍ أرُودُه تعليـلا
أنـا يا صاحِـبي أُشِـيحُ بوجهي   أنـا أرى عهْدنـا تَـرَدَّى قتيلا
أنا يَـا صَاحِـبي أُدافِـع عَقْلِي   أنْ يَـرُودَ الْيَقِـين جهمـاً ثَقيلاً
الظَّـلامُ الظّـلام أرْوَحُ للقلبِ   ولـو كان لا يُريـح العقـولا!

* * *

---

* نشرت في آب(أغسطس) عام ١٩٤١

١- آدنا: أتعبنا وأهرقنا.

١- الهيُلى: مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للتشكيل والتصوير في شتى الصور.

يَا رَفيــقُ. الحَيَاةُ أسْـمى وَأغْلى أن تُقَضّـــى كــذاك وهمــاً ضئيلاً

يــا رفيــقُ. الحياةُ أقصــرُ عهداً أن تُضحّـــى ســاعتها تخْييـــلا

أُبْ مـــن الظُّلمـــةِ الحبيبة واهجُرْ كلّ مـــا كان في الحيـــاةِ الأولى

وتطلّـــعْ إلى جَمـــالٍ جَديـــدٍ أفلـــم تَلْـــقَ في الحيـــاةِ جميـــلاَ؟

عِـــشْ بما قـــد وُهِبْتَهُ مـــن حياةٍ مُسْـــتثارَ الإحســـاسِ نَهِماً عجُولا

* * *

آه يـــا صاحـــبي أتجهـــلُ أنّـــى أفقِـــدُ الـــدّارَ إنْ فقـــدتُ الطُّلولاَ

ذاك عهـــدٌ أنفقتُ فيـــه رَصيدي كلّـــهُ لم أُبْـــقِ منـــه قليـــلاَ

أتُراني أُجـــدِّدُ الذُّخـــر والعُمـــ رمُـــوَلٍ والجَهْـــدُ أمســـى هَزيلاَ؟

أنـــا باقٍ هُنـــا فإن شـــئتَ دَعْني ورُدِ الْكـــونَ حافـــلاً مَأهُـــولا

أنـــا بـــاقٍ هُنـــا أرُودُ طُلُـــولي لَم أعُدْ بَعـــدُ أســـتطيبُ القُفُولا!

* * *

أقدام في الرمال *

نحنُ؟ أم تلك على الأرضِ ظلالْ؟   وخيالٌ سَارِبٌ إثْر خيالْ
في متاهاتِ وجودِ لزوالْ   كبقايا الخطو في وجه الرِّمالْ

زُمَرٌ تَدْلفُ في إثْرِ زمَرْ   وَيْحَ نفسي ! إنه ركبُ البشر
مغمضُ العَيْنَيْن في كَفِّ القدَرْ   كلَّما أوْغَلَ في التِّيهِ انْدَثَرْ

* * *

أينَ رَأْسُ الركْبِ أم أيَّانَ سَارَا؟   ما أرى في إثْرِه حتّى غُبَارَا
ما أرى قبراً وما أُبْصِرُ دَارَا   ضَلّةً لي! ذاكَ ظِلٌّ وتَوارَى[1]

* * *

مِنْ ظَلامِ الغيبِ في التيهِ البعيدْ   لظلامِ الغيبِ في التيهِ المديدْ
وَمْضَةٌ كالبرِق تجتازُ الوجودْ   ويُسَمِّيها بنُو الأرضِ الخُلُودْ!

* * *

خُدْعَةٌ رَاقتْ لأبناءِ الفَنَاءْ   حينما أعْيا على الأرضِ البَقَاءْ
المساكينُ هَبَاءٌ في فَضَاءْ   رَحْمَةً للذرِّ في مَسْرَى الهواءْ!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٤٦

١ - الضَلّة: الحيرة

ما أرى الأرضَ تَحِسُّس الوافدين   أو أرى الأرضَ تحسُّس الرَّاحلينْ
كلُّ مَا كَانَ وما سوف يَكُونْ   نَأمَةٌ تَهْجِسُ في جَوْفِ السُّكُونْ

* * *

خَطَواتٌ ذاهباتٌ في الرِّمَالْ   وخيالاتٌ تَرَاءَتْ لخيالْ
وشُخَوصٌ تتوارى كظلالْ   للزوالِ... كلُّ شيءٍ للزوالْ!

* * *

خدعة الخلود*

لا أنتِ سَالَمك الزمانُ ولا أنَا ... لا أنْتِ داعيةٌ ولا أنا مُسْتَجيبْ
هذي مَياسِمُه على قَسَمَاتنا ... قَرَّتْ أمانينا على الأُفقِ القَريبْ
ودَبيبُه ينسابُ في خَطَرَاتنا ... ويَكْشِفُ الوهمَ المُغَلْغلَ في الغيوبْ
ويَدَاه تَنْسِلُ من خيوطِ حَياتنا ... وبدوتِ عاريةً من الألَقِ العجيبْ
ويَدُ البِلى تَطوِي الرغائبَ والمُنى ... وبدوتُ عَاديَّ المحاسنِ والعُيوبْ!

* * *

ما الفجرُ؟ ما الأحلام؟ ما الشوقُ الدفينُ ... ألقاكَ كالذكرى تَمرُّ بخَاطرِ
مَا نَشْوةُ الذِّكرات؟ ما حَرْقُ الحنينِ؟ ... كالخَطْرَةِ الوَسْنَى بفكرةِ شَاعرِ(١)
مَا وَهْلَةُ الغيبِ المُوشَّحِ بالفتونِ؟ ... كالرسمِ يَبْهتُ لا يَبِينُ لناظرِ
ما اللهفةُ الكبرى تُراودُ في جنونٍ؟ ... كبصيصِ نارٍ في الرمادِ الفَاترِ
مرَّتْ عليها كُلِّها كَفُّ السنينَ! ... وَيْحي وويحُكَ نحنُ ذِكْرى عَابرِ!

* * *

خَطَوتُك النَّشْوى التي كادتْ تَطيرُ ... وَيْحي وويحُكَ ما الحياةُ وما الخُلُودْ؟
وتوفُّزُ النَظَراتِ في أَلَقٍ مُثيرِ ... خُدَعٌ تُهَدْهِدُنا بها الأُمُّ الولودْ
وتَوثُّبُ اللفتاتِ في لَهَفٍ حَرورِ ... ويدُ البِلى تَطْوِي القديمَ على الجديدْ
وتُقَلُّبُ الرَّغَباتِ في قَلَقٍ غَريرِ ... والدَّهرُ ماضٍ لا يكلُّ ولا يَحيدْ(٢)
ويَحي وويحُكِ قَدْ تَعَاورَها الفُتُورُ ... والناسُ والأيامُ والدُّنيا عَبيدْ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٤٨.

١- الوسنى: الناعسة.

٢- الغرير: الساذج، عديم الخبرة.

الغزل

هي أَنتِ التي خُلِقَتْ لِنَحْيا

في ظلالٍ من الوفاءِ الرَّشيدِ

كحياةِ الأَرواحِ تُضْفي حناناً

وهي تهفو في ظِلِّها المَمْدودِ

ليلة؟! *

يا ليلةَ الأمسِ والليـــلاتُ ذَاهبةٌ كغَمْضَةِ العـــينِ في أضْغَاثِ أَحْلَامِ
يَرْعَاكِ مَنْ وَهبَ الإنسانَ عاطفةً تجيشُ بالحـــبّ عَن وَحْـــيٍ وإلهامِ
يَرْعَاكِ مَنْ خَلَقَ الأرواحَ شَاعرةً دقيقـــةَ الحـــسّ في رِفْـــقٍ وإحكامِ
لأنتِ أقصـــرُ ليلاتـــي وأخْلَدُها وأنـــتِ أزْهَـــرُ سَـــاعَاتِيَ وأيامي
فيـــكِ التقينا فـــلا إثمٌ ولا حَرَجٌ في ظلّ طيفٍ من الإخلاصِ بَسَّـــامِ
ورُوحٌ من الحبّ خَفّاقٌ يَحفُّ بنا حفَّ النسيمِ بغُصنِ الدَّوْحَةِ النَّامي
ويُنْشِـــدُ الحـــبُّ أنغامـــاً يُلحّنُها لحنَ الطبيعةِ ذَاتِ المنطقِ السَّـــامي
بالليـــلِ يَتلُو على الأكـــوانِ آيتَه ما أبدعَ الليـــلَ في شَـــدْوٍ وأنْغامِ

* * *

يـــا ليلةَ الأمس هَـــلا أنت عائدةٌ إلى الزمـــانِ فَأنْسَـــى كل آلامـــي
إنّـــي لألْمَحُ طيفاً منْكِ يُؤْنسُـــني في وَحْشَـــتي بـــينَ أيقـــاظٍ ونُوَّامِ
ذكـــراكِ باقيةٌ مهمـــا يَطُلْ زَمني فأنـــتِ زهـــرةُ أيامـــي وأعْوَامي
فيـــكِ أوَّلُ آمَـــالي وآخِرهـــا وأنـــتِ مَنْبَـــعُ إمـــدَادي وإلهامي

* * *

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٢٩.

نظرة موحشة *

أهو حظي منك تلك النظرات كلما جادت بمرآك الصُّدَفُ؟
وخيالاتٌ تراءى في سُباتٍ مُذُ كيات ما بنفسي من شَغَفِ؟
أكذا تمضي بقيّاتُ الحياة ليتَ شعري وكذا يُقضي العُمُرْ؟
آهٍ . ما أشجى وما آلم . آهٍ إن يكن هذا فما أقسى القَدْر!
أين ساعاتٌ مضت قبل الفِراق ملؤها العطف وريّاها الوفاْء؟[1]
هكذا الدنيا اجتماع وافتراق وهي آهات وذكرى وشقاءْ!
شد ما ألقاه في هذا النّوى من عذاب ينكأُ القلب أليم[2]
شَدَّ ما تَسْتشعِرُ النفسُ الجوى فتلظّى في شُعورٍ كَالجحيمْ
ليتني أدْرِي – وإن لم يُشْفِنِي – كيفَ أُبْدِي مَا بِنَفْسِي مِنْ أَلَمْ!
ربَّ إحساسِ أليمٍ شَفّنِي لم أصورْهُ بلفظٍ فاضطرم[3]
آلم الإحساسَ إحساسٌ دفينٌ وشعورٌ في فؤادٍ يَشْتَجِرْ
لم يَجِدْ لفظاً فأدّاه الأنينُ ودموعٌ سَاكِباتٌ تَنْهَمِرْ
أتَرى آلمُ للقلبِ الكَليمِ مِنْ رَجاءٍ كان يَزْهُو فَخَبَا؟
وانطوى يَغْمرُه يأسٌ عَقيمٌ يتركُ القلبَ قِفَاراً مُجْدبا؟
أتُرى أوْحَشَ مِنْ ديرٍ كئيبٍ في فَلاةِ لا يُدانيها البَشَرْ

* نشرت في نيسان (إبريل) عام ١٩٢٩.

١– ريّاها الوفاء: ملؤها الوفاء.

٢– ينكأ: يفتح الجرح من جديد.

٣– شَفَّني: أنحلني، أذهب عقلي.

وتكادُ الرِّيـحُ تَحميـه الهبوبَ دَقّ نَاقـوسٌ بـه عندَ السَّحَرْ؟
ذَاك قَلْبي بعدَ فُقْدان الأملِ مُوحِشٌ يَطْرقُه صوتٌ سَحيقْ
تبعثُ الذكرى صَداه إذْ تُطلُّ مُشْجياً يُوغلُ في الصَّمْتِ العميقْ
ما الذي كانَ وماذا سَيكُونْ؟ لستُ أدْري مَا جَوابي، لا جَوابْ!
لَيتني أدري خَبيئاتِ السنينْ إن فِراقاً أو يَكُن بعدُ اقترابْ
إيه يا ملءَ فُؤادي ومُناهْ إيه يا رمزَ الأمَاني والأملْ
يا نسيماً ضَمَّ أنْفاسَ الحياةْ نَفْحَةٌ تُهْدي إلى مَيْتٍ أجَلْ
أنا إذ ألْقَاكَ عَفْواً لا أُحسُّ فيك جسماً كبقيات الجسُومْ
إنما ألقاكَ طَيفاً لا يُحَسُّ طائفاً يَهفُو كما يَهفُو النَّسيمْ
في خَيالي أنتَ أنْقَى وأرقُّ أنتَ رُوحٌ فيه أو طيفُ مَلَكْ
بجناحَيه تَراءى فخفقَ بسناءٍ هادئٍ يُغْري الحَلَكْ
أفَلا لُقْيا بثغرٍ بَاسمٍ؟ أفلا قلبٌ أُناجيه سَميعْ؟
أفلا شَكْوى فؤادٍ هائمٍ؟ أفلا نَجْوى بِصَمتٍ وخُشُوعْ؟
«بِحَياتي أفْتَدي هذا اللقاءَ» وأمانيَّ وما ضَمَّتْ يَداي
وبِنَفْسي لو دَنا عهدُ الرِّضاءِ فَمَحا بُؤْسي وأوْدَى بِجَواي
وأوَى قلبين في بُرْدِ الوَفاءِ مثل ما كانَا شَقيقَيْ مَوْلِدِ
ليتَ. لكن «ليتَ» لا تُدني رَجاءَ فَلأمُتْ أو أبقَ حِلْفَ الكَمَدِ

* * *

طيفا!!*

هو هــذا أنتَ يا طيــفُ؟ فَأهلاً ‌ ‌ ‌ ‌ مرحباً يا طيفَ مَنْ أهوى وسَــهْلاً

* * *

هَــوَّمَ النَّــومُ وأرْخَــى رِيشَــه ‌ ‌ ‌ ‌ واحتــواني بِجَنــاحٍ قَــد تَدلَّــى

وانــزوى العَــالَمُ عنّــي وخَبَتْ ‌ ‌ ‌ ‌ ضَجَّــةُ الكَــونِ وما فيــه وَوَلَّى

ها هُنــا في النــومِ ألْقَــي عَالَماً ‌ ‌ ‌ ‌ هَادِئــاً رَحْبــاً وبَسّــاماً مُظِــلاَّ

وتَراءى الطيفُ سَــمْحاً رَاضِياً ‌ ‌ ‌ ‌ بَاسِمــاً كالأمــلِ الحُلــو وأحْلَــى

هُو هــذا أنتَ يا طيــفُ؟ فأهلاً ‌ ‌ ‌ ‌ مرحباً يا طيفَ مَنْ أهوى وسَــهْلاً

* * *

أدْنُ مِنّي فاســتمعْ لَحْنَ فُؤادِي ‌ ‌ ‌ ‌ إنَّــه لَحْــنٌ يُغَنّيــه بَدِيــعْ

* * *

إنَّــه عنــوانُ حُــبٍّ وَوِدَادِ ‌ ‌ ‌ ‌ وهَيــامٍ بين أحْنــاءِ الضُّلُــوعْ[1]

إنَّــه أُنْشُــودَتي أخْلُــو إليهــا ‌ ‌ ‌ ‌ بــيَنَ صَمْــتٍ وهَيــامٍ وخُشُــوعْ

إنــه لَحْــنٌ أُغَنّيــهِ وَقَلْبِــي ‌ ‌ ‌ ‌ خَافقٌ والعــينُ تَهْمِــي بالدُّمُوعْ[2]

أدْنُ مِني فاســتمع لَحْــنَ فُؤادي ‌ ‌ ‌ ‌ إنَّــه لَحــنٌ يُغَنّيــه بَديــعْ

* * *

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٩.

١- أحناء: الأضلاع

هــاك قَلْبِــي فتســمَّعْ خفَقاتِــه   فهــو قَلْــبٌ مُسْــتثارُ الخَفَقــاتِ

* * *

بَلَّــلِ الْوَجْــدَ وهَــدِّىء زَفَرَاتِه   فهــو قَلْــبٌ ضَيــقٌ بالزَّفَــراتِ

أنتَ يا طيفُ الذي يرجُو فُؤادي   بعد ما قَــدْ ضَاقَ ذَرْعاً بالشَّــكاة

هــاكَ قَلْبِــي فتســمَّعْ خَفَقَاته   فهــو قَلْــبٌ مُسْــتَثارُ الخَفَقَــاتِ

* * *

أنْــتَ يا طيــفُ ويا رَيَّــا حبيبي   أنــتَ رُوحُ أو رَمْــزُ السَّــلامِ

* * *

لــك مِنِّــي كُلُّ مَعْــنى قُدْسِــيٍّ   يَهْمِــسُ الحــبُّ بِــه بــينَ الأنامِ

أنــتَ يا طيــفُ ويا رَيَّــا حبيبي   أنــتَ رُوحُ الحبِّ أو رَمْزُ السَّــلامِ

* * *

صوت؟!*

تُذَكِّـرُني الماضي فآسـى لِذْكْرِه   وتُوقظُ أشْـجَاني وقد كنتُ ناسيَا
وتُلْهِبُ إحسَاسِـي بأنغامكَ التي   تحـدِّثُ عـن قلـبي إذَا أنَّ باكيا
حنانَك هذا القلبُ قد آدَه الأسى   فخلَّفَـه نضْـواً من الهـمِّ واهيَا(١)
تُهيـجُ بِـه الأنغـامُ آلامَه التي   تحمّلَهـا بالرغـم أسْـوانَ رَاضيَا!
تحمَّلها لم يَشْـكُ للنـاسِ ثِقْلَها   وقد كان معذوراً لو آلتاعَ شـاكيَا

* * *

تُذَكِّـرُني حُبَّـا قديمـاً دفنتُـه   ونفضتُ كَفِّي يائسـاً منه آسـيَا
ورحـتُ أواري كلَّ آثـارِه التي   تَراءى فتُذْكي الشَّجْوَ لَوْ بَاتَ خَابيَا
بعثـتُ به حيّـاً يُطِـلُّ ويَنْزَوي   ويفتـحُ أجْفَانـاً مراضاً سَـواهيَا
يُجَرْجِرُ أكفاناً من القلبِ صُغْتُها   تُمَـزِّقُ أشـتاتاً وتبـدُو بَواليَـا
هو اليَـومَ ذِكْرى لا تُرْجَى حياتُه   فلا هُـو مَعْدومـاً ولا هُـو باقيَا
هو اليـومَ آلامٌ وقـد كان مُتْعةً   ورُوحـاً ورَيْحاناً وطيْفـاً مُناغيَا

* * *

ترددَ هذا اللحنُ في النفسِ قَبْلَما   بعثتُ بـه صوتاً من الثغرِ شَـاجيَا
وجَاشَ به صدرُ الحيـاة فرجَّعَتْ   أغاريدَه كالنُّـوحِ أسْـوَانَ دَاويَا
وحدَّثْتَنَـا عَما أكَنَّتْ نُفُوسُـنا   فأيقظت فيها كلَّ ما كانَ سَـاهيَا(٢)
تَحدَّثْ إذنْ ننصتْ وإن ثَارَ شَجْونَا   ونُمْسِـكُ أكبـاداً تَنَـزَّى دَواميَا

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٠، والمراد بالصوت: محمد بخيت.
١- آده: أتعبه وأرهقه، النضو: الهزيل.
٢-أكنَّت: أخفت.

هي أنت *

هـــي أنتِ الـــتي خُلِقَـــتْ لِنحيَا في ظِـــلالٍ مِـــنَ الوفاءِ الرشـــيدِ؟
كحيـــاةِ الأرواحِ تُضْفِـــي حناناً وهـــي تَهفُـــو في ظلِّها المـــدودِ؟
حيثُمـــا الحـــبُّ طائـــفٌ يَتراءى كالمـــلاكِ المهـــوِّمِ المَكْـــدُودِ
حَانـــي العِطْفِ إذ يَضـــمُّ علينا ضمـــةَ الأمِّ رَحْمَـــةً بالوليـــدِ
فـــإذا الكـــونُ والحيـــاةُ جمـــالٌ وإذَا العيـــشُ فُسْـــحَةٌ في الخُلُودِ؟

* * *

هي أنْـــتِ التي أطافتْ بنفسِـــي وتـــراءتْ في خَاطِري مِـــن بعيدِ؟
حينمـــا كنـــتُ هائمـــاً أتلقـــى أغنيـــاتِ الآمالِ شَـــتّى النشـــيدِ؟
في ظِـــلالٍ مِـــن الأمانـــي تَتْرى بـــين وادي التعلَّـــة المعهـــودِ![1]
إذْ تَراءَيْـــتِ هَالـــةً مِـــنْ رجاءٍ هَـــادئ لَيِّـــنٍ رفيـــقٍ وَئيـــدِ[2]
ثم دَانَيْـــتِ في دَلالٍ وديـــعٍ ثم باعـــدتِ في دلالٍ شَـــرودٍ؟

* * *

هي أنـــتِ التي تلاقيـــتِ رُوحاً مع روحِـــي فَهَامتَـــا في الوجودِ؟
هـــي أنتِ الـــتي تُحَـــدِّثُ عنها خَطَـــراتي، في يقظَـــتي وهَجُودِي؟

---

* نشرت عام ١٩٣٠

١- التعلة: ما يُتعلل به.

٢- وئيد: متمهل.

إِن تَكُـــوني! إِذْنْ فهـــاك فؤادي   كلّــــه خالصـــاً نقـــيَّ العهـــودِ

وتعالَـــىْ نَبْـــغِ الحيـــاةَ جِهـــاداً   عبقـــريَّ التصويـــبِ والتَّصعْيـــد!

شَـــجِّعيني علـــى الجهـــادِ طويلاً   فجهـــادُ الحيـــاةِ جِـــدٌّ شَـــديدِ

أشْـــعريني بـــأن قلبـــاً نقيًّـــا   يَرتَجى سَـــاعِدي ويهوى وُجُودِي

ثم سِـــيري معـــي نَخُـــطُّ طريقاً   كمهـــادٍ في الصَّخـــرِة الجُلْمُـــودِ

نظـــرةٌ منـــكِ وابتســـامةُ حُبٍّ   تتـــركُ الصَّعْـــبَ لَيِّنـــاً كالمُهـــودِ

لك منِـــي عَواطِفـــي وعُهودِي   لـــك مـــني رعايـــتي وجُهـــودِي

* * *

أحبك *

أُحبــكِ كالآمالِ إذْ أنــتِ مثْلُها تُذَكّين في نفســي أعــزَّ مَواهِبي[1]
ومــا هِــي إلا نظــرةٌ شــاعريَّةٌ تعبّــرُ عمــا شــئتُه مِــنْ رَغَائبِ
فَتَسْرِي إلى نَفْســي مَضَاءً وجَرْأَةً ووثبةَ حسّــاسِ. وَعزْمَــةَ راغبِ
ورُوحاً ذَكِيَّ النفحِ يَسْــرِي كأنَّه نشــيدُ مَــلاكٍ هَائــمٍ مُتَقَــارِبِ
يعيــدُ إلى المكدودِ راحةَ نفســه ويبعثُــه خَلْقــاً جديــدَ المطالبِ

* * *

أُحبُّكِ من قلبي الــذي أنْتِ ملْؤُه ومنْ كلِّ إحســاسٍ بِنَفْســي ذَائبِ
فُؤادي الذي فتّحْتِ فيه مشــاعراً من الحبِّ والإحساسِ شَتَّى المَذَاهبِ
سموتُ به حــتى تكشّــفَ دونَهُ عــوالمُ أقــرى تائهــاتِ الجوانبِ
عــوالمُ لاتعــدُ ولقلــبٍ مَنصِّبٍ بلا ذلك القلــبِ الرفيقِ المصاحبِ
بهــا كلُّ لــذاتِ الحيــاةِ ودونَها لذائــذُ أُخرى كاذبــاتِ العَواقبِ

* * *

أُحبُّــك إذ تَرجِــين مِــنِّ رعايةً وتَهْوِينَ ســاعاتِ الحيــاةِ بِجَانبي
هنالك نَسْــمُو باِلحيــاةِ فَنرْتقي إلى كَنَــفٍ بينَ الســمواتِ ضَارِبِ
هنالــك نَحيــا والأمــانيُّ حَوْلَنا تُغَــرِّدُ ألحــانَ المُــنى والرغَائــبِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٠.

١- تّذكين: من ذكت النار: اشتدد لهيبها

توارد خواطر!*

خَطَرَ ببالِ الشاعر اسمٌ مُعين، ثم نَظَر فجأةً ؛ فإذا بصاحبةِ هذا الاسم تنظرُ إليهِ وتحييه...!

أفأنتِ ذِي ؟ أم ذاكَ طيفُ منامِ؟ إني أراكِ كطائـف الأحـلامِ !
لما خَطَرْتِ وقد سَمَوْتُ بخاطرِي ألفيتُ شَـخْصَك كالمـلاكِ أمَامِي
فَدُهِشْتُ أو فارتعْتُ أو فَتضَرَّمَتْ خَفقَـاتُ قلبي المُنْتَشِـي البَسَّـامِ
عجباً! أكنتِ هُنا فأوْمَضَ خاطري بكِ؟ أم سريت على جناحِ غرامي
إنَـي لأ ومِـنُ بالغـرام وإنّـه يَقْـوي علـى مُتَعَـذِّرِ الأوهامِ!

* * *

ماذا صنعتِ بعالَمِـي وخَواطِرِي لَمَّـا لَقِيتُك كالخيالِ السَّـامِي ؟
أفَأَنْتِ سَـاحِرةٌ تَصُوغُ من الدُّجَى نوراً، وتبعـثُ في الحياةِ حُطامي ؟
وتُحيلُ صُـمَّ القافـراتِ نَوابضاً بالزهـرِ ، والآمـالِ والإلهَامِ ؟![1]
وتُجَمِّـلُ الدُّنيـا وتَخْلُـقُ عَالَماً للخُلْـدِ فيه مَـدارِجٌ ومَسَـامِ ؟
اللهُ ! . أو فالحـبُّ . فهـو ظِلالهُ في عـالمِ الأوهـامِ و الأفْهـامِ !

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٣

١- صم القافرات: الأرض الصّماء المجدبة.

ياللقــاءِ ! فكيــفَ قــد حَجَّبتِــه عن نفسٍ منهـوِمِ العواطفِ ظَامِ؟
هو هــذه الدُّنيا وعَالمُ ســحرِها ؟ هو ذلك النبعُ الجميلُ الطَّامي؟[1]
حَجَّبتِــه عنّــي، فأســفَر بغتــةً بيــدٍ تجــيء بِمُعْجــزِ الأيــامِ !
الحــبُّ ؛ ياللحــبِّ ! يَرْتَجلُ المُنى مــن غــيرِ تدبــيرٍ وغــيرِ نظَامِ!
إني وَثِقْــتُ بــه ومــا هُــو باخلٌ بــكِ يا ســعادُ بيقظــتي وَمَنامي

* * *

١- الطامي: من طما الماء: ارتفع وملأ النهر.

عينان*

هما عينان لم يدر الشاعر مدى نظرهما، وتصوّر أنهما تستطيع اختراق الحجب والأستار، وعجب أي مدى يستنفذ طاقة هذه النظرة حتى ما وراء الكون، وهذه الطاقة في تصوره لا يستنفذُها بعدٌ من الأبعاد فتساءل:

إلى أيِّ سِـــرٍّ بَـــلْ إلى أيِّ طَلْسَـــمِ تَوَجَّه مِنْ عينك شُـــعَاعُ مُلْهِم ؟
إلى مَخْبأ الأسْــرارِ في نفــسِ كَاهِنٍ تُحجِّبُها أســتارُ دُجْوان مُظْلِم[1]
إلى الغابرِ الماضِي الذي ضَاعَ رَسْــمُه وغيَّبَه النِّســيانُ في تِيه عَيْلَم[2]
إلى القابــلِ الآتِي الــذي نَــدَّ طيفهُ عن الوهمِ بل ضَلَّتْه رُؤيا المُنَجِّم
إلى حَيثُمـــا الأقدارُ تُمضـــي أمورَها على خِفْيـــةٍ من وهمِـــه المُتَوهِّم
إلى مـــاوراءَ الكـــونِ والعـــالمِ الذي تُحيـــطُ به رُؤيا السَّـــحَيْرِ المُنوِّم

* * *

لأَحْسَسْــتُ فيها رِعدةً[3] إذْ تَوجَّهتْ وَدَبَّ لهـــا قلْـــبي وأَنكْرَها دَمي
وأَحْسَـــبُها قد جـــاوزتْ في عُبورِها عَوالِـــمَ لم تُخْلَـــقْ ولم تُتَوهَّـــم

* * *

---

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٣٤.

١- دجوان مظلم: المراد تامة الظلمة من دَجَا يدجو: تمّ وكَمُل.

٢- عيلم: بحر.

حدثيني *

رأى الشاعر سحابة من الأسى على جبينها لا يعلم لها سبباً:

حدثيـــني بمســـتَار شُـــجُونِكْ واكْشفِي لي عما اخْتَفَى مِنْ شُؤونِكْ
حَدِّثِيـــني بمـــا تُكنِّـــينَ إني أنـــا أولَى بعبئِـــه مِـــنْ دُونِـــكْ
أنـــا أقْوى على الحياة إذا عِشْـــتُ حَياتـــي مُـــزَوَّداً مِـــنْ يقِينِـــكْ
ولقـــد عِشْـــتُ للمآسي إلى أنْ قَدْ عَرَفْتُ السُّـــرورَ مِـــنْ تَلْقِينِكْ
ولقـــد عِشْـــتُ للبـــكاءِ إلى أنْ قد سَـــمِعْتُ الغنَـــاءَ في تَلْحِينِكْ
ولَقَـــدْ عِشْـــتُ للظـــلامِ إلى أنْ قَدْ لَمحْـــتُ الضِّياءَ بـــينَ عُيونِكْ

* * *

حَدِّثِيـــني عَـــنْ سِـــرِّهَا نَظَرَاتٌ أو دُمـــوعٌ تَجُـــولُ بـــينَ جُفُونِكْ
حَدِّثِيـــني عـــن الأســـى يَتَرَاءى كأســـيفِ الرَّجَاءِ فـــوقَ جَبِينِكْ(١)
أو تَعالَـــيْ لذلـــك الكَنَـــف الحا نِـــي عليـــك وارْكَني لِسُـــكُونِكْ
هُو أَحْنَى عليكِ مِـــنْ قَلْبِها الأمِّ وَأَدْرَى مِـــن قَلْبِهـــا بحَنِينِـــكْ
فَاغْمُـــرِي في عُبَابِـــه المُترامـــي مَا مَضَى عَنْك أو أَتَى مِنْ شُجُونِكْ
وَابعثِيهـــا ابتســـامةً وحيـــاةً مِلْؤُها السِّـــحْرُ والهوى مِنْ فُتُونِكْ

* * *

---

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٤.

١- كأسيف: رقيق القلب.

خصام *

تَخاصَمْنــــا. تخاصمْنــا ! كذلــك يعبــثُ الحــبُّ !
ألــيسَ الطِّفــلُ إذْ تَنْــزُو قُــواه يَهُــمُّ أو يَكْبُــر؟[١]
أَلَيْــسَ يُحطِّــمُ اللُّعَــبَ الــــــــتي كانَ لَهَــا يَصْبُــو؟
ألــيسَ يَهــزُّه الصَّخَــبُ ويَحْلُــو عِنْــدَه الوثْــبُ؟
كذلــكَ حُبُّنَــا يَحيَــا وَليــداً جَــدُّه لعِــبُ!

* * *

تَخاصمَنْــا. تخاصمْنــا وإنْ لَــم يَسْــمَعْ القلــبُ!
أليســتْ لا تُحَيِّينــي ولا يســلينيَ القُــرْبُ؟
ألسَــنا إنَ تَلاقَيْنَــا نَغُــضُّ وتُسْــدَلُ الحُجْــبُ؟
وَمــا قُبلاتُنــا تَتَــرى ولا الرُّسُــلُ ولا الكُتُــب
كــذاكَ نَعِيــشُ في صَمْــتٍ فــلا غَــزَلٌ و لا عَتْــبُ

* * *

تخاصمْنــا. خُصُومَتُنــا ســلامٌ ثَوبُــه حَــرْبُ!
ســلامٌ بــينَ قَلْبيْنــا فــكلٌ هَائِــمٌ صَــبُّ

---

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٤.

١ - تنزو: يثب بنشاط.

وَنَخْسِرُ في مَظاهِرِنا ومِلْءُ وِطَابِنا كَسْبُ !

ونَظْمَأُ إِن تَنَاءيْنَا فَيحلُو الْوِرْدُ والشُّرْبُ

وتَذْكُو للهَوى شُعَلٌ فلا تخنو ولا تخبو

كذلك حُبُّنَا يَحيَا كذلك يَعْبَثُ الحُبُّ

* * *

بيانو وقلب *

هُــو قلــبٌ لَمَسْــتِه، أَمْ(بيَانُه)؟ فَتَنَــادتْ مِــنْ جَوْفِــه ألحَانُــهُ
هو قلــبي أجَــلْ فَهــذِي الأغاني هُــو يَشْــدُو بهــا، وذا تَحْنَانَه
أم تُــراه – كمــا أرْجــو- فؤادٌ بَــينَ جنبيــكِ مُلْهَــمٌ خَفَقَانُــه
فتلاقــى القلبانِ في ذلــك اللحن وحَاكــتْ خفقاتهمــا أوزانُــه
وتَــراءى في اللحن طيــفُ الأمَاني مُطْبَقَــاتٌ على الــرؤى أَجْفَانُه

* * *

لَحْــني أنتِ خَفَــقَ قَلْبي نشــيداً أنْتِ أدْرَى بِما حَــوى وِجْدَانُه
والْمَسِــي بالحنــانِ قَلْبي فَيشــدُو مِثْلَمَــا تَلْمَــسُ البنــانُ البَيَانُــه
بَــلْ فَــؤادِي مُلَحّــنٌ عَبْقَــرِيٌّ ! لَحْنُــهُ مِنْــه قِطْعَــةُ وَبَنَانُــه
أَلْهِمِيــه النشــيدَ وهــو يُغَنّــي لَــكِ وادي الخلودِ سَــامٍ حَنَانُهُ
أَلْهميــه النشــيدَ وهــو يُجَلّــي لَــك وادي الخلودِ زُهْــرٌ جنَانُهُ
أطلقيــه مِــن القيــودِ بِلَحْــنٍ قَدْ تَسَــامى على القيــودِ افْتَنَانُهُ
ودّعِيــه يَطِــرْ دونَ جَنَــاحٍ غــيرَ حــبٍّ يَزِيــدُه طَيَرَانُــه

* * *

* نشرت في تشرين الأول(اكتوبر) ١٩٣٤
١- البنانُ: أطراف الأصابع.

الظامئة *

بعَيْنَيْكِ أُبْصِرُ رُوحَ الظِّماءِ وبالنفسِ أَلْمَحُ طَيْفَ القَلَقِ
ففي الخَطَرَاتِ، وفي اللّفَتَاتِ وفي النَظَرَاتِ، وبَينَ الحَدَقِ
يُطِلُّ التلهفُ في وَثْبَةٍ وتَعْصِفُ ريحُ اللّظَى المُحْتَرِقِ
لأيِّ منَ الأمرِ هذا التَطلُّعِ هذا التوثُّبِ، هذا الحَرَقِ
شُوَاظٌ من الشَّوْقِ ؟ أَمْ جَمْرَةٌ؟ من الحبِّ محمرةٌ كالشَّفَقِ؟

* * *

أُحِسُّ بأنّكِ مَلْهُوفَةٌ لأن تَنْهلي كلَّ مَعْنَى الغَرَامِ
وأن تَنْهبي النورَ من فجرهِ وأن تَسْلُبي زَفَرَاتِ الظّلامِ!
وأن تَقْطفي كلَّ زَهرِ الحياةِ من الشَّجْوِ والوَجْدِ أو الابتسامِ
تَفَتَّحَ فيكِ شُعورُ الحياةِ فَشَفَّكِ منهَا الهوى والأُوَامِ(1)

* * *

إليَّ إليَّ؛ ولا تَجْفَلي فإني ظمئتُ لما تَظْمَئينْ
و أحسبُني كنتُ أهْفُو إليكِ كما كنتِ لي في المُنى ترقُبينْ
وشَطَّتْ بنا بِدواتُ اللّقاءِ وضَلَّتْ بنَا خُطواتُ السِّنينْ
إلى أَنْ لقيتُكِ فَتانَةً فحرّكْتِ مني اشتياقي الدَّفينْ
تَعالَيْ نروِّ ظِمَاءَ السنينِ تعالَي نَعِشْ للمُنى والفتونْ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.
١-الأوام: حرارة العطش.

لماذا أحبك!؟*

أُحِبُّــكِ حُــبَّ الهــوى والجُنونِ أحبُّــك حــبَّ الرَّشَــادِ الرَّزينْ
أحبــك بالقلــبِ في وَقْــدَةٍ أحبــكِ بالعقــلِ جَمِّ السُّــكُونْ
وتَبديــنَ في قلبِــي المســتطارِ كماَ تُسْــفرينَ بفكري الرَّصِينْ(١)
ففيــكِ تَلاقَــى الهــوَى والهُــدى وشَــابَه فيــك الرشــادُ الجنونْ
فأمــا ازْدَهانِــي بجنِــي الفتــون رَكَنْــتُ بِــه للحجَــا واليقِــينْ

* * *

لمــاذا أحبــكِ؟ هــلْ تَفكريــنَ؟ وما الســـرُّ في الأمرِ؟ هل تَعلمينْ؟
أللحُسْــنِ؟ كَم قد لَقِيتُ الحِسَــانَ فَمــا هِجْنَ بِي وَمْضَــةً من حنينْ
أللعطــفِ؟ إِنِي القَــويُّ العطوفُ فمــا أرْتَجِــي رحمــةَ العاطفينْ
أللنظــراتِ وللّفتــاتِ وللسّــحرِ في مُهْجَتِي تَسْــكُبِينْ
وشــتى الخلالِ وشــتى السِّماتِ؟ لقــد طالَما اجتمعــتْ للمئينْ(٢)
إِذَنْ فــلأيِّ المزايــا يكــونُ هَواي وحُبِّــي؟ هَــلْ تُدْرِكينْ؟

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- المستطار: المفزوع . تسفرين: تشرقين وتضيئين .

٢- للمئين: للمئات.

ألا فاعلمِـــي الآنَ عِلْـــمَ اليقـــين   سأكْشـــفُ عن سِـــرِّ حُبِّي الدّفِينْ

لقد لَـــجَّ بي قبل هذا، الســـكونِ   وقد آدني الصمتُ، صمتُ الحَزِينْ[1]

وقد عِشْـــتُ للجدِّ، جِدِّ الرصينِ   أهُـــمُّ وأكبُـــو بعـــبءِ السِّـــنين

إلى أنْءِ لَقِيتُـــك خَفّاقَـــةً   تَوَقَّـــدَ فيـــك الهَـــوى والفُتُـــونْ

فأنـــتِ هُنـــا جمـــرةٌ كاللّظَـــى   وأنـــتِ هُنـــا شُـــعْلَةٌ تُومِضِـــينْ

فأكمَـــلَ هـــذا المـــراحُ الطروبُ   هـــدوءَ الحزيـــنِ وجـــدَّ الرّصينْ

وأعجبـــني حُسْـــنُ هـــذا الكمالِ   وإني عليـــه الحفيـــظُ الأمـــينْ

* * *

هـــذا أُحبُّـــكِ: هـــل تَفْكِريـــنَ؟   وهذا هو الســـرُّ. هـــل تَعْلَمِينْ؟

* * *

١- آدني: أجهدني

رسول الحياة*

أفي كلِّ لُقْيَا شُعورٌ جَديدٌ؟ وفي كلِّ قُرْب ظَمَاءٌ يَزيدْ؟
وفي كلِّ يوم أرى عَالَماً مِنَ الحبِّ يَنْسُبُنا للخُلودْ؟
وألقاك والكونُ قفرٌ جديبٌ فتنبضُ فيه المُنى والوُرُودْ
ويَخْفُقُ بالحبِّ قلبُ الحَياةِ وتَشْدُو هَواتفُها بالنَّشيدْ
كَأنَّ الحياةَ وآمالَها إذا مَالقيتُك خَلْقٌ جديدْ
هو الحبُّ لا القَدَرُ المستطيلُ يُقَسِّمُ في الكون شَتى الجُدودْ[1]
فيمنعُ فالكونُ شاكٍ شَقيٌّ ويمنحُ فالكونُ راضٍ سَعيدْ !
ويَنْبضُ فالكونُ في نَشْوةٍ ويَجْمُدُ فالكونُ جاثٍ بَليدْ

* * *

لَقيتك خَفَّاقَةً كالرجاء فذكّرْتني أنني بَعْدُ حَيْ
وجَاشَ بنَفْسي شعورُ الحياةِ وفتّحتُ في رَجْفَةٍ مُقْلَتَيْ
أُقلِّبُ عيني بهذا الوجودِ وترتادُ رُوحي منه الخَفيْ
فيا للجمالِ، و يا للغَنَاءِ ويا للخواطرِ تَهفو إليْ!
ويالي مِنْ ظَامىءٍ لاهفٍ! ويالي مِنْ عَاشقٍ عَبْقَريْ!
يحيلُ الحياةَ إلى فتنةٍ وأصداءَها لنشيدٍ شَجي
ويُطْربُ بالشعرِ قَلْبَ الحياةِ وَيَنْفحُها بالرِّضا القُدْسيْ
وما أنتِ إلا رسولُ الحياةِ وحبُّكِ مُعْجِزةٌ مِنْ نَبيْ

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤.

١- المستطيل: المُترفع أو المُتفضل، الجدود : الحظوظ.

سر انتصار الحياة *

أَطِلّــي بِطَلْعَتــكِ السَّــاحرهْ وحَيّــي بنظرتـِـك الشَّــاعرهْ
أَفيضي على الكــونِ فيضَ المِراحِ وغَذّيــه بالقــوة الطّافــرة[1]
ومالــك أنــتِ؛ وما للسُّــكُون؟ ومــا أنــتِ إلا القُــوى الثائرهْ
قُــوى الحبّ تَنبِـضُ بــينَ القِفارِ فتغـدُو القِفَــارُ بهــا ناضــرهْ
وتنفــخُ في ســاكناتِ القُلــوب فتغــدُو سَــواكنُها نَافِــرهْ
وتهتــفُ للصُّــمّ بالأغنيــاتِ فَيَصْغُــون للنَغْمَــةِ السَّــاحِرهْ

* * *

ألســتِ التي نَبَضَــتْ (بالوجودِ) فشــقَّ قُوى العَــدَمِ السَّــاخرهْ
بلــى ! أنتِ ســرُّ انتصــارِ الحياةِ على المــوتِ في الوقعــةِ الظافرهْ
هُنالــك مــن قبــلِ ميلادِهــا وكانــتْ مغيبــةً حائــرهْ
وكنــتِ نــواةً بهــا ضَامــرةً فعــدتِ حيــاةً بهــا سَــافرهْ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١ – الطافرة: الواثبة.

المعجزة
أو
السهم الأخير *

مَنَحتِني اليومَ ما الأقدارُ قد عجزتْ عــن منحه، وَتَناهــي دونَه أملِي
منحتِني الحــبّ للدُّنيا التي جَهِدَتْ في أن تُميــلَ لها قلبي فلــمْ يَمِلِ
وكلمـــا قرّبْتِني، قلــتُ: خادعةٌ! وكلّما طمأنْتِني؛ قلت واوَجَلي[١]
ويغمرُ الشّكُّ نَفْسِي كلما كَشَفَتْ عن فاتنٍ من حُلاهَــا غيرِ مبتذَلِ
حتى خَســرْتُ من الأيّامِ ما غبرتْ به السُّــنون، وحتّى عقّني أجَلِي

* * *

واســتَلْهَمَتْ هذه الدنيــا طبيعَتها في مُعْجــزٍ منْ قُواهــا قاهرٍ حانِ
فأبدعتْــكِ جَمــالاً كلُّــه ثقــةٌ يؤلّــفُ الحبَّ من وَحــيٍ وإيمانِ
وأودعتْــكِ رَحيقاً مــن خُلاصتِها ومنبعُ السّــحرِ فيها جَــدّ فتّانِ
وأرســلتْكِ يقينــاً في طَلائعهــا منيرةً في دُجى عَقْلــي ووجْداني
فكنــتِ آخــرَ ســهمٍ في كِنَانتِهَا وكنتِ معجزةً مــن خَلْقِ فنانِ[٢]

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- واوجلي: وأخوفي أو افزعي.

٢- الكنانة: الجعبة، تحفظ فيها السّهام.

والآن أُخْلِـصُ للدنيـا وأمنَحُهـا حبِّي، وأُدْرِكُ ما فيهـا من الفتَنِ

والآن أنظـر للدُّنيـا وأنـتِ بهـا كعاشـقٍ بهواهـا جِـدّ مُفْتَتَـنِ

والآنَ أعْمَـلُ للدُّنيـا علـى ثقةٍ بأنـي قَلْبُها الخفَّـاق في الزمنِ!

والآن أنصِـتُ للدُّنيـا فَيُطْرِبُـني من صوتِها العذب لَحْنٌ ساحِرُ اللَّحَنِ

لـك الحيـاةَ إذنْ ما دمـتِ مانحةً لِـيَ الحياةَ بـلا أجـرٍ ولا ثمنِ!

* * *

اللحن الحزين*

أسى الألحانِ أمْ هذا؟ أساكَ يسيلُ في اللَّحْنِ؟
وإلا هذه نَفْسي همُ بعَالَمِ الحُزنِ
فَتُوحي النفسُ للأذنِ؟

وأينَ نشيدُكَ الراضي؟ وأينَ نشيدُكَ العَذْبُ؟
وأينَ الفَرْحَةُ النَّشْوى؟ وأينَ القفزُ والوثْبُ
فيُذْكي وَقْدَةَ الحبِّ؟

سَمِعْتُكِ أمسِ لم أسْمَعْ سِوى نبراتِ أسْفَانِ
وغنوةِ عاشقٍ يَئِستْ مُنَاه من الهوى الفَاني
فَأنَّ فؤادُه الحاني

هي الأوتارُ عَالمةٌ بما في قلبِكَ المُفْعَمِ؟
وإلاَّ أنت مُوحيةٌ لها تَرنيمةَ المؤلمِ
تَمسُّ القلبَ كالبَلْسَمِ

بربكِ عَلِّمي اللحْنَا يُرجِّعُ غنْوةَ الأملِ
ويُبْهِجُ هذه الدُّنيا ويبعثُ نشوةَ الجَذلِ
فَيدْعُو الكونَ للعملِ

أجلْ يا خطرةَ الفَنِّ برأسِ مُفكِّرٍ سَامِ
وغايةَ كلِّ فَنَّانٍ يُنَاجي حُسْنَ أوهامِ
أجَلْ ياسرَّ إلْهامِي

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

الغيرة*

إذا كان الشاعر صادقاً في شعوره. صادقا في التعبير عنه؛ كان في الشعر مجال للدراسة السيكلوجية؛ فوق الدراسة الفنية.

وفيما يلي مقطوعتان من الشعر في موضوع واحد يفرق إحداهما عن الأخرى يوم واحد. ولكن الفرق بين روحيهما بعيد!

ولا يهمني أن أدرسهما من الناحية الفنية. فذلك شأن القراء. إنما يهمني أن أدرسهما من الوجهة النفسية، ذلك أن مبعثهما هو(الغيرة) وهي عامل نفساني بحت.

* * *

فَهمتْ هي! أن الشاعر يتوجه إلى شقيقتها بقلبه. في حين لم تكن إلا مجاملةَ. فآلمها ذلك ، ولكن لم تُرِدْ أن تبين سبب الألم؛ لِدقة الموقف؛ وإن أشارت إليه من بعيد.

وبدت كاسفةَ البال واجمةً، يتراءى في عينيها الرجاء الأسيف؛ والأمل المكلوم؛ والريبة التي تَهرب منها فتلاحقها.

ورأى هو هذا الشعور فأخرج المقطوعة الأولى تحس فيها عطفه على ارتيابها؛ واطمئنانه لهذا الارتياب لأنه وثيقة على حبها له أو لأنه كما يقول:

فلـــولا اعتــزازُكِ بالحـــبِّ لم تَثُــرْ في فـــؤادِكِ تلـــكَ الرِّيـــبُ

ولكن هذه الريبة تَجَسَّمَتْ في نفسها؛ ومضى يوم كامل لم تعد فيه إلى يقينها. فكانت المقطوعة الثانية، وكان ما يشبه التَبَرُّمَ بهذا الشك منها حيث لا مبرر للشك!.

* * *

الغيرة تَلَذُّ الرجل أول مرة لأنها وثيقة الحب، ولكن حين تَلِجُّ فيها المرأة قد يتبرم بها، لأنها تكون طعنة للحب!

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١

غَضِبْتِ فيالَكِ مِن غَاضِبَةْ! وأرْسَلتِها نَظْرةً عاتبةْ
يُتَمْتمُ فيها الرجاءُ الأسيفُ وتجأرُ فيها المُنى الوَاثِبَهْ![1]
وفيها هُدوءُ الرِّضا المُطْمَئنّ تُمازِجُه الغَيْرةُ الصَّاخِبهْ!
تُطِلُّ بِها الذكرياتُ العِذابُ وتَرْجعُ مُجْهَدَةً لاَغِبَهْ
وفيها فُتُورٌ ولكنَّه فُتورٌ به قوةٌ غَالِبهْ

* * *

ولكن بِها بعدَ هذا وذاكَ فنونُ الهوى والجمالِ العفيفْ
وفيها من السِّحْرِ أطيافُه بعينيك ألْمَحُها إذا تطيفْ
لألهمتني السرَّ لما نظرْتِ إليَّ بهذا الفُتورِ الشُّفُوفْ[2]
وحدثْتني في خُفوتٍ عجيبٍ بما أضمرتْه لُغاتُ الطيوفْ
ولولا شعوري بحبِّي العطوف لأحببتُ فيكِ الشعورَ الأسيفْ!

* * *

قد انتصرَ الحبُّ. يا للانتصار بهذا العتاب وهذا الغضبْ
وَثِقْتُ من اليومِ في حُبِّنا وأنك تَرْعينَه في حَدَبْ
فلولا اعتزازُكِ بالحبِّ لم تُثَرْ في فؤادكِ تلك الرِّيَبْ
إذَنْ فاطمئنِّي فهذا الفؤادُ يحبُّكِ في وَقْدةٍ كاللهبْ
يحبُّكِ إي وجمالِ الغضب يحبُّكِ إي والهوى المُلْتَهِبْ

١- تجأر: تتضرّع
٢- الشفوف:من شَفَّ يَشِفُّ شُفوفاً: رقَّ حتى يُرى ما خلفه.

٢

حَدِّثيــني أمــا تَزالــين غَضْبــي؟ أوَ مَــا زَالَ مِــلءْ نَفْســكِ رَيْبا

ولمــاذ الوقــارُ والصمــتُ يُضْفِي بعدمَا كنــتِ لِي مَراحــاً وَوَثْبا

كانَ بالأمــسِ كالعِتَــابِ جميــلاً ما له اليــومَ لَمْ يَعُدْ منْــكِ عتْبَا

صَمَتَ الكونُ مُــذْ صَمَتِّ ونَامَتْ صادِحاتٌ تُــرِدِّد اللحــنَ عَذْبا

أنــا أخْشَــى ولا أُصــرِّحُ مَــاذا أنــا أخْشَــى؛ فمــا أزال مُحبّا

ابْسُــمي تَبْسُــمُ الحيــاةُ وتَرْضَى وامْنَحيــني اليقــينَ. أمْنَحْكِ حُبّا

* * *

مصرع حب!*

خامر الشاعر الشك فيها بسبب أخبار تناهت إليه عن الماضي فقال:(ب) وبات هذه الليلة في الجحيم حتى لقد فضل اليقين، ولو جاءه بالفقدان على هذه الحيرة الطاغية.

أنا أشْرِى اليقينَ بالفُقْدَانِ مُؤثراً فيه وَاضحَ الآلامِ

ولكنه صمد له لأن الرجل قد يفضل اليقين الأليم على الحيرة الطائرة.

وإذا هو بعد ذلك يشعر بالفقدان فيكتب (الجنة الضائعة) فيها ألم؛ ولكن بها عفة عن جنة (تَجُوسُ فيها الذئاب) وإن كان يتمنى لو فقد جنته هذه وهي (مؤمنة عَامرة) حتى لا يفقد ذاكراها كذلك. فيتضاعف الفقدان، وهنا يبدو إحساسٌ نادرٌ؛ فقد يود بعض الناس إذا فقدوا شيئاً أن يفقدوه محطماً لا قيمة له، على عكس ما يريد الشاعر.

* * *

المرأة سريعة التشكك؛ ثائرة الغَيْرة؛ ولكنها سريعة التصديق لا تَجْنح لليقين إذا كان هذا اليقين يفجعها في الحب، بل ربما هربت من اليقين، وتعلقت بالأوهام.

والرجل بطيء التشكُّك؛ هادىء الغَيْرة، ولكن الشك الذي يداخل نفسه، بطيُء الزوال، وقد يفضل اليقين المؤلم، على التعلل بالخيال.

---

* نشرت عام ١٩٣٤

ليلة الشك

ليلـــةُ الشـــكِّ والأسَـــى والظَّلامِ   وجحيـــمَ الإقـــدامِ والإحجـــامِ
والعـــذابِ المُمـــضِّ لم يُتَصـــوَّرْ   في وعيـــدٍ أو خَطْـــرَةِ الأوهامِ[١]
قد تركتُ الماضي حَصِيداً هَشِـيمَا   ونَضِـــيرَ الآمـــالِ مثـــلَ الحُطَامِ
عـــنِ عذابِ الآمـــالِ قَـــدْ أتَعزَّى   وما عَزَائي عَمَّا مَضَى مِنْ غَرامي؟
ليتـــنى أســـتطيعُ أنْ أُرجِـــعَ المـــا   ضي فأُحيي ما ضَـــاعَ مِنْ أيامي
ليلـــةَ الشَّـــكِّ هل مضيـــتِ؟ فإني   لم أزلْ بَعـــدُ غارقـــاً في الظَّـــلامِ
والهـــوى المُشْـــرِقُ المنـــيرُ تَهاوَى   في خِضَـــمِّ الدُّجَى العميقِ الطَّامِي
والحيـــاةُ الـــتي تفيـــضُ مِراحـــاً   قـــد تَبـــدَّتْ في ذِلَّـــةِ الأيتـــامِ
وَمَشـــى الحـــبُّ مُطْرِقـــاً يَتوارَى   كَحَيـــيٍّ يَنُـــوءُ تحـــتَ اتِّهامي[٢]
ليلـــةَ الشَّـــكِّ قَدْ طَمَسْـــتِ حياةً   مِـــنْ رَجاءٍ صِيغَـــتْ ومِنْ إلهامي
لَهفَـــتي لليقـــينِ يَغْمُـــرُ نَفْسِـــي   لَهفَتي للهـــدوءِ بعـــدَ اضطرامِ
أنـــا أشْـــرِي اليقـــينَ بالفُقْـــدانِ   مُوثِـــراً فيـــه واضـــحَ الآلامِ

* * *

١- الممض: المؤلم.
٢- المطرق: من أطرق : سكت لحيرة أو خوف أو نحوهما. ينوء: يعجز.

اليقين

اليقـــينَ اليقـــينَ بعـــدَ ارتيـــابِ الهـــدوءَ الهدوءَ بعـــدَ اصطخابِ
اليقـــينَ اليقـــينَ أطلـــبُ فيـــه راحةَ اليأسِ من جحيمِ اضطرابِ
أيهـــذا اليقـــينُ إنّـــك قـــاسٍ ما تَطلبـــتُ كلَّ هَـــذا المُصابِ!
أيهـــا الشـــكُّ رُبّما كنـــتَ خيراً من يقـــينٍ كالجَدْبِ بـــينَ اليبابِ
حَيْرَةَ الشـــك، هَـــدْأةَ اليأسِ، هَلا لحظـــةً تتـــركانِ نَفْســـي لِما بِي
لحظـــةً تُخْلِيـــانَ فيهـــا فـــؤاداً مَـــلَّ وقـــعَ اليقـــينِ أو الارتيابِ
ثم مـــاذا؟ ومـــا الهـــروبُ؟ وهذا واقعُ الأمـــرِ، ما لهـــذا التَّغَابِي؟
يـــا يقيـــني إليَّ. إن حَفِـــيٌّ بيقـــينٍ شَـــرَيْتُه بِلُبَابِـــي[1]
بِدمائـــي الـــتي بُذِلَـــتْ، بِدَمْعِـــي برجائـــي المُنَـــوّرِ الوَثَّـــابِ
أنـــتَ أغلى عَلـــيّ مِـــنْ كلِّ هذا يَـــا يَقِيني، ومُرْشِـــدي للصوابِ

١- الحفيُّ: المهتم.

الجنة الضائعة

فَقَدْتُـكِ يـا جَنَّـتي السَّـاحرةْ وغـادرتُ أفيـاءَكِ العاطـره
وهِمْـتُ تُشَـرِّدُني المُقْفِـراتُ وتَلْفَحـني كاللظَّى الهاجـرةْ[1]
وتَعْصِـفُ في نَفْسِـي العاصفاتُ وتَنْهَشُـها الوَحْشَـةُ الظَّافِـرَهْ
وقَدْ طَمَـسَ اليأسُ نَهْـجَ الرَّجَاءِ وغَـشَّ البصـيرةَ والبَاصِـرهْ
فـلا الظَّنُّ يَلْمَـعُ مِثْلَ السَّـرابِ ولاَ العِلْـمُ يُرْضِي المُنَـى الحَائرهْ
هـو اليـأسُ أو اليقـينُ الأليـمُ وبعـضُ الحقائـقِ كالكَافِـرهْ
فيـا لليقـينِ المُمِـضِّ اللَّجـوُجِ ويَـا لَحَقيقتِـه الجَائِـرهْ
فَقَدْتُـك ياليـتي إذ فَقَـد تُـك كنـتِ مؤمنـةً عَامِـرهْ
لَعزَّيْـتُ نَفْسِـي بالذكريـاتِ وأودعـتُ فِرْدَوسِـي الذَّاكرهْ
ولكـن فَقَدتُـك نَهْـبَ الذئابِ تجـوسُ خلالَـك كالآسِـرهْ
ونهـبَ القَشَـاعِمِ والجارحـاتُ تخطِـفُ أثمـارك النَّاضِـرهْ[2]
ونهـبَ المطامِـعِ والمغريـاتُ تُدَنِّـسُ نِيَّتَـكِ الطَّاهِـرهْ
فقدتُـك في النفـس أنْشُـودةً ومعنى مـن الفتنـةِ السَّـاحرهْ
فقدتُـك ذِكْـرى فوا حسـرتَاه لِفَقْـدٍ مـنِ العـينِ والخاطِـرهْ

١- الهاجرة: القيلولة: شدة الحر.

٢- القشاعم: النسور الذكور الضخمة.

الحنين والدموع

جَفَّ قَلْبـي منَ الحنـينِ فَفَاضَتْ عَبراتـي وأقفـرتْ مُنْـذ حِينِ
وحسـبتُ الدموعَ ذِكْرى توارتْ بـينَ ماضـي حياتـي المَكنُونِ!
وإذا بي أُودِّعُ اليـومَ عَهْـدَاً فتفيـضُ الدموعُ مِـلْءَ الجفوُنِ
في انسـكابٍ يَغُضُّ مـن كِبْرِيَائي واضطرابٍ يرتاعُ منهُ سُكُونِي
يـا دمـوعَ الوفـاءِ أَنْتُـنَّ أَغْلَى أن تُرَقْرَقْـنَ للوفـاءِ الغَبـينِ[1]

* * *

١- الغبين : الناقص: الضعيف: الخادع وهو المراد.

اللغز*

خَفَــقَ القلبُ الذي مَسَّــتَ يَداكِ جانبيــهَ؛ في جنــونٍ واضطرابِ
أكــذا يَهْتَاجُنِــى مَــسُّ هــواكِ وأنا الهادِئُ في مَورِ العُبابِ؟![1]

* * *

عجباً ! مــا السّــرُّ في خفقتهِ.. ؟ إنــني أسْــأَلُك السّــرَّ الدفــينْ
أنــتَ أدْرَى بالــذي أودَعتــه فيــه من حبّ، ووَجْــدٍ، وحَنِينْ!

* * *

إن قلــبي لم يكــنْ يَنْــزُو ، فماذَا سَالَ في كفّكِ مِنْ سِحْرٍ عَجيبِ؟
أهــو اللُّغْــزُ الذي تَحْويــنَ هذا؟ أم هي الفتنــةُ في مِفْتَاحِ القُلُوبِ؟

* * *

إيه !. إِنِي في اضطرابي قَدْ نَسـيتُ مَبْعــثَ الفتنــةِ عينيــك تْــينِ!
تُضْمِرَانِ السِّــحْرَ يُحيى ويُميتُ ؟ وهمــا سِــرُّ اتصــالِ المُهْجَتَيْــنِ

* * *

سِــحْرُكِ المجهولُ أمْسَكْتُ عَصَاه! فــإذا شــئتُ اتقــاءً أتَّقيــه!
لكن السّــحْرَ الذي تَاهــتْ رُقَاه إنــني أهفُــو إلى الإخــلادِ فيهِ

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤

١- مور العباب: تحرُّك الأمواج.

قبلة*

أهـــي النَّشْـــوةُ أم وَقْـــدةُ جَمْـــرٍ   إنني أحسســـتُها تذكُو بِصَدْرِي[1]
وبِرُوحِـــي   لَهْفَـــةٌ   تَبعثُهـــا   هذه القبلـــةُ من أعـــذبِ ثَغْـــرِ
قُبْلَـــةٌ ! مـــا هـــذه القُبْلَـــة إِذ   تنقـــلُ الدُّنيـــا إلى عـــالمِ سِـــحْرِ
وتُحيـــلُ الجســـمَ والـــرُّوحَ معـــاً   شـــعلةً طائفـــةً لم تَسْـــتَقِرِ
بل تُحيلُ الجســـمَ والرُّوحَ شَـــذىً   من عبيرِ الخُلْدِ أو مِسْـــكَةِ طُهْـــرِ

* * *

لم أُحِـــسّ الـــرُّوحَ مـــنى مُثْقَـــلاً   بهمومِ الجســـمِ إِذ هَوَّمَ يَسْـــرِى
لم أُحِـــسَّ العُمْـــرَ إلا خَفْقَـــةً   في فُؤادِ الدَهرِ قد فَاضتْ ببشرى
وأرى الماضِـــى أَضْحَـــى لحظَـــةً   بعد ما قَـــدْ كادَ أن يُنْقِضَ ظَهرِي
وتطلَّعْـــتُ   بعـــينِ   المُنْتَشِـــى   لجمالِ الكونِ في نَشْـــوةِ سُـــكْرِ

* * *

أهـــي القُبْلَـــةُ مـــن ثَغْـــرٍ لِثغرِ ؟   أم هـــي الخَطْرةُ مِـــنْ وَحِي لِفكْرِ
أم تُراهـــا قُبْلَـــةَ النـــورِ الـــتي   فاضَ منهـــا النـــورُ في أولِ فَجْرِ
حينمـــا رفـــرفَ والكـــونُ دُجَىً   رُوحُ ربّ الكـــونِ في لُجَّـــةِ غَمْرِ
فتجلّـــى النـــورُ في بَـــرٍّ وبَحْـــرٍ   وتَراءى الحُسْـــنُ في طيرٍ وزَهْـــرِ

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- تذكو: تنمو وتلتهب.

داعي الحياة*

يَخفُــقُ القلبانِ ، بل تَهفُو الشّــفاه   مُنــذُ أن ضَمَّتْكِ في شَــوْقٍ يَداه
مُنــذُ أن رَنَّ صَدَاهــا ، قُبْلَــةً   نَهلَــتْ منهــا وعَلَّــتْ شَــفتَاه
وارتــوتْ رُوحَاكُما بَــلْ ظمِئت   برحيــقِ القُبُــلاتِ المشــتهاه
بَلْ رحيــقُ الخُلْدِ قَدْ طَــابَ جَنَاه   وسَــرَى فيــه حُــلاه وشَــذَاه

* * *

يَخفُــقُ القلبانِ؛ بل تَهفُو الشِّــفاه   حــينَ يَلْقَــى ناظِرَيــك نَاظِرَاه
حينمــا يَسْــتَعِرُ الحــبُّ جَــوىً   يَكْتَوِى القلبــانِ مِنْ حَــرِّ لَظَاه
فَيُرجــي كلُّ ثَغْــرٍ قُبْلَــةً   هــي بَــرْدٌ للحنَايــا والشِّــفَاه
مثلمــا يَطْلُــبُ رَيَّــا ظَامِــئٌ   ينظــرُ المــاءَ ولا يَبْلُــغُ فَــاه

* * *

يَخفُقُ القَلْبــانِ؛ بل تَهفُو الشِّــفَاه   كلمــا بَشَّــرَ بالحــبِّ الهُــدَاه
كلَّمــا نَــادَى حَــيْ هَــلا   يَقْطِــفُ المحرومُ ما طَــابَ جَنَاه
مَــا لِمَحْرومَيْــن لم يَسْــتَمِعَا   ذلك الصــوتَ الذي دوَّى صَدَاه
إِيه هيــا؛ فَلْنُجبْ دَاعِي الشِّــفاه   فهوَ داعِى الحبِّ؛ أو دَاعِى الحيَاهْ

---

* نشرت في ١٩٣٤

تحية الحياة*

شَـفَتَاي تَخْتَلِجَـانِ للتقبيـلِ؟ في كلِّ مُطَّلـعٍ لديـكِ جميـلِ
ظَمَـأُ الشِّـفاهِ طبيعـةٌ أُلْهِمْنَهـا منـذ ارْتَوَيْـنَ بثغركِ المَعْسُـولِ
ظَمَـأٌ تُؤَجِّجُـه القلـوبُ خوافقاً تَنْـزُو بعـارمِ لهفـةٍ وغليـلِ
من يومِ ما التقَت الشِّـفَاهُ فَحدَّثَتْ عـن حُبِّنـا بسـواحرِ الترتيلِ!
أفتذكرينَ وقـد ضَمَمْتُك والهوى يُغْـرى ويُوقظُ خَاطِـرَ التقبيلِ؟
والكـونُ يُمْسِـكُ خَفْقَـه مُنْتظِراً قبلاتنـا في لَهْفَـةٍ وذُهـولِ
هُـو عاشـقُ القُبـلاتِ! إنّ رَنينَها لَحْـنٌ يُنَبِّـهُ فيـه كلَّ خُمُـولِ
وهـي الحيـاةُ إذا تُحيّـى قُبْلَـةٌ رَمْزاً علـى الترحيـبِ والتأهيلِ
أفـلا نَـردُّ علـى الحيـاةِ تحيـةً مَا عقّهـا في الكـونِ أيُّ بخيلِ؟
أفـلا نُرَجِّـعُ غِنْـوةَ التقبيـلِ! وتحيـةَ الدُّنيـا لخيـرِ نَزيـلِ؟[1]

* نشرت ١٩٣٤.

١ – النزيل: الضيف

الخطر

بينَ التلفُّتِ والحَذَر خَطَرتْ تُبَشِّرُ بالخَطَرْ!

بُشْرَى! فما دامتْ هُنَا فعلامَ تَقْرُبُنا النُّذُرْ!

وتشيرُ للمتنظِّرين إِشَارةَ اللَّبِقِ الحَذِرْ!

لتضيعَ مني قُبْلَةٌ لبثتْ بِفيها تَنْتَظِر!

ولبثتُ أرقُبُ قَطْفَها من بَعْدِ ما نَضَجَ الثَّمَرْ

هو ذاك يا قلبُ الخَطَر لا الناظرونَ ولا النَظَرْ

* * *

صَنَعَ الشبابُ صنيعَه والحُبُّ في الحُسْنِ النَّضِرْ

فمضَى يَتيهُ تخايلاً فإذا تَلَطَّفَ يَعْتَذِرْ!

ويَلُوحُ حتى ننتَشِي ويغيبُ حتى نَسْتَعِرْ

ويروقُ حتى لا نَرى شمساً سِواه ولا قَمَرْ

ويَرِقُّ حتى لا نَرى طيراً سِواه ولا زَهَرْ

ونَطِيرُ في نَشَوَاتنا نهفو إليه وننتظرْ

فَإِذاهُ آناً يعتذرْ عَنّا وآناً يستترْ!

هو ذاك يا قلب الخَطَرْ لا الناظرونَ ولا النَظَرْ!

* * *

تِـــه أيُّهـــا الحُسْــــنُ الأغَـــرُّ وامـــرحْ بِنَفْسِـــك وازْدَهِـــرْ
مـــا الحُســــنُ إلا شُـــعْلَةٌ تَخْبُـــو إِذا هِـــي لم تُثَـــرْ
مـــا الحُسْــــنُ إلا طَائـــرٌ يَهـــوِى إذا هُـــو لم يَطِـــرْ
مـــا الحُسْــــنُ إلا قُـــوةٌ تَعْيَـــا إذَا لم تَقْتَـــدِي
أمّـــا الذيـــن أسَـــرْهُم بـــينَ التـــبرُّجِ والخَفَـــرْ[1]
فعليهـــمُ أن يَعْلَمُـــوا يـــا حُســـنُ مـــن أيـــن المَفَـــرْ
أو يَســـتَنِيمُوا للخَطَـــرِ وبحســـبِهم مِنـــكَ النَظَـــرْ

* * *

١- الخفر : الحياء.

يقظة*

سَـــهِرْتِ؟ إذنْ تَعَالَــيْ حَدِّثيــني بما أحْسَسْــتِ من حَــرَقِ الحنينِ
فقــد جربتُـــه ســـهرَ الليـــالي وقـــد خَبَـــرْتُ تســـهيدَ الجفونِ
وأعْلَــمُ أن مبعثَــه غَـــرامٌ يَــؤُزُّ جوانبَ القلــبِ الحَنُونِ[1]
ويَقْظَـــةُ حـــالمٍ تَسْـــمُو مُنَـــاه عــنِ النُّـــوامِ في دُنيا السُـــكُونِ
فَهـــلْ أحْسستـــهِ حُبَّـــا كهـــذا فبـــتِّ الليـــلَ سَـــاهِدةَ العُيونِ؟

* * *

ومـــا أبْغِـــى لـــك السُّـــهدَ المُعَنّى ولا الحُرُقَاتِ سَـــاعرةَ الشُّـــجُونِ
ولكنّـــي أريـــدُ نشـــاطَ حُـــبٍّ ويقظـــةَ عاشـــقٍ جَمِّ الفُتـــونِ[2]
فنوقـــظُ هـــذه الدُّنيـــا خلـــوداً ونَسْـــمُو عـــن تقاليدِ الســـنينِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- يؤز: يزلزل.

٢- الجمّ: الكثير.

رقية الحب*

خَيَّمَ الليلُ فَنامي في هُدوءٍ وسَلامِ
رَفَّ مِنْ حولك قَلبٌ عَلّم الحبَّ التَسامي
أو فَإنَّ الحبَّ نَقَّاهُ بوحِي منْه سَامِ
فهو يَحْيا في سماءٍ مِن أمَانٍ ومَرَامٍ
وهو يَسْرِي في وَسِيعٍ من رجاءٍ مُتَرامِ
يَشْمَلُ الدُّنْيا بعطفٍ ورِضَاءٍ وابتسامِ

* * *

خَيَّمَ الليلُ فَنامي في هدوءٍ وسَلامِ
رَتَّلَ الحبُّ رُقَاه في سُكونٍ لِتَنامي
رُقْيَةُ النومِ وأُخْرى للرُّؤى بعدَ المَنامِ
ودُعَاءٌ لكِ بالبِشْرِ غَداً عندَ القيامِ
وتَعَاويذُ مِن الشَّرِّ لعامٍ بعدَ عَامِ
رُقْيَةٌ في إثْرِ أُخْرَى مُشْرِقَاتٌ في الظَّلامِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

أيُّهــا الحــبُّ فَــلا تَنْــسَ دُعــاءً بالــدوامِ

وتعاويــذٌ لقلبينــا لِصَــدٍ أوْ سَــآمِ

أو فَعَوِّذْهــا ودَعْنِــي لِتَعاويــذِ غَرامِــي

وإِذا شــئتَ فَعَــوِّذْ بي مِــن فَــرْطِ هُيامِــي

ومِــنَ اللهفــةِ تَطْغَــى في فــؤادي كالضِّــرَامِ![1]

واجعــلْ الدُّنْيَــا ســلاماً وارْوِ يــا حُــبُّ أُوَامِــي[2]

* * *

١- الضِّرام: النار الملتهبة.

٢- أوامي: الأوام: حرارة العطش.

الحياة الغالية*

بالأمسِ كنتُ أعيـــشُ نِضْو تَرقُّبِ أُزْجِى حَياتِي كالأجـيرِ المُتْعبِ[1]
أرنُــو إلى الإِصْبَــاحِ ثم تَمُجُّــه نَفْسِــي وأنظرُ كارِهاً للمَغْيب[2]
وأُحــسُّ بالقفــرِ الجديــبِ يَلُفُّنِي ويَجُوسُ في نفــسٍ كقبرِ الغَيْهَبِ
ولو أنمــا اختصرت حيــاتِي لم أبل بَــلْ لم أحسُّ بنقصهــا أو أعْيب
وإذا تَشَــابَهتِ الحيــاة وأقفرتْ مُجَّــتْ برُمَّتِهــا، ولَــمْ تُتَطَيب

* * *

واليومَ. آسَــفُ للدقائــقِ تَنْطَوي من عُمْرِي الغَــالي الثمينِ الطَّيب
واليــومَ أرْقُبُهــا وأرْقُــبُ خَطْوَها فأعيشُــها مِثْلَينِ بَعــدَ تَرَقبذث
وهــي العميقــةُ كالخلــودِ وإنما تَمْضِــي حَثِيثاً في خُطَــا المُتوثب
وأودُّ لــو هــي أبْطَــأتْ وتَلبَّثَتْ في خَطْوِها لَيْثَ الوَئيــدِ المُكْثِبِ
تَغْلُــو الدقائــقُ في حيــاةٍ خِصْبَةٍ وتَهُــونُ أعْــوامٌ بعُمْــرٍ مُجْدِبِ

* * *

الحبُّ فَــاضَ على الحيــاةِ بخِصَبه وأجَــدَّ عُمْراناً بِــكلِّ مُخرَّبِ[3]
وأزَاحَ أسْــتَارَ الدُّجَى فتكشَّــفَتْ ظُلُمَاتُــه عــن كلِّ زاهٍ مُعْجِــب
وكذلك تَحْلُو لِيَ الحيــاةُ وتَجْتَلي وتَعِزُّ ســاعاتُ الغَــرامِ المُخْصِبِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- النضو: هزيل والمراد: هزيل من الترقب والانتظار.

٢- تمجه: تلفظه كارهة.

٣- أجَدّ: استحدث.

الكون الجديد*

تَغَنَّي وامْلئي الدُّنيا نشيدًا وحَيِّي ذلك الكونَ الجديدًا
فإنَّ الحبَّ أبْدَعَه؛ وإني نَظمْتُ على بَدَائعه القَصيدًا
أجَلْ حيِّيه فهو لنا، وإنَّا لَنعْمُرُ كَوْنَنَا عُمْراً سَعيدًا
نعيشُ مَعِيشَةَ الطُّلَقَاءِ فيه وكونُ الناسِ يُثْقِلُهم قُيودًا
وَنَمْلِكُه وَما الأحياءُ إلاَّ أجيري هذه الدُّنيا عبيدًا
وَنَبْذُرُ فيه آمالاً وَضَاءً فَيُنْبِتُ غَرْسُها الطَّلْعَ النَّضِيدًا

* * *

تَغَنِّي بالرجاءِ وبالأمَاني وبالنُعْمَى تَدومُ لَنا خُلُودًا
ومِنْ فِتَنِ الحياةِ خُذي الأغاني ومِنْ خَفَقَاتِها صُوغِي النَّشيدًا
ومِنْ شِعْري؛ فقد نظَّمْتُ فيه أهازيجَ الهَوى لَحْناً فريدًا
فما أحْلَى الغِنَاءِ بِعَذْبِ شِعْرٍ نُحَيِّي فيه عَالَمَنا الوَليدًا

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

حب الشكور*

إنْ لَـمْ أُحِبُّـكِ للسَّـنا والنُّـور   وَلِحُسْـنِ وجه في الحيـاة نَضِير
ولِسحْرِ رُوحِكِ حين يَخْتَلِسُ النُّهَى   منّـي فَأَتْبَعُـه اتّبَـاعَ سَـحير[1]
ولَمّـا تَضَمَّنْتِ الجمـالَ فأفصحتْ   بكِ منـه سَـاحِرةَ مِـنَ التعبير
ولما مُنِحْـتِ، وما مَنحتِ من الهوى   للكـون؛ أو أحييْتِ مِـنْ مَقبور
إنْ لَـم أُحِبُّـكِ حُـبَّ مفتونٍ ولا   حُبَّ الأسـيرِ؛ إذَنْ فَحُبَّ شَكُور

* * *

حُـبَّ الذي أحييْـتِ فيـه حَيَاتَه   مما لديـك مـن الحَيـا المَذْخُور
ووهبتِـه مُلْـكَ الحيـاة وطَالَمـا   قَـدْ عَاشَـها كالعَامـلِ المَأْجُور
ومَنَحْتِـه مَاضِيـه بعـدَ ضَيَاعِـه   وأعَـذْتِ قَابلَـهُ مِـنَ المَحْظُور
حُبَّ الـذي أشْـرَقْتِ في وِجْدَانه   فجلـوتِ كلَّ مُحجَّبٍ مَسْـتُور
ونَفَخْـتِ في عَزمَاتِـه فتوهَّجَـتْ   وسَـمَتْ لـكلِّ مُمَنَّـعٍ وخَطير

* * *

أوْ فَلأُحِبُّـكِ حُـبَّ مَـنْ ألهمته   شِـعْراً يُضِيءُ سَـنَاه كلَّ شُعور
شِـعْراً جمعتِ من الحيـاةِ زُهُورَه   ومِـنَ الجمـالِ نَفَحْتِـه بعبـير
ومِـنَ الضيـاءِ وهبتِـه آمالَـه   ومن النَّدَى حِلْمـاً كَوجه غَرير
وبعثتِـه وَحـيَ الحيـاةِ وفَنَّهـا   تجلُـوه ضِمْـنَ جمالِهـا المَأثُور

* * *

أفـلا أُحِبُّـكِ؟ إنّهـا لَفَرِيضَـةٌ   حُبَّ الشَّـكُورِ لِواهبٍ مَشْكُور

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- النهى : العقل.

عصمة الحب*

عِصْمَـــةُ الحبِّ من صنيعِ السَّـــماءِ وهي صِنْـــوٌ لعِصْمَـــةِ الأنبياء[1]
يُخْطِــئُ الناسُ في الحياةِ اسْـتباقاً للـــذَاذاتٍ قبــلَ يــومِ الفَنَــاء
وصِرَاعــاً مــا بينَ جســمٍ ورُوحٍ في شَــتيتِ الآمــالِ والأهــواء
وَلَــوَ انَّ الأنامَ قَدْ ضَمِنُــوا الخُلْدَ أوَ انَّ الأرْواحَ مَحْــضُ صَفَــاء
لَتَســامَوْا عَــنِ الخَطيئــةِ كالقَيْدِ وعَاشُــوا مَعيشــةَ الطُّلَقَــاء

* * *

وغَنَــاءٌ عَــن الخُلُــودِ غَـرَامٌ هُــو رَمْــزٌ وَوَصْلَــةٌ للبقــاء
وهو يَعْلُو بالرُّوحِ عن خَطَلِ الجِسْمِ ويُضْفِــي عليه ثَــوْبَ الضيِّاء[2]
هُـــو نــورٌ ومــا الخطيئَـــةُ إلاّ ظُلْمَــةٌ أو حَليفَــةُ الظَّلْمَـــاء
وهُو يَسْــمُو عن الزمــانِ ومَا قَدْ يَقْتَضِيــه الزمــانُ مِــنْ أخْطَاء
هُـــو خُلْــدٌ، ومــا الخطيئــةُ إلاّ بعــضُ وَحْــيِ الفَنَــاءِ للأحْياء

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الصنو: المثيل والنظير.

٢- خَطَل: فساد: الكلام الفاسد الكثير المضطرب: المنطق الفاسدز

الانتظار الخالد*

أنــا بانتظــارِك مــا أُبالــي رِضــي الهــوى حُكْــمَ الجَمالِ!
غيــبي إِذَنْ أو فَاحْضُــري أنــا قَانــعٌ في كلِّ حَــالِ!
رَاضٍ بأحلامِــي الــتي تُضْفِــي عليــك حَلْــيَ الجلالِ
لســتِ الملومَــة إنــني أنا رشْــتُ أجْنحَةَ الــدَّلال![1]
مَــا للجَمَــالِ مَتَــى بَــدَا إلا التَّخَشُّــعُ في ابتهــالِ

* * *

أنــا بانتظــارِك في الشُّــروقِ وفي الغــروبِ وفي الــزَّوالِ
أنــا بانتظــارِك حِــين أصْحُــو طَلْعَــةً مِثْــلَ اللآلــي
أنَــا بانتظــارِك حــينَ أغْــــــفــو طائفــاً مِثْــلَ الخيــالِ
وإذا قربــت تَطلَّعَــتْ نَفشــي إلى القُــرْبِ المُوالــي!
وإلى التَّمــازُجِ بيننــا حَنْــيَ النحــور إلى كَمَــالِ
هــو ذاك سِــرُّ تَنَظُّــري أبــدا إليــك؛ فمــا احتيالِــي؟

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- رشتُ: السهم، جعل له الريش.

الحب المكروه!*

كَرِهْتُكَ أيُّها الحبُّ كراهةَ مُحْنَقٍ غاضِبْ
وضَجَّ بِهَوْلِكَ القلبُ وما تَبْلُوه مِنْ وَاصِبْ[1]

* * *

كَرِهْتُكَ حَيْرةً كُبْرى جحيماً كَلُّه حَرَقْ
كَرِهْتُكَ لهفةً حَرَّى وشوقاً كلُّه نَزَقْ

* * *

كَرِهْتُكَ ريبةً فينَا وفي الدُّنيا وفي النَّاسِ
نُكَذِّبُ مَا بأيدينا ونَسْمَع هَمْسَ وَسْواسِ

* * *

كرهتك غُلَّةً[38] ظَمِئتْ ولا رِيٌّ ولا مَاءْ
وَوَقْدَتُهَا قد اشتعلتْ وفي التلطيفِ إذْكَاءْ

* * *

كرهتك سَهدَ أجفانٍ وصَحْواً في الدُّجى المُبْهَمْ
كرهتك مَهدَ أشْجَانٍ ومُذْكِي وَقْدِها المُضْرَمْ

* * *

---

* نشرت ١٩٣٤.

واصب: من وَصَبَ: مرض.

كرهتك شُغلِيَ الشَّاغِلْ وآمَالِي وآلامِي
وماضِي العُمْر والآجِلِ ولَيْلاتِي وأيَّامِي

* * *

كرهتُك دورةَ الزّمَنِ بلا حَدٍّ ولا فَاصِلْ
وصلتُ الصَّحْوَ بالوسنِ بإحساسٍ لَنا شَاغِلْ

* * *

كرهتُك لستُ موقوفاً على حُبٍّ يُقَيِّدُني
كَرِهْتُ العيشَ مَلْهُوفاً على أملٍ يُسوِّفُني

* * *

وداعاً أيُّها الحُبّ كرهتك فارتحلْ قُدُمَا
كرهتك لم يَعُدْ قَلبٌ بصدري يَحْمِلُ الألَما

* * *

سَأحيا خَامِدَ الحِسِّ فلا حُبٌّ ولا أمَلُ
سَتخْبُو شُعْلَةُ النفسِ ويَمضِي ذلك الأجِلُ

* * *

نكسة!*

خَفَقْتَ يا قلبُ ! . ماذَا أَنكْسَةٌ مِنْ جَديدْ؟[1]
تَوثُّبَ الحبّ هَذَا ؟ بعدَ الهدوءِ المَديدْ
وبعد فَكّ القيودْ

* * *

يا قلبُ ماذَا أَثَارَكْ ؟ وهَاجَ فيك الحَنينَا؟
وقد خَلَعْتَ إِسارَك وعِشْتَ كالناسِ حِينا[2]
أو عشتَ كالهادئينا !

* * *

لَقِيتَها يا فُؤادى أَنكْسَةُ الحبّ لَقْيَا؟
كالنارِ تحتَ الرّمادِ ما يلبثُ الحبُّ حَيًّا
ما أعجبَ الحبَّ دُنْيَا !

* * *

يا قلبُ فَاذكرْ عَذَابَك في الشكّ أو في اليقينِ
فهل نَسِيتَ اضطرابَكَ؟ بين القَلَى والحنينِ[3]
وبين سُودِ الشُّجُونِ؟

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- النكسة: العودة رأساً على عقب. والمراد العودة إلى المرض بعد العافية.

٢- إسارك: قيدك.

٣- القلى: البغض والهجر.

وبــينَ إنْ قِيــلَ غَابَــتْ أو قِيــلَ الآن تَأتــى!

وبــينَ فَــوزٍ مُبَاغِــتْ أو حســـرةٍ بعــدَ فَــوْتِ

وحَيْرَةٍ كلَّ وقتِ

* * *

أراكَ يــا قلـــبُ لَمَّــا تَســمَّعْ، ولم تَتَذَكــرْ

ومــا تحــاوُل كَظْمــاً لخَفقِــكَ المُتَســعّرْ

وما تريدُ التدبُّرْ

* * *

عَلَيْــكَ يَــا قلـــبُ وِزْرَكَ فاخفــقْ إذَنْ بَــلْ فَخَاطِــرْ؟

فليــس يُجْدِيــك حَــذَرُكَ إذَا هَمَمْــتَ تُحَــاذِرْ

خاطِرْ بنفسِك خَاطِرْ؟

* * *

على أطلال الحب *

تَفَـرَّدَ ذلـك الطَّلـلُ وطـافَ بركِنـه الوَجَـلُ
يُغَشّـى اليـأسُ صَفْحَتَـه ويُبْـرِقُ تحتَـه الأمـلُ
وهْمِـسُ حولَـه الذّكْـرَى فتلمـعُ بينهـا الشُّعَلُ
جَفَـاه أهلُـه مَلَـلاً فَخَّيـمَ فوقَـه المَلَـلُ
عَزِيـزٌ عَهْدُهـم فيـه عزيـزٌ أَنْـتَ يَـا طَلَـلُ

* * *

بَنَـاه خَـيرُ بَنّـاءٍ بَنَـاه الحـبُّ مُبْتَدِعـا
وبَـثَّ علـى جَوانِبـه مَفَاتِـنَ تَفْتِـنُ الوَرِعَـا
وأطْلَـقَ حولَـه سِـحْراً يَبُـثُّ الشَّـوقَ والوَلَعَـا
وأَنْشَـدَ باسِمِـه شِـعْراً مِـنَ الآمـالِ مُنتزِعَـا
وظَلّـلَ أَهَلـه الأمـلُ فمـاذا جَـدَّ يـا طَلَـلُ ؟

* * *

---

* نشرت ١٩٣٤.

خريفٌ باكرٌ حلَّ خريفُ الحبِّ والعُمْرِ
فَحطَّمَ كُلَّ شامخةٍ على الأحداثِ والدَّهْرِ
وعَطَّلَ كُلَّ فاتنَةٍ مِن الإغْرَاءِ والسِّحْرِ
وأبْطَلَ كلَّ ساحِرةٍ وأسْكَتَ نَغْمَةَ . الشِّعْرِ
فَعَادَ بنَاؤه طَلَلاً فويْحَكَ أيُّها الطَلَلُ
دَلَفْتُ إليه مَلْهُوفاً تحُثُّ حَنيني الذِّكْرَى
فَأطْرَقَ لا يُحَدِّثُني وأرْسَلَ زَفْرةً حَرَّى
وَجَدْتُ لِوَقْدِها لَذْعاً كَأني ألْمَسُ الجَمْرا
وتاهتْ نَفْسي الوَلْهي وأَسْرَتْ رُوحِي السَّكْرَي
وقُلْتُ وقَدْ نَزا ألَمِي «فِداكَ الكونُ يَا طَلَلُ» ؟

* * *

صدى قبلة*

حرارتُهـا لم تَـزلْ فائِـرَه ونكْهَتهـا لم تَـزالْ عَاطِـرهْ
أُحِـسُّ حرارتَهـا في دَمِـي كمـا تَصْـرُخُ الشـعلةَ الثَّائرهْ
أنْشَـقُ نَكْهَتَهـا كالشَّـذَى يفـوحُ مـن الزهـرةِ النَّاضِـرهْ
وتخطـرُ رَيَّانَـةً في فَمِـي كمـا يَخْطُـر الحُلْـمُ بالذّاكِرة
وبيـنَ يَـديَّ صَـدَى ضَمَّـةٍ تَـرَدَّدُ كالنَغْمَـةِ السَّـائرةْ[1]
أجَلْ! لَيْسَ هَذا الذي قد ضَمَمْتُ سِـوى نَغْمَـةٍ حُلْـوةٍ عابِـرَة
أذلِـك جِسْـمٌ ! فأيـنَ الخيُال وأيـنَ عَرَائِسُـه النَّافِـرةْ؟
تَقَدَّسْـتِ مِـنْ قُبْلَـةٍ قَدَّسَـتْ مُنَـاي وأوْهَامِـي الحائِـرهْ
وأَزْكَـتْ حَياتِـي وإنَّ الحيَـاةَ هِـي الفتنـةُ الحيَّـةُ الطَّائِـرهْ
أجلْ هِـي أطْهَرُ ما فِـي الوجودِ فمـا الرِّجْسُ إلاّ القُـوى الخَائرةْ
لجَسَّـمْتِ مـا كانَ في خَاطِري خيـالاً وأُمْنيـةً طَائِـرهْ
وقَرّبْـتِ لِلَّمْـسِ مـا لم تكُـنْ تُقَرِّبُـهُ الفكْـرةُ الخَاطِـرهْ
وَأسْـرَيْتِ بالـرُّوحِ في لَثْمَـةٍ تَحُـسُّ بِهـا الشَّـفَةُ الشَّـاعِرهْ
أَمُعْجِزَةٌ أَنْتِ تَمْزِجُ بين الجِسْـمِ وبيـنَ القُـوى الطَّافِـرهْ ؟[2]
قُـوى كلِّ هَيْكلِ هـذا الوجودِ كذلـك قـدرتْ يـا قَـادِرَهْ !

---

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر) ١٩٣٧.

١- السائرة: المنتشرة.

٢- الطافرة: من طفَرَ: وثب: أسرع.

وإنّـــي لأغْمِــضُ فِــي نَشْــوةٍ وأُمْسِــكُ أَنْفَاسِــي السَّــاعِره

وأَخْطَرُهَــا قُبلــةً فِي فَمِــي فَأسْــمَعُ أَصداءَهــا السَّــاحِرهْ

وأسْــتَرْجِعُ اللحظــاتِ القِصَارِ فَأُلْفِــي بهــا صُــوراً وَافِــرهْ

وأَعْرِضُهــا مَنْظَــراً مَنْظَــراً كمــا عُرِضَــتْ قبــلُ لِلبَاصِرهْ

ثَــوانٍ تَرَكّــزَ فيهــا الزمــانُ تُبَــارِكُ دُنيــاي والآخــرهْ

* * *

غني ...؟!*

غنيّةٌ أنـتِ بالتعبيرِ قـد ذَخَرَتْ أطـواءُ نفسِـكِ منـه زادَ أَحْقَابِ
وهَبتـني مِنْـه أشـتاتاً منوّعـةً وزدتِـني منـه في وجودٍ وإسـهابِ
في كل جَارحـةٍ عُنـوانُ مَلْحَمَةٍ مـن الحديثِ ، وسـرٌّ جِـدُّ جذّابِ
تقـصُّ تاريخَهـا في فـنّ راويةٍ منسّـق النَّبْرِ ذي لحـنٍ وإطرابِ[1]
وإنَّ تاريخَهـا أُقْصُوصـةٌ جمعتْ تجـاربَ الكـونِ في أحـلامِ أربابِ
تجاربُ الكونِ في سـحْرٍ وفي فِتَنٍ من نُضْرةِ الرّوضِ أو مِنْ وَحْشَةِ الغَابِ
ومِنْ سَـناءِ الـدَّراري في تألُّقِها ورهبةِ الكونِ في جُنْحِ الدُّجى الخَابي[2]
ومِنْ غُموضِ الصَّحَارِى في مَجاهلِها والعيلمُ الرَّحـبُ يَطْغَى جِدُّ صَخَّابِ
ومن صِيـالِ الضَّواري في تَقحُّمِها ومن أغاريـد أطيـارٍ وتَنْعَـابِ[3]
وفرحـةُ الظَافرِ النَّشـوانِ خَافِقَةٌ تختـالُ مُعْجَبـةً في خَطـوٍ وثّـابِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٧

١- النبر: إبراز النطق والصوت.

٢- الدّراري: مفردها دُرِّيّ: وهو كوكب لامع.

٣- التنعاب والنعيب: صوت البوم.

هــذا حديثُــكِ بينَا أنــتِ صَامتةٌ   وَعَيْتُــهُ كلَّه في صَمْـــتِ مِحْرابِ
فهلْ بلغتُ مدَى مــا أنتِ زَاخرةٌ   من التجاربِ في خَلْــقٍ وإنْجابِ ؟
لا . لا وحقكِ لم أبلغْ سوى طَرْفٌ   من الحديــث على وَفْــرٍ وإطنابِ
وخَلْفَ ذلــك كَنْزٌ كُلُّــه طُرَفٌ   يزيــدُ مَذْخُــورُة في كــفِّ وهّابِ
وإنَّ عِنْــدكِ مــا تُعطِينــه أبــداً   للســائلينَ بإفْصَــاحٍ وإغْــرابِ

* * *

العينُ . ماذا تَقصُّ العينُ مِنْ خَبرٍ   مُسَلْسَــلٍ في حَنايا النفسِ مُنْسَابِ؟
وما الذي أبْدعتِ للفنِ إذ هَمَست   للأمْنيــاتِ فلبَّتْ بِضْعُ أسْــرابِ ؟
وأفْصَحتِ عن حنينٍ كامنٍ وهَوى   يَسْــرِى الهوينى شَفُوفاً بينَ أَهْدابِ ؟
والثغــرُ ماذا يبثُّ الثغرُ من قُبَلٍ   في صمتهِ العَذْبِ، بل في سِحْرِهِ السَّابِي[١]
وإن فيه لقُبلاتٍ قد ارتَسَــمتْ   من بعد ما نَضَجَت ، لِلاَّثمِ الصَّابي[٢]

* * *

والجسمُ. ماذا يقولُ الجسمُ قد خَفَقَتْ   فيه الحياةُ ، وتَاهــْت تيهَ غَلاَّبِ ؟
يقولُ مــا تعْجَــزُ الدُّنيــا برُمَّتها   عــن أن تقولَ بتصويــرٍ وإعرابِ

* * *

خُلاصَةٌ أنتِ من فَــنّ الحياة حَوتْ   جَميعَ ما تُبــدِعُ الدُّنيا لإعْجَابِ
غنيــةٌ أنــتِ بالتعبير قَــد ذخرتْ   أطواءُ نَفْســكِ منــه زادَ أحقابِ

* * *

وحي جديد *

فِـــي خِفّــةِ الطيْــرِ في نُضْــرَةِ الزّهْــرِ
لا قيتُهــا عَرَضــاً بَسَّــامةَ الثّغــرِ
فتّانــةٌ تُغــرِي بالسّــحرِ والطُّهْــرِ
تَهْفُــو فَتَحْسَــبُها لحنــاً هَفَــا يَسْــرِي
في لَفْتــةِ الجيــدِ في خَفْقــةِ الصَّــدْرِ
«تَقْسِــيمُ» موســيقــــا أَمَنْغُومــةِ النّبْــرِ

* * *

يـــا بَسْــمَةَ الفَجْــرِ يــا نَفْحَــةَ العِطْــرِ
أسْــكَرْتِ وِجْــدَانِي مِــنْ لَوْنِــكِ الخَمْــرِي
أَلْهَبْــتِ إِحْسَاســي بالشّــوقِ كالجمــرِ
وَهَمسْــتِ في قَلْــبي وهَتَفْــتِ في صَــدْرِي
وبَعَثْتنِــي أَشْــدُو للحُــبّ بالشّــعْرِ
وكأنَّــنِي رُوحٌ تَقْفُــو خُطــا سِــحْرِ
مَفْتُونَــةً تَرنُــو للكــونِ في سُــكْرِ
والكــونُ يَشْــمَلُها بالأنْــسِ والبِشْــرِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٧

عَجَبِي لِمَا أَلْقى مِنْ لُغْزِكِ السِّحري!
وَحْيٌ يُوَسْوِسُ لي في السِّرَّ والجَهْرِ
حوَّلتِ عُمْري من شَطْرٍ إلى شَطْرِ
حبَّبْتِني، عَجَبا! في عيشَةِ الوَكْرِ
قد كنتُ أرْهَبُها كالنَّابِ والظُّفْرِ!
وإخَالُها شَرَكاً في البَرِّ والبَحْرِ!
إذ كنتُ أدْمَغُها بالشَكِّ والغَدْرِ
فملأتِني ثِقَةً بجَمالِها المُغْري
ورسمتِ لي صُوراً لفراخِها الخُضْرِ
تَزْقُو فنُطْعِمُها بحنَانِنا النَّضْرِ
ونَرِيشُ أجْنِحَةً مِنْ ريشِها النَّزرِ
فَتَطِيرُ هَازِجةً في جَوِّنا الشِّعرِي
وتؤوبُ وَادِعَةً للعُشِّ كالطَّيرِ!

* * *

يَا فتْنَتِي، هَذَا طيفٌ مِنَ السِّحْرِ
إنْ تَأذَنِي أضْحَى شَطراً مِنَ العُمْرِ
فَهَبِي لي رُوحاً مِن رُقْيَةِ الثُّغْرِ
هي قُبْلَةٌ تُمْضِي مَا شئتِ مِنْ أمْرِ
وكَأنَّها قَدَرٌ بسَعَادتي يَجْري

* * *

أكذوبة أسوان*

بعد عام أحس في نفسه بالسُّلوان، وأحس بمغاليق نفسه تتفتح للجمال. ولكنه تنبه إلى أن كلَّ نموذج جميل ينفتح له قلبه فيه شبهٌ أو سمَةٌ من الجمال الذي حَسَبَ نَفْسَه قَدْ سَلاَه وإذا هو يَهْفُو إلى المَاضي، والماضي وحْدَه دونَ سِواه.

الآن أعْلَمُ أنّ كلَّ خَواطِري ... تَهْفُو إليك كَرَقْرَقَاتِ الطَّائرِ[1]

ما كان سُلْواني سِوى أُكْذُوبَةٍ ... خُدعَتْ بِها نَفْسِي خَدِيعَةَ شَاعِرِ

بَيْنَ الشَّغَافِ وفي مُنَايَ وفي دَمِي ... ألقَاكِ هَاجَّةً وبَيْنَ سَرائِري

أنْسَاكِ؟! كيفَ وأنتِ بينَ جَوانِجِي ... شَطْرِي الجَميلُ وأنْتِ وَحْيُ خَواطِرِي؟

أنْسَاكِ والآمالُ والذِّكْرى معاً ... مَوْصُولةٌ بكِ في صَمِيمِ مَشَاعِري؟

وإذَا هَفَوتُ إلى الجمالِ فإنَّما ... أهْوى مَثَالَكِ في الجَمَالِ العَابِرِ

أنْسَاكِ إذْ أنْسَى حَياتِي كلَّها ... فإذا حَيِيتُ فأنْتِ أولُ خاطِرِ

نَبَضَ الربيعُ فَكُنْتِ أولَ نَابِضٍ ... في خَاطِرِي يهفُو وأوَلَ زَائِرِ

وهفوتُ للماضِي الذي قد أوْدَعَتْ ... نَفْسِي لديهِ رَغَائِبِي وذَخَائِري

أنا ذلك الماضِي الذي لا يَنْقَضي ... أنا ذلك الماضِي يعيشُ بِخَاطِري!

* * *

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤٣

١- الرقرقة: التحرك والارتجاج.

حلم الحياة*

«وهل الحب سِوى حُلْمٍ نَديٍّ في صحراءِ اليقظةِ المُحْرِقَةِ ورُؤيا مُشعَّةٍ في ظلامِ الحياة؟».

أيُّها الحُلْـمُ الذي كَانَـتْ حَيَاتي ... مِـنْ حَوالَيـه دُعَـاءً وصَـلاهْ
وتَسـابِيحَ وَعَتْهَـا أُغْنياتِـي ... وانْتِشَـاءً بِأفَاويـقِ الحيـاهْ[1]

أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي أطْلَقَنـي ... مِنْ قُيـودي نَحو آفَـاقٍ عَجيبَهْ
والَّـذي في الصَّحْوة قَـدْ طَوَّقَني ... بتَهاويـلَ مـن الوَهْـمِ حَبيبَـهْ

أيُّهـا الحُلْمُ الـذي طَهَّرَ نَفْسـي ... بالعذابِ الحُلْـوِ والدَّمْعِ الطَّهُورْ
والـذي أفْعَـمَ بالآمَالِ كَأْسـي ... وحَبانـي بعدَ رُشْـدي بالغُرورْ!

أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي رَدَّ عليَّـا ... نَزَقَ الطِّفْـلِ وأهْـواءَ الغُلامْ[2]
والـذي نَـدَّى بِدَمْعـي مُقْلَتَيَّـا ... وعلـى إثْـرِ بُكَائي الابتِسَـامْ!

أيُّهـا الحُلْـمُ الذي جَسَّـمَ وَهْمي ... فإذَا الأوْهَـامُ في الدُّنيـا حَقيقَهْ
تَتَجَلَّـى في أَحَاسِيسـي وَهَمِّـي ... صِلَـةٌ بالـرُّوحِ والجِسـمِ وَثيقَهْ

أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي أطْلَعَهـا ... في حَيَاتـي مِثْلَمَـا تَطْلُـعُ نَجْمَهْ
وأرَانِيهـا كَمَـا أبْدَعَهـا ... فِتْنَةً تَشْـقَى بهـا الدُّنْيـا وَنِعْمَهْ

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤١م

١- أفاويق: ما اجتمع مرة بعد مرة، من حليبٍ أو سحابٍ.

٢- نزق: خَفَّ وطاش.

أيُّها الحُلْمُ الذي هَيَّأ لي   أنَّها في ذلك الكونِ فَريدَهْ

والذي جَسَّمَ فيها أمَلي   وأمانيَّ اللَّهيفَاتِ الشَّريدَهْ

أيُّها الحُلْمُ الذي ظَلَّلَها   في خَيالي بِأعَاجيبِ الظِّلالْ

فبدتْ حُوريَّةً جَلَّلَهَا   أَلَقُ الطُّهْرِ وإشْرَاقُ الجَمَالْ

أيُّها الحُلْمُ الذي صَوَّرَهَا   كُلَّ يوم صُورَةً منْها طَريفَهْ

كلُّها تَبْدُو – ومَا أكْثرَها –   عَذْبَةً جَذَّابَةَ اللَّمْحِ شَفيفهْ

أيُّها الحُلْمُ الذي جَمَّلَ عِنْدي   كلَّ ماعَنَّ لَها مِنْ نَزَواتْ!

والذي عَلَّقَ وِجْداني وَجَهْدي   بالذي يَبْدُو لها منْ بَدَواتْ!

أيّها الحُلْمُ الذي أوْقَدَها   شُعْلَةً هَوْجَاء تَذْكُو في دَمي

كلّما تَلْمَسُ كَفِّي يَدهَا   تَلْمَسُ النَّشْوةُ قَلْبي وفَمي!

أيُّها الحُلْمُ الذي كَانَ وكَانْ   أينَ نَحْنُ الآنَ مِن هذَا الزَّمانْ؟

أيْنَ أنْتَ الآنَ يَا سِرَّ حَياتِي   أينَ أنْتَ الآنَ يَا مَعْنَى وُجُودي!

أينَ يَا وَحْيَ نَشِيدي وصَلاتِي؟   أينَ؟ في وَادٍ مِنَ الصَّمْت بَعيد

بيننَا وَادٍ مِنَ البُعْدِ سَحيقْ   بَيْنَما أنْتَ هُنا مِلْءُ فُؤادي

كَإلهٍ حَوْلَه الصَّمْتُ العَميقْ   وهُو في كلِّ شُعُورٍ وفُؤَاد

لِمَ يَا حُلْمُ قَدْ أيْقَظْتَني   فإذَا الصَّحْو خَواءٌ[43] في خَواءْ

لِمَ يَا حُلْمُ قَد فَارَقْتَني   فَإذَا الكَونُ هَبَاءٌ في هَبَاءْ

أيُّها الحُلْمُ تُرى كُنْتَ خِداعاً   إيه مَا أصْدَقَه هَذَا الخِدَاعْ!

أيُّها الحُلْمُ الذي فَاتَ وَدَاعاً   ما الذي نَمْلِكُه غيرَ الوَدَاعْ؟

* * *

الكأس المسمومة*

أقْلاك أقْــلاك كالشــيطان أقْلاك   أقْلاك كالسُّم يَسْري جَدّ فَتّاك[1]
أقْــلاك: إنّك في نَفْســي وفي زَمَني   وفي حياتــي أفعى ذاتُ أشْــواك
سَمّمْت عَيْشــي وأحْلامي وَأخيلَتي   وأنت شــيطانة في سمــت أملاك
وعشْــتُ أرْعَاك في قَلْبي وأنْت بلا   قلب يُحِــسُّ ويَرْعَى كيفَ أرْعَاك
مَنْ أنتِ؟ مَا أنــتِ؟ إنّي حَائرٌ قَلقٌ   أأنْت أُسْــطُورةٌ في سِفْرِ أفّاك؟[2]

* * *

أنْسَــى اللَّيالي الــتي قَضيْتُها قَلقاً   وأنــت سَــاكِنَةٌ رَاضٍ مُحَيّــاك
أنْسَــى الدُّمُوعَ التي أرسلتُها غَدقاً   ولســتُ لولا هَواك المُرُّ بالبَاكي
وكبْريائي التي مَــا كُنْتُ أخْفضُهَا   منْ قبلُ أو بَعــدُ في دُنْيَاي لولاك
أنْسَــى. وأذْكُرُ أحْلامي وأخْيلَتِي   كَأنَّهُــن نجــومٌ بــينَ أحْــلاك
وكلُّهن نَســيجُ الوَهْــمِ في خَلَدي   ولَسْــنَ غــيرَ أحابيلٍ وأشــواك

* * *

أقْــلاك؟ لَيْتَ! فإني لَسْــتُ أقلاك   أهواك؟ لَيْتَ! فَإنّي لَسْــتُ أهْواك
أهــوَى وأقْلــى وأيامــي مُوزَّعَةٌ   بينَ الهوى والقلى كالضَّاحك البَاكي
هذا الرّحيقُ وهذا السُّــمُّ قد مُزِجا   ولســتُ أرْوَى بكأسٍ غَــيرِ رَيَّاك
هَاتي لِيَ السُّــمَّ صِرْفاً لا يُمَازِجُه   هذا الرحيقُ فإنّي لســتُ بالشّاكي
مَللتُ كَأسَــكِ لا ألتذّ نَشْــوَتَها   ولا أُحطِّمُهــا تَحْطيــمَ سَــفّاك

---

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٣.

١- أقلاك: أكرهك.

٢- أفاك: الكذاب، المفتري.

وحي لقاء*

هَـذَا اللِّقَـاءُ كَأَنَّـهُ ذِكْـرَى مَكْنُونَـةٌ في عالَـمِ النَّفْـسِ
وكأنَّـهُ وَهْـمٌ أُجَسِّـمُهُ لا حَـادِثٌ في عَالَـمِ الحِـسِّ

* * *

هَـذا اللِّقَـاءُ الخَاطِـفُ الوَاجِفْ وَتَلَفُّـفُ الأنْظَـارِ في حَـذَرِ
كثُمالَـةُ الأحْـلامِ، كالذِّكْـرَى في رِعْشَـةِ اللفتَـاتِ والصُّـورِ

* * *

أُخْتَـاه. وَاعجبـاً لَنـا! عُدْنَـا في هـذه الدُّنْيَـا غَريبَيْـنِ
عُدْنَـا إذا مَـا خِلْسَـةٌ سَـنَحَتْ نَمْضـي علـى حَـذَرٍ كَلِصَّيْنِ!

* * *

أَلقـاكِ مثْـلَ الطيـفِ عَابِـرَةً وكأنَّ مَـا قَـدْ كَانَ مَـا كَانَـا
وكأنَّمَـا الأيـامُ مـا شَـعرَتْ أنَّـا عَمرْنـا قَـطُّ دُنْيانَـا!

* * *

وتُفكِّريـنَ كَأنَّمَـا افْتَرقَـتْ مِـن مَطْلَـعِ الدُّنيا طَريقَانَـا
وتذكِّريـنَ كأنّمـا اجْتَمَعَـتْ في خَاطِـرِ الأيـامِ ذِكْرَانَـا!

* * *

مـا أنـتِ؟ إني لَـمْ أجـدْ أبداً أني كَشَـفتُكِ قَـطُّ في النُّـورِ
مـا أنـتِ إلا فكـرةٌ شَـرِدَتْ مـا أنـتِ إلا طيـفُ مذعورِ!

* * *

وشَـقيَّةُ الخُطُـواتِ عَاثِـرَةٌ في حَيثُمـا اتَّجهَـتْ لمَأْمُـولِ
وكأنّمـا تَمْضِـي مُرَوَّعَـةً وضميرُهـا يُضْفِـي لِمَجْهُـولِ!

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤٤.

حلم الفجر*

عَجَبــاً! أنْتِ مَــا تَزَالِــينَ حُلْمِي وَمِثَالِــي وَفِكْرَتِــي ونَشِــيدِي
مَــا تَزَالِــينَ في خَيَالِــي رَمْــزاً لِرَجَــاءٍ مُنَــوَّرٍ مِــنْ بَعِيــدِ
مَــا تَزَالِــينَ حَافِــزاً لِجُهــودِي مَــا تَزَالِــينَ غَايَــةً لِوجُــودِي
أَتَحَاشَــاكِ بالجَفَــاءِ وبالبَــأْ سِ فأرتَدُّ سَــاخِراً مِــنْ جُهُودِي
أَتَحَاشَــاكِ كالجحيــمِ وكالسُّــمِّ ولكن إليــكِ يُفْضِي شُــرُودِي

* * *

عَجَبــاً! تَرْكُــدُ الحَيَاةُ فَأنْسَــاكِ قليــلاً في غَمْرَتِــي ورُكُــودِي
فــإذا دَبَّــتْ الحيــاةُ تَــراءَى كطيــفٍ مُســتَيْقظٍ مِــنْ هُجُودِ
وتَــراءتْ تَــرِقُّ حَولَــكِ أطْيَافٌ لِمَــا كَانَ بَيننَــا مِــنْ عُهــودِ
كلّ مالا مســت يــداكِ ومامـــــس هوانا مــن قيَمٍّ وزهيدِ
أتمــلاّهُ بالخيــالِ وبالحْـــــس كهــاوٍ من عــالَمٍ موعودِ

* * *

عجبــاً! بعــدَ كلِّ مَــا كَانَ مِنّا مِــنْ صِــراعٍ دَامٍ وجُهــدٍ جَهِيدِ
أتَمنَّــاكِ في المَنَــامِ وفي الصَّحْـــو تمنّــي العَقِيمِ وَجْــهَ الوليدِ
وإذا ســرْتُ في الزِّحَــامِ فَعَيْني لِخَيَــالٍ مُسْتَشْــرِفٍ مِــنْ بَعِيــدِ!
لهفــةٌ تَمْــلأُ الحَنَايــا حَنينــاً لِرجَــاءٍ مُجَسَّــمٍ مَفْقُــودِ
أنْتَ حُلْمُ الحياةِ في صَحْوةِ الفجـــر فأنّــى[٤٥] لِحُلْمِنَــا من مُعيدِ

* * *

---

* نشرت: في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٤.

انتهينا*

انْتَهَيْنَا قد مَضَى المَاضي جميعاً ومَضَيْنَا
انتهينَا لم نَعُدْ نسألُ أيَّانَ وأيْنا؟!
أو نَمُدُّ اليومَ للأحْلام والأوْهَام عَيْنَا
انْطَوى الحُلْمُ الذي لاَحَ زَمَاناً وانْطَوَيْنَا
ويدُ الدّهْرِ تَمشَّتْ تُسْبلُ السّتْرَ عَلَينا

* * *

اضْربي في زَحْمَة الأرضِ على غيرِ طَريقي
فكرَةً ضَلّتْ وحُلْماً يَتَوارَى عَن مُفيقِ
ولُقىً يقذفُه الموجُ إلى الشَّطِّ السَّحيقِ
وهَوىً يَخْسرهُ الفَنُّ، على عَينِ الصَّديقِ
وَسَنىً يَطْمِسُه الليلُ إلى غيرِ شُروقِ

* * *

وأنَا المَكْدُودُ فَلْيُلْقِ إلى الأرضِ عَصَاه
آنَ للمُجْهَد أن تَسْكُنَ في الأرضِ خُطَاه
آنَ أنْ يَصْمُتَ لا تَهْتفُ شَوقاً شَفَتَاه
آن أنْ يُغْمضَ لا تُوقظُه وَهْناً رُؤَاه
جَاوزَ الجُهْدُ قُوَاه، فَتَهاوتْ قَدَمَاه

* * *

---

* نشرت عام ١٩٤٥

طَالَ هذا الحُلْمُ حتى صَارَ في النَّفْس عَيَانَا
ومَضينا في طريق الوَهْم تَنْسَابُ خُطَانَا
تَهْدمُ الأيامُ مَا نَبْني فَتَبْنيه رُؤانَا!
ونخوضُ الشَّوكَ يُدْمينا فَتَمْضي قَدَمَانا
تتبعَ الوَهْمَ الذي صَاغ مِنَ الشَّوْك جَنَانَا

* * *

يَا لهذا الحُلْم والأيامُ تَمضي والليَالي
عَابثَاتٌ بالأَماني وهو يَمْضي لا يُبَالي
يَغْلبُ الوَاقعَ في الأرض بتَحْليق الخَيال
ويَرَى خَلْفَ الرَّوَابي والصَحَارَى طيفَ آلِ[١]
فَيرودُ الأفقَ ظَمآناً مَشُوقاً للظِّلالِ

* * *

قَد مَضَى والعُمر يَمْضي وَالأَمَاني وَالزَّمَان
وانْتَهَيْنَا. وصَحَا بَعْد الأَوَان الحالمان
عَجَباً. قد كان حُلماً. لَيْتَ شعْري كَيْفَ كان
الْعَيَانُ الْيَوم كالحُلم وحُلْمي كالْعَيَان
صَمَتَ الدَّهرُ عَياءً وَمَضَى يَخْطُو الزَّمَان

* * *

١- الآل: السراب

الوصف

وادعاً كالزَّهر حيَّاه النَّسيمْ
ساهياً كالصَّمْت في ظلِّ الوُجومْ
حَالماً يصْحُو قليلاً ويهيمْ
بينَ أطيافِ الأماني
وخيالاتِ الهمومْ

وردة ذابلة*

قد تولّت وَذَوَتْ نُضْرتُها وبدت كالميِّتِ المُحْتَضِرِ
تَفْتَحُ الأجفانَ أو تَغْمضُها فتحةَ الضَّعْفِ وغَمْضَ الخَوَرِ
وشَذَاهَا لَم يَزَلْ يُفْعِمُني فيعيدُ الشَّجْوَ لي بالذِّكْرِ

* * *

العود*

مُحَلِّلُ القَلبِ أنْغاماً وألْحاناً ومُلْهِمُ الوَحْي إِسراراً وإعلانا
ومُوقِظُ النَّفْسِ إنْ طَافَتْ بِهَا سِنَةٌ وأَنْتَ تَهْمِسُ بَالأنْغَامِ وَسْنَانا
ومُطْلِقُ الرُّوحِ تَسْمُو في معارِجِها[٤٦] وتطرقُ العالَمَ العُلْوِيّ أحْياناً
وباعثُ الذِّكَرِ اللائي إذا اشتجرتْ أثْرَنَ في النَّفْسِ آلاماً وأشْجاناً
وواهبُ الحِسّ لُطْفاً في مَدَارِكِه ومُوحِي الشِّعرِ إِحْساساً وأوْزاناً
أسَلْتَ نَفْسي بالألحان تُنْشِدُها إنشادَ ذي شَجَنٍ قَدْ هَامَ تَحْناناً(١)
كأنَّ ألْحانَك اللائي تُردِّدُها أطيافُ ذِكْرى؛ توارتْ؛ تَرْجِعُ الآنا
كأنّها هَمْسُ جِنٍّ أو ملائكةٍ أسرَّ عن عالَمِ الإنسانِ كِتمانا

---

*نشرت عام ١٩٢٥
* نشرت عام ١٩٢٧.
١- أسلت: أسأل النفس: حرّكها.

تسـيلُ في النفسِ والأسماعُ مُرْهَفَةٌ   وإنَّ للنفـسِ مِثْلَ الجسـمِ آذانَا

وتسـتحثُّ خَيـالاً كان في دَعَـةٍ   فيذرعُ الكـونَ آفاقـاً وأزماناً

وتمـلأُ النفـسَ باطمئنانِهـا ثِقَةً   وتغمـرُ القلبَ إخْلاصـاً وإيمانا

* * *

حديـثُ أيِّ فـؤادٍ أنـتَ تَذْكُرُه   أَبَاسِـمٌ فَـرِحٌ أمْ كَانَ حَزْنَانَـا

وأيُّ وَحْـيٍ لَنـا تَرْوِي رِسَـالتَه   فيؤمِـنُ الناسُ أفْـكاراً وَوِجْدَاناَ

عَنِ القُلـوبِ جميعاً أنـتَ تُخْبِرُنَا   عنِ الأَناسِـيِّ ما خَصَّصتَ إنساناً

عـنِ الحيـاةِ ومـا فيهـا تحدثُنا   فكلُّنـا مُؤمِـنٌ يـزدادُ إيقانَا[1]

عن الطبيعـةِ تَروِي وهـي تُلْهِمُنَا   هذا الحديثَ، فمـا نَحْتَاجُ بُرْهَانَا

* * *

١- إيقاناً: الإيمان والتسليم.

بريشة الشعر*
أو
صورة صادقة

كانَ الأمــسِ، وبالأمسِ القريبْ   يَتَــراءى كالأمانــي هَــا هُنــا
هائماً كالــرُّوحِ يغــدُو وَيئُوبْ   والرجــاءُ العَــذْبُ في وَادي المُنــا
وَادعاً كالزهرِ حيّاه النسيمْ
سَاهيا كالصمتِ في ظلِّ الوُجُومْ[١]
حَالما يصحُو قليلاً ويَهِيمْ
بين أطيافِ الأماني
وخيالاتِ الهمومْ

* * *

زهــرةٌ قــد كَادَ يَعْرُوهــا الذُّبُولْ   ثم حَيَّتْهــا تباشــيرُ الربيــع[٢]
فهــي تَرْنُو بــين صَحــوٍ وذُهولْ   مثلما تحْتــارُ في العــينِ الدُّمُوعْ
وهو لَحْنٌ من أناشيدِ السماءْ
أرسلتْه في تضاعيفِ الضيّاءْ
فَوَعَاه كلُّ ذي حِسٍّ بَراءْ
وشعورٌ كالنسيمْ
في الحَنَانِ والنقاءْ

* * *

دُميــةٌ تُوحِي بأشــتاتِ المَعَانِي   وهي سَكْرَى في حَمى الصمتِ العميقْ

هادئـــاتٍ مثْلَ أطيـــافِ الأمانِي   ســـامياتِ الوَحْيِ كالعطفِ الرِّفيقْ

وهو مَا أدْرِي مَلاكٌ أمْ بَشَرْ؟

فهو رُوحٌ هَائِمٌ لا يَسْتَقِرْ

وهو صَفوٌ لم يخالطْه الكَدَرْ

والأناسِيُّ لِئامْ

مثل شَيطانٍ نُكُرْ

* * *

كان بالأمـــسِ ولَكن قـــد تولّى   ذلـــك الأمْـــسُ فَخـــلاّني وغَـــابْ

وإذَا بِـــي مُوحِـــشٌ لا أتَسَـــلّى   والخصيبُ النَّضْـــرُ كالجَدْبِ اليَبَابْ

أذكر الساعات ومضاً ينقضين[1]

ثم يَعْرُوني لِذاكَرَاها الحنينْ

فيهيجُ الوجدُ والشَّوقُ الدَّفِينْ

إيه ساعاتِ الأمانِي

أتُرى قَدْ تَرجعينْ؟

* * *

١- الومض: بريق سريع الإنطفاء

هدأة الليل*

هَدَأ الليلُ وهَاجتْ بِيَ الشَّجُونُ   وصَحَــا جَفْنِي لَدى غَفْــوِ الجفُونْ

وتــوارتْ ضَجَّــةُ العَالَــمِ في   هَــدْأة الليلِ يُغَشِّــيها السُّــكُونْ

حَنَّتْ. الــوُرْقُ فلمَّــا هَجَعَتْ   بَعــدَ لأي هَيجَتْ عنْــدي الحنينْ[1]

ذكريــاتٌ مَــا لَهــا تَتْبعُــني   حيثمــا سِــرْتُ وأيــانَ أكُــونْ

صُــورٌ شــتى إذا مــا عَرِضَتْ   صَــوّرَتْ لي واضحاً طيفَ الســنينْ

وأرَتْنِــي كيفَ يمضِــي العُمْرُ لا   يشــعرُ المــرءُ بــه حــتى يَحِــينْ

يَتقضَّــى العُمْـــرُ في أحلامنــا   وإذا نَصْحُــو صَحَتْ غُــولُ المَنُونْ

وأرتْنِــي شَــبَحاً مِــنْ عَــدمٍ   يتبــعُ الأحيــاءَ أنّــى يَترِلُــونْ

يَبْلَــغُ المَاضِــي مِــنْ آثارِهــم   فَاغِــراً فَــاهُ لِمَــا يَسْــتَقْبلونْ

* * *

إيــه يــا ليــلُ أرانِــي مُغْرَمــاً   بحديــثٍ منْكَ يُشْــجِي السَّــامعينْ

هــاتِ مــا عِنْــدَكَ لا تبخلْ به   بلســانِ الصَّمْــتِ والوَحْــي المُبينْ

أوْحِ للأنْفُــسِ مــا حُمِّلْتَــه   مِــن جــلالٍ وخُشُــوعٍ ويَقِــينْ

هــاتِ يا ليــلُ أحَاديــثَ الهوى   واتلُ يــا ليلُ شُــجُونَ العاشِــقينْ

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٨

١- الوُرق: جمع الورقاء: الحمامة.

وادَّخــرْ فيــك صَــدى أنَّاتِهم لا تُضِــعْ يــا ليــلُ أصْــدَاءَ الأنينْ
إنَّهــا ذوبُ قلــوبٍ فُطِــرَتْ ونفــوسٌ داميــاتٌ وعُيــونْ
كَم ســلاماً فيــك قــد حُمِّلْتَه من مُحــبٍّ وامقِ القلــبِ حَزينْ[1]
رُبَّ سِــرٍّ غامــضٍ أُودِعْتَــه في حَنايــا الصَّــدْرِ مَخْبــوءٌ دفينْ
ضَاقَ صدْرُ الصَّــبِّ عن كتمانه فــأراكَ السِّــرَّ دون العالمــينْ

* * *

مُــرْ يا ليــلُ فقــد أشْــجَيتَني عَلَّ في الصبُّحِ هدوءاً أو سُــكونْ
إنّ لي فِيــكَ لَشَــجْواً وأسَــىً ومُنَاجَــاةً وشَــكوى وحنــينْ
عبَثــاً أنْجُو بروحِي مِــنْ حنينِ هُو أصلُ الوَجْدِ عِنْدي والشُّجُونْ
إنــي أهْــواكَ يــا ليــلُ ولكنْ أنْتَ بالإشــفاقِ والعطــفِ ضَنينْ
تبعثُ الأشــجانُ مِــنْ مَكْمَنِها رحمــةً يــا ليــلُ بالمســتيقظينْ

* * *

١- وامق: محب ودود

الصبح يتنفس*

نَسَــمَاتٌ زَفَّهَــا الفجــرُ الوليدُ   بعد ما جَــاشَ بِها صَــدْرُ الحَياةْ
ناعمــاً مِثْــلَ أنفــاسِ الــورود   بَلّــلَ الطــلُّ شَــذّاها بِنَــداهْ

* * *

كانت الدُّنيا يُغَشّــيها الســكونُ   وظــلامُ الليــلِ والنــومُ العَميق
طِفْلــةٌ قد ضمَّهــا الليــلُ الحَنونُ   ضَمَّــةَ الرحمــةِ كالأمِّ الشَّــفُوقْ

* * *

وتــراءى الصُّبْحُ في سَــمتٍ بديعٍ   فــإذا الطفْلةُ تَصْحُو من سُــبَات
تُرْسِــلُ الأنفــاسَ في رِفْــقٍ وديعٍ   وإذا الأنفــاسُ تلك النَّسَــمَات

* * *

وإذا الزهــرُ يُحَــيِّ في ابتســامْ   ذلك الصبــحَ ويرنُــو في هُدوء
كابتســامِ الطفلِ في عهــدِ الفِطام   حينمــا يَحْلُــمُ بالشَّــدْي المَليء

* * *

وإذا الطّــيرُ وقَــد رَانَ النُّعــاسُ   فــوقَ عينيــهِ تَنَــزَّي فَصَحَــا
يرمــقُ النــورَ بهمــسِ واختلاسِ   فَيُحَيِّــيه طَرُوبــاً مَرَحَــا

* * *

وانبثاقُ الفجرِ من سُــدْفِ الظلامِ   مثلمــا يَبْسَــمُ للغَانِــي الأمل(1)
يَلْثُــمُ الكــونَ ببشــرٍ وابتســامٍ   ويُحييــه برفــقٍ في القُبَــل

* * *

١- سدف: سواد

وتـرى الأنفـسَ في هـذا الحَنانِ سَـاكِناتٍ بينَ أحضـانِ الطَّبيعَه
سـاهياتٍ رَاضيـاتٍ في أمـانٍ تُرْسِـلُ الطرْفَ بنَظَـراتٍ وَديعه

* * *

عَالمـاتٍ في كَراهـا يَقظَـاتٍ! سـابحاتٍ في التَّعلاّتِ الوِضَاءْ[1]
تُنْشِـدُ الآمالَ عَـذْبَ الأغْنياتِ بينَ سَـمْعيها ويحدُوهـا الرَّجَاءْ

* * *

فتـرةٌ في مَطْلِـع الفجـرِ تَمـرّ هي حُلْـمٌ مثـلَ أيـامِ الطُّفُولَه
فـإذا مَـرَّتْ فجـوٌّ مُكْفَهِـرٌّ هـو في الطِّفْلِ شَـبابٌ وكُهُولَه

* * *

ليتني عِشْـُت بأحضَـانِ الصبّاحِ أو قضيتُ العُمْرَ أسـتمتعُ طِفْلاَ!
لا ولا هـذا مـن الدَّهْـرِ يُتـاحُ لا ولا قـد عُدتُ أسـتمتعُ كَلاَّ!

* * *

١- كراها: نومها

عبث الجمال*

غَادةٌ مِمراحٌ طروبْ، لم تقنعْ أنْ تعبثَ بالقلوب والأرواح، فعمدتْ إلى جماعة من الطير، اتخذن لَهن عُشّاً بين أحضان شجرة، تذودُهن عن عشهِن الهادئ في عبث قاسٍ، وكلما عُدْنَ إلى العشِّ، عادتْ هي إلى الذود!

دَعِيهــا تُغَــرِّدْ لَحنهــا وتُرَجِّــعْ وتمرحْ ما شــاءت وتَلهُو وتَرتَع
دَعيهــا تُنَمِّــقْ للحيــاةِ تحيــةً وتبعثُهــا لحنــاً يَلَــذُّ ويُمْتِــع
دَعيهــا تُعَبِّــرْ عن مَشــوقٍ مُتيم تَلِجُّ به الذِّكرى؛ فيهفُو ويَنْزَع[1]
دَعيهــا فَفِي ألحانِهــا، الحبُّ ناطقٌ ومن وَحْيه تَشــدُو مَليًّا وتَسْجَع
دَعيهــا فقــدْ رَوَّعْتِهــا وتَرَكْتِها مُشــتَّتَةً حَيْــرى تُطِــلُّ وتَرجِعُ

* * *

عزيــزٌ عليها عُشُّــها دَرَجَــتْ بِهِ فِراخــاً نَحيــلاتٍ تَهُــمُّ فَتَقْعُدُ
يُطالِعُهــا رُوحُ الربيــعِ فتَنْتَشِــي ويَدْهَمُهــا قَــرُّ الشِّــتاء فَتَجْمُدُ
وتَنْشَــقُ أنفــاسَ الصبّــاحِ نَديةً فَتَنْدَى؛ ويَحْدُوها الرَّجاءُ فَتَسْعَدُ
وظَلَّلَها في عشِّــها الحــبُّ حَانياً عَلَيهــا قويًّــاً مُنْعشــاً يَتَجَــدَّدْ

* * *

فَــكانَ لهــا زاداً إذا قَــلَّ زَادُها ورَوحــاً وريْحَاناً ولَحنــاً يُرَدَّدْ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٢٩

١- تلج: ألحَّ عليه.

وَيَا طالَمَــا غَنَّتْ ويا طالمــا بَكَتْ سُروراً بقربٍ أو حَنيناً إلى ذِكْرى
ويا طالَمــا ارتاعتْ لِخَطْبٍ مُدَاهِمٍ فكانَ لها مَنْجَى وكَانَ لَها سِتْراً(٥)
وكَم ليلةٍ مَرّتْ وكَم أَشْرَقَ الضُّحى وكم أمَّلَتْ خيراً؛ وكَم حَذَّرَتْ شَرّاً
دَعيهــا. بمهــدِ الذكريــاتِ أمينةً تَطيفُ بِها كالومضِ مُسْرِعةً تَتْرَى(٦)
دَعيها أجَــلْ لا تَعْبَثِي بشــعورِها ولا تَحْرِميها خيرَ ما حَفظتْ ذُخْرَا

* * *

وإن لا يكنْ بُدٌّ مــن اللهوِ فاعبثِي بألبابِنــا لا بالطيــورِ الهَوائم!(٧)
وَهَبْتُكَ إِحسَاسِي فما شئتِ فاصنعِي أمينــاً لعهدِي مُخْلصاً غــيرَ نَادمِ
وقَاكِ الجمالُ السَّــمْحُ كلَّ مَلامَةٍ وعَتْبٍ فَلا تَخْشَــى مَقالَةَ لائم(٨)
ولكنَّهــا الأطيــارُ تَلْهُــو بريئــةً فما بالهــا تُدْهَــى بِفَعْلَــةِ ظَالمِ!؟
دَعيها – فَدَتْكِ النفسُ – لا تعبثِي بها فمــا كان أوْلاَها بِرَحْمَــةِ رَاحِمِ!

* * *

يوم خريف*

وَقفَ الكونُ شَاخِصاً في سُكُونٍ   وتَراءى لِخَاطِري كالحزينِ
وشُخُوصُ الأحداثِ يُغْرِقُها الصَّمْتُ   فتبدُو كَباهتاتِ الظُّنُونْ
وكأنَّ الزَّمانَ سَاوَرَه الحُزْنُ   فأغْفى إغفاءَةَ المُسْتَكِين(١)
وكأنَّ الأفلاكَ أجْهدَها السَّيرُ   فناءتْ بحمْلِ عِبْءِ القُرونِ
وكأنّ الأقدارَ أرْخَتْ يَدَيْها   وتَراختْ عَنْ صَرْفِها للشؤون

* * *

وقفَ الكونُ سَاهماً ليس يَدْرِي   أينَ يَمْضِي؛ وأينَ لَو شَاءَ يَمْضِي
طَالَما دَارَ بالأنامِ ودَارُوا   بينَ رَفْعٍ مِنَ الحياةِ وخَفْضِ
ثم ماذا؟ تَساءَلَ الكونُ: ماذَا؟   أحياةٌ ما بينَ غَزْلٍ ونَقْضِ
أيّما غَايةٍ نَؤمُ إليها   أيُّ قَصْدٍ قَضَيْتُه أو سَأقْضِ
تَعَبٌ ضَائِعٌ وجُهْدٌ غَبِينُ   ومَصيرٌ مُقَنَّعٌ ليسَ يُرْضِي

* * *

وسَرى اليأسُ والخُمولُ إليه   فتَرَاخَى في سَيْرِه كالبليدِ
وتَمَشّى الهُمُودُ في كلِّ شيءٍ   مِشيةَ الدَّاءِ بالأسى والكُنُود(٢)

---

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- ساروه: واثبه

٢- الهمود: السكون.

فـإذا الـدَّوحُ في وجُـومٍ كئيبٍ وإذا الطـيرُ في ذُهُـولٍ شَـريد
وإذا الزَهْـرُ في الريـاضِ أسـيفٌ كصغـارِ الأيتـامِ في يـومِ عيد
وإذا بالزمـانِ يعطُـو كَسـيحاً كأسـيرٍ يُسـاقُ نِضْـو القيودِ

* * *

وكأنَّ السَّـماءَ والأرضَ، مَرْضَى برِمَـاتٌ بِثقلـةِ العُـوَّادِ![1]
وترى السُّـحب في السماءِ تغشَّى ناظرَيهـا كَصَفْحَـةٍ مِـنْ رَمَادِ
وتَرى الأرضَ كالكظيم مِنَ الحُزْنِ ثَكُـولا تَسَـربَلَتْ بالحـداد
والفَنَـاءُ المريـضُ، طَـافَ عليها طائـفٌ مِنْـه في ثَنَايـا الرُّقَـاد
كلُّ شَـيءٍ يرنُـو إلى كلِّ شـيءٍ! كسـجينٍ يَرْنُـو إلى الجَـلَّادِ

* * *

مَأتَـمٌ صَامِـتٌ يُهـوِّمُ فيـه شَـبَحُ اليأسِ والقُنُـوطِ العَقيم
ليـسَ مـوتٌ وليـسَ ثَـمَّ حَياةٌ كُلُّ شـيءٍ في صمته كالسَّـقيم
والوُجُـومُ الـذي يُغشِّـى عليها كاسِـفَ البالِ مُمْعِنٌ في الوُجوم!
وخُفُـوقُ الأرواح أبْطَـأ نَبْضـاً كَخُفُوقِ النُّجُومِ خَلْفَ السَّدِيم[2]
أسْـبَلَتْ عَينَهـا الحيـاةُ سَـآما واسْـتَنَامتْ لليأسِ والتسـليم!

* * *

١- العوّاد: مفردها عائد: زائر المريض.

٢- السديم: الضباب الرقيق

الجبار العاجز*

على إفريز محطة القاهرة، أنزل قطار الصعيد، كتلة بشرية، تتنزى وتتلوى؛ وتصرخ في حشرجة مفزعة. هذه الكتلة هي بقايا رجل متحطم؛ صار أشل، يتنزى الصرع فيه، وتتلوى صرخاته؛ كأنما تغالب معركة داخلية عنيفة ويبدو على سحْنَته أن هذا العجز ليس أصيلاً فيه، وأن له ماضياً جباراً؛ في ناحية من النواحي؛ وأنه يألم أكثر ما يألم؛ لهذا العجز الطارىء الجديد.

* * *

حَطَّمَ الدَّهْرُ قُواه فانْحَطَمَ ... وتنزِّي الداءُ فيه والألم
ودَوّتْ من فيه تعوي صَرْخَةٌ ... تَتَلوّي فيه حتى تَحْتَدِمْ
صَرْخَةُ الجبارِ يَشكو مُرْغَماً ... ذِلَّةَ الشَّكْوَى وإهوانَ الرَّغَمْ [1]
يَشْتكى العجزَ وما يُؤلمهُ ... فيه إلا كَبْحُ نفسٍ تَضطرم
يَشْتكى العجزَ الذي أقعدَه ... عَنْ صراعاتٍ وهولٍ يُقْتَحَمْ
تسمعُ القوةَ في صَرْخَتِه ... مِن وَراءِ العجزِ تَدْوِي فَتُصِمْ
ويَهمُّ البأسُ في أشلائه ... ناهضاً؛ لكنما العجزُ جَثَم

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٣

١- الرَّغم: الإلجاء.

أَيُّ معنى تَحتوِى صَرْخَتهُ ؟ أَيُّ ماضٍ في ثَنَاياها ارْتَسَمْ

هو ماضٍ نَازَلَ الدهرَ به في عِنَادٍ شامخٍ حتى انحطم

هو ماضٍ غَامضٌ تَكْنُفُه جَلْجَلاتٌ، وهَزيمٌ؛ ورُجَمْ[1]

هو ماضٍ مَاردٌ مُقْتَحِمٌ لا يهابُ الموتَ فيما يَعْتَزِمْ

هو ماضٍ! أَيُّ ماضٍ ؟ يا لَه مُبْهَمُ التعبيرِ كالدَّهرِ الأَصَمْ

* * *

١- الهزيم : صوت الرعد.

ناحت الصخر
أو
«الفاعل»*

لِمَنْ طَرْقَةٌ خَرْسَــاءُ صَمَّاءُ تُعْوِلُ أَقَضَّ بها النُّوَامَ في الفجرِ مِعْوَلُ؟[٢]
لِذلكم الصَّخَّــارُ يَحْطِمُ صَخْرَهُ ولمّا يَــزَلْ لليلِ في الصبُّــحِ مَدْخَلُ
أَكَبَّ علــى تحطيمِــه وانتحاتِه كَراجٍ له في ذلــك الصَّلْدِ مَأمَلُ[٣]
يُطَوِّحُ في عُــرْضِ الفَضَاءِ ذِرَاعَه ويهوى على الصَّمَّاءِ كالخَطْبِ يَنْزِلُ
ولكنَّهــا تَلْقَــاه صَمَّاءَ لَــمْ تَلِنْ وقد خُذِلَتْ كَفَّاهُ، والصَّخْرُ يَخْذُلُ
يــدورُ حَوالَيها لِيُــدْرِكَ مَقْتَلاً وهَيهــاتَ في الصَّلدِ الأصمَّاءُ مَقْتَلُ
ويَغمِزُهــا غَمْزَ الخبــيرِ ويَنْثَني يحــاوِلُ مَــا أعيــاه، لا يَتَحَــوَّلُ
وقد جَــاشَ في أعضائه كلُّ نَابِضٍ وسَــالَ دَمٌ في صورةِ المــاءِ يَهْطِلُ!
وحِــينَ توالتْ طَرْقَةٌ بعــدَ طَرْقَةٍ تَفَتَّتَ تحتَ العَزْمِ مَا كانَ يَصْمَلُ[٤]
فَأرخي ذِراعَيْه، وأسْــنَدَ جِسْمه إلى مِعْــوَلٍ؛ نَضّاه للكــدحِ مِعْوَلُ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٢٤.
١- الفاعِل: كلمة متداولة تعني (العامل)
٢- تُعول: رفع الصوت بالبكاء والصياح.
٣- الصّلدِ: اللب الأملس الشديد.
٤- يصمل: ما يكون ضخماً صُلباً.

تَسيلُ جُهودٌ أو دِمَاءٌ نَقيةٌ لِيُنْصَبَ تِمْثَالٌ ؛ ويُرْفَعَ مَنْزِلُ

وما نَصْبُ التمثالِ للكادحِ الشَّقيِّ وليسَ له في ذلك القصرِ مَوْئِلُ!

ولكن قُصاراه شَرابٌ ولُقْمَةٌ ومَأمَلُه في ذلك الصَّلْدِ مأكلُ!

قِفَارٌ كمثلِ الصَّخْرِ أسودَ كالحٍ وأفراخُه كُثْرٌ؛ وأَنْثَاه مُطْفِلُ[1]

فإن كانَ إكليلٌ فهذا جَبينُه وَإنْ كانَ تمثالٌ فهذا المُمَثَّلُ

ويا رحمةَ الإنسانِ أَدْعُوكِ فَاخْجَلي أمامَ بني الإنسانِ إنْ كانَ يَخْجَلُ!

* * *

١- أثناه مطفل: لها طفل رضيع.

حلم النيل*

هَازَجَ بالنشيدِ تلْوَ النَّشيد وهو يَمْضِي إلى مَدَاه البَعيدْ
ذكرياتُ القُرونِ قَدْ صَاغَها النيلُ نَشيداً، فيَا لَه مِنْ نَشيدْ!
يَنْظِمُ السّحْرَ وَالكَهَانةَ والفَنَّ، ويَشْدُو بكلِّ هَذَا القَصيدْ
منذُ فَجْرِ التاريخِ لَمْ يَتَبَدَّلْ لَحْنُه العَذْبُ مِنْ قَديمٍ جَديدْ

* * *

حَالِمٌ بالرَّجَاء عِنْدَكَ يَا نِيلُ سَعِيدٌ بِحُلمِكَ المَعْهُودْ
يَنْبُتُ الزَّهرُ في خُطَاكَ بَهيجاً ذاكَ حُلْمٌ تَأويلُه في الوُرُودْ

* * *

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر) ١٩٣٨.

وداع الشاطئ
من الفردوس إلى الجحيم*

أُحْلُ يا شَطُّ ما تَشَاءُ فإنّي   رَغمَ سحرِ الجمالِ والموج رَاحلْ
رَاحلُ حَشْدٌ نفسه لفَتَاتٌ   ليسَ عن فتنة الجمالِ بغافلْ
قدْ دَعَتْهُ إلى الرّحيلِ ديارٌ   في صَميم الجحيم تُدْعى الشَّواغلْ
هي قبرُ الآمالِ والفنّ والحبّـ   ـب وقَيدٌ عن كلّ ما شاقَ شَاغلْ
وهي دَارى التي دَرَجْتُ عليها   وإليها المآبُ مَهْما أُحاوِلْ !

* * *

أُحْلُ يا شطُّ بالجمالِ طَليقاً   من قُيودِ الزمانَ نَشْوانَ واهلْ
أَسْكَرَتْهُ الأمواجُ وهي تُزَجّي   دَفَعاتِ الحياة في كلّ نازلْ
فيَرى نفْسَهُ خفيفاً غريراً   قاهراً قادراً يجوزُ الحوائلْ
دَفَعاتُ الحياةِ في المَوْج أَسْنَى   من بَريقِ الآمالِ في نفْسِ آملْ

* * *

أُحْلُ ياشطُّ بالعَرائسِ حُوراً   سَابحاتٍ والموجُ ظمآنُ نَاهلْ
كانْفتَالِ الحيتانِ في البحرِ وَثْباً   وانثناءِ الغزْلانِ والشطُّ ذَاهلْ
فتنةٌ تَسْكُبُ الحياةُ عليها   سحْرَها والعيونُ حُورٌ قَواتلْ

* * *

واندفاعُ الأمواجِ يُوقظُ في النَّفـ   ـس ظَماءً مُرَقْرقاً في الدّخائل
وانطلاقاً من التّزمُّتِ والعُر   فْ وشَوْقاً إلى المباهجِ واغلْ
أُحْلُ يا شطَّ لن نُطيقَ انفلاتاً   من رَحيلٍ إلى جحيم الشّواغلْ

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٠

الوادي المقدس*

علــى ضفــاف الخلــودْ وفي شــعاب الزمــنْ
والدهــر يحْبُــو وليــدْ قــد كان هــذا الوطــنْ

* * *

يــا فجرُ مَــنْ ذا رآكْ تجــولُ تلــكَ السمــاءْ
وليــسَ حَــيٌّ ســواكْ تُهــدى إليــه الضيــاءْ؟

* * *

رأتْــكِ تلــكِ الضّفــافْ رأتــكَ تلــكَ البُــرورْ[1]
رأتْــكَ قبــلَ المطــافْ وأنــتَ طفــلٌ غريــرْ

* * *

وشــبْتَ والدّهــرُ شَــابْ وحنّكتْــكَ الحيــاةْ
والنيــلُ بــادي الشــبابْ والزهــر يَقْفــو خُطــاهْ

* * *

يَنْسَــابُ مثــلَ النَّغَــمْ في عَــزفِ نــايٍ طــروبْ
وكانســيابِ الحُلُــمْ تُضْفِــي عليــهِ الغيــوبْ

* * *

خريــرةُ صَلَــواتْ مُعطَّــراتُ النشــيدْ
وموجُــهُ أغنيــاتْ مُرتّــلاتُ القصيــدْ

* * *

يــا نيــلُ كــم مــن شــراعْ يــا نيــل كــم مــن سَــفينْ
أسْــلمْتَها للــوَداعْ علــى مَــدارِ السّــنينْ

* * *

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٤٤.

١- البرور: مفردها البَرّ (الشاطئ)

يا نيلُ كَمْ من جُموعْ ماجَتْ بتلك الضفافْ
يا نيل كم من زروع وذي وذي للقطاف

* * *

وأنتَ صنوُ الخلود وفي يديْك الزّمام
وكلّ عَامِ تعودْ مُجدّدَ الأيام

* * *

تجرى فتجرى الحياة ويُمْرعُ الشاطئان
ويستفيقُ الرُّعاه وتمرحُ القُطْعان

* * *

ويَنشطُ الزرزورْ يجمّع العيدان
لعشّه المعْمُورْ بفرخه الوَسنان

* * *

أكادُ خلفَ القرون أُحسُّ ركْزَ الجموع
أراهُمُ مُهطعينْ فيَ موكبٍ للربيع

* * *

قد شمّروا للحصاد وخَلّفوا أمشير
في فرحةِ الأولادِ تسابقوا للبكور

* * *

وموكبٌ للرّواحْ في كلّ يوم يؤوب
يزُّفه الفلاّحْ على مَدارِ الغروب

* * *

مـــن الحقـــول المّريعـــة إلى الحمـــى والدّيـــار
تضـــمُّ فيـــهِ الطَبيعـــةْ أبناءَهـــا الأبـــرارْ

* * *

لُحُونُـــه مـــن صيـــاحْ ومـــن رُغـــاءِ النَّعـــمْ(١)
ومـــن رجيـــع النُّبـــاحْ ومـــن ثُغـــاءِ الغنـــمْ

* * *

علـــى مَـــدارِ القـــرونْ يســـيرُ فيـــه الرُّعـــاهْ
كأنهـــم خالـــدون مـــا بُدّلُـــوا في الحيـــاةْ

* * *

أُحـــبُّ فيـــك الخلـــودْ يـــا أيُّهـــا الـــوادي
أحـــب فيـــك الصمـــودْ للقاهـــرِ العَـــادَي

* * *

تَصـــبُّ فيـــكَ الوفـــودْ وأنـــت يقظـــانُ ســـاهرْ
تصوغُهـــم مـــن جديـــدْ كأنمـــا أنـــتَ ســـاحرْ

* * *

يـــا مَهبـــطَ الأســـرارْ مـــن الغيـــوب العميقَـــةْ
يـــا موطـــنَ الأســـحارْ مـــن القـــرونَ الســـحيقةْ

* * *

يَـــأوي إليـــك الزمـــانْ خـــوف البلَـــى والفَنـــاءْ
يـــأوَي لحصـــن الأمـــانْ فيســـتمدُّ البَقـــاءْ

* * *

ووجهك الفَتَّانْ بلونه الأسمرْ
يا طالما يَزْدانْ بَزرعك الأخضرْ

* * *

ترنُو له عيناي في فتنة العاشقْ
يا أرضُ يا دنياي يا آيةَ الخالقْ

* * *

يا أرضُ كَم تَحْلُمين بالزهر أحلامَ شاعرْ
رُؤاكِ طول السنين يا أرضُ ، تلك الأزاهرْ

* * *

وريحك المعروفْ يشمُّه أَنْفي
فيَ خاطِري مألوف مميز العَرْف

* * *

يا أرض، هذا الصعيدْ مقدسٌ في ضميري
سَرى عليه الجدودْ وأخلدوا للقبوَرِ

* * *

يكادُ فَرْطُ الحنينْ إليهمُ فِي شُعوري
يردّهم شاخصين إلى خلف الدهوَرِ

* * *

يا أرضُ سرٌّ دفينْ مُغيَّبُ في ثراك
يَرُدُّنا مُوثقين إليكِ أسرَى هواكَ

* * *

هـــذا الثـــرى المنثـــور في صفحـــة الـــوادي
عرفتـــه في الضمـــير رفـــات أجـــدادي

* * *

يِـــا أرض. هـــذا النشـــيد مـــن وحيـــك العبْقـــريّ
فاقْضِـــي لـــه بالوجـــود بســـرّك القُدُسِـــيّ

* * *

في ليلة من ليالي الربيع*

في الجوّ رائحةٌ تُوسْوِسُ في الحَنايا والصُّدُورْ
نَشْوانةً خدرَتْ يُعاوِدُها التوثُّبُ والفُتُورْ
فَتهيمُ كالشَوقِ المجنَّحِ في مَتاهَاتِ الضَّميرْ
وكأنَّ رائحةَ الحياة تَدَبُّ في عَبَقٍ مُثيرْ
***

وأحسُّ بالنغمات سَاريةً تَرَقْرَقُ في الدّمَاءْ
كهُتَافِ مشتاقٍ تَوَلّه لا يكفُّ عَنِ الدُّعَاءْ
الأرضُ تَفْتنُه ويَرْنُو في ابتهالٍ للسَّمَاءْ!
والصّمتُ يَغْمُرُه وفي الأحْناءِ وسَوْسَةُ الغنَاءْ!
***

والحبُّ والأشواقُ والظَمأ المُغَلْغَلُ للحياهْ
وهَواتفُ الدُّنيا إلى القُبَلِ المُليحةِ في الشّفاهْ
وتَرَقْرُقُ الخُرّقَاتِ في شَغَفٍ يَهيمُ إلى مَدَاهْ[١]
وتطلّع الصُّوفيِّ في شوقٍ إلى ذاتِ الإلَه!
***

هو ذا الربيعُ وإنّه لَهوُ الهَواتفِ والحَنينْ
أبَداً يَهيجُ إلى عَوالمِ تائهاتٍ لا تَبينْ
ويُهَدْهِدُ الأحلامَ والذّكرَاتُ شَتّى والفُنُونْ
فإذَا الحياةُ هوىً يَرِفُّ وفتنةٌ وشَجىً دفينْ
***

---

* نشرت في آب(أغسطس) ١٩٤٥

١- الخرقات : نوع من العصافير.

جمال حزين*

أجَلُّ من الحُزْنِ والمَأتَمِ جَمالُكِ. إنْ كُنْتِ لَمْ تَعْلَمي!

وَقَدْ دار حولَ الجبينِ الخمارُ تَشَعْشَعَ** كالليلِ بالأنْجُمِ!

كما أَرْسَلَ الصبحُ لآلاءَهُ بَريئاً من الصّبْغِ كالعَنْدمِ!(١)

وفي شَفَتَيْكِ الجَنَي والرَّحيقُ ولكن طَهُرْتِ فَلَمْ تَأثَمي

وكَفَّكِ في الصمتِ حُزنٌ شَفيفُ سِوى قُبْلةٍ وصْوصَتْ في الفَمِ!(٢)

وفِتْنَةُ هذا الجَمالِ العَميقِ وطُهْرٌ نَماكِ إلى مَرْيمِ

* * *

هُو الحِلْمُ بينَ ضِفافِ الجَنانِ يَرِفُّ على ثَغْرِكِ المُلْهِمِ

ويَطْرُقُ عَيْنَيكِ في سَبْحَةٍ إلى عالَمٍ شاعِريٍّ ظَمي

تَحجَّبَ بينَ شِعابِ الغُيوبِ وأومَضَ في قلبِكِ المُفْعَمِ

ضَميري يُحِسُّكِ أُغْرُودةً على شَفَتَيْ خاطِرٍ مُبْهَمِ

* * *

* نشرت في كانون الثاني(يناير) ١٩٤٨.

١- الغندم: صبغ تختصب به الفتيات.

٢- وصوصت: ضيقت ويقال: وصوصت المرأة: ضيقت نقابها فلم يُرَ منه إلا عيناها، والمراد قبلة سريعة خفيفة.

الرثاء

ودمُ المختار ما زالَ نديّا

يستحثُّ الخانِعينَ الضُّعَفاءْ

وضحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ اليوم

يدعو مَنْ يجيبونَ الدُّعاء

وحي الخلود*

المــوتُ مرحلــةُ الخلــودِ والذِّكْــرُ عُمْــرٌ لا يَبيــدْ
فــإذا انتهــى أجَــلُ العظيــم فَذِكْــرُه أجــلٌ جَديــدْ
مــاتَ الزعيــمُ ولم تــزلْ آثــارُه تُحْــيِي الجنــودْ
وَمضَــى شــهيداً طاهــراً يــا نعْــمَ ذَيَّــاك الشــهيدْ
هــو عَلَّــمَ الشــعب الجهــا دُوأيقــظَ القــومَ الرُّقُــودْ
هــو كانَ رَوحــاً بيننــا يَحيَــا فُيُحْــيِي مَــنْ يُريــدْ
هــو كانَ كالأمــلِ المُضــى ء وكانَ كالجــدِّ الســعيد
هــو قــد حَبَــا الأشــبالَ مِــنْ عَزَمَاتِــه بــأسَ الأســودْ
فــإذَا مَضَــى الأســدُ الهصــو رُ فَخَلْفَــه أَســدٌ عَتيــدْ
وإذا خَبَــا الــرأيُ الرَّشــيـ ــدُ فَخَلْفَــه رأيٌ رشــيدْ
يــا ســعدُ أدْمنــتَ الجُهــو دُ فحســبُنا تلــك الجُهودْ

* * *

نَــمْ مطمئنــاً بعدَمــا عَلَّمْتَنــا معــنى الوجــودْ
الشــعبُ بعــدَك لم يَعُــدْ يُثْنيــه وَعــدٌ أو وَعيــدْ

---

* نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٨.

الشعبُ لا يرضى القُيو دُ ولم تنلْ منه القُيودْ
الشعبُ نَصَّبَ[٧٥] مصطفا كَ وكاتمَ السِّرِ الوَدُودْ
وهو الأمينُ على العهو دِ فما يخُونَ وما يَحيدْ
يا أيُّها الخَلَفُ العظيـ ـمُ ويا أخَا الرأي السديدْ
الشعبُ خَلْفَكَ كُتلةٌ في مَوقفِ الهولِ الشديدْ
أقْدِمْ على الخَصْمِ العَنيـ ـدِ يَحُوطُكَ الجيشُ العتيدْ
مُسْتَلْهِماً وَحْيَ الفقيـ ـدِ فإنه وَحيُ الخُلودْ
إنَّ الحياة لمن صَحَا ليستْ لعُشَّاقِ الهجُودْ

* * *

الذكرى الخالدة لسعد العظيم*

هــي هذه الذكــرى لثالــثِ عامِ حَثَّــتْ رَكائبَهــا يــدُ الأيــامِ؟
هي هذه ذكــرى الخُلُــودِ ورَمْزه وشــعارُه الباقي علــى الأعوامِ
ذكــرى البُطولةِ والزمــانُ يَحفُّها بجلالِــه فتجــلُّ في الأفهــامِ
جــاءتْ تُحَدِّثُ في جَــلالٍ رَوْعَةً مَحفُوفــةً بمــرارةِ الآلامِ
بَيْنَــا تُذَكِّــرُ بالحيــاة إذا بهــا تَرْنُــو مُحَدِّثــةً بِطَــرْفٍ دَامِ[1]
مَمزُوجة الألــوانِ تعَصــفِ تَارةً وتعــودُ هَامِســةً بَوحْــيٍ سَــامِ
هي كالخلــودِ المحض غــيرَ محددٍ وهــي اليقــينُ يَبُــضُّ بالأحلامِ
وهي النفــوسُ حَيالَهــا في رَوْعةٍ أخّــاذَةٍ مَســحورةِ الإلْهــامِ
مَشْــدُوهَةً مــا إنْ تَفيــقُ وحولَها زُمَــرٌ مــن الأشــباحِ والإلهــامِ
مغمورةَ الأطرافِ شَــاعِرَةً الحَشَا في غمــزةٍ تَطْغَــى وفيــضٍ طامِ
هي هــذه الذكــرى وذاكَ جَلالُها تَحْنِــي لِرَوْعتِهــا أعــزَّ الهــامِ

* * *

أمْضَــتْ ثلاثــاً كالقــرومِ طويلةً سُــودَ المفارقِ جُلِّلَــتْ بقَتَامِ[2]
عَصَفَــتْ بمصرَ الحادثــاتُ كأنّها كانــتْ مُهيَّــأةً علــى الأقــدامِ

---

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٠

١- بطرف دام: طرف: نظر، دام: من الدم والمراد: نظرة أسى وحزن.

٢- القتام: الغبار الأسود.

وَمَشَــتْ بها هُوجُ الرِّيــاحِ جريئةً   تَجْــري لغايتهــا بغــيرِ زِمــامِ
وعَلَــتْ بؤوسٌ كــنّ أخفضَ هَامةً   وأذلَّ مــن عــيرٍ بــكلِ مَقَــام
هم قَد دَعَا دَاعِي الغرورِ فأســرعُوا   وهــم ارتضَوْا من دَهْرِهم بحُطَام
ودَعَاهُم الوطنُ الكــريمُ فأعْرَضُوا   وتَســلّلوا للخَصْــمِ غــيرَ كِرَامِ
هدمُــوا من الدســتورِ ركناً قائماً   وتعلّلــوا بالــزُّورِ والأوْهَــام
وتَصيَّــدُوا للشــعبِ كلَّ مَســبَّةٍ   كيــدَ العــدوِّ وطعنــةَ الأخْصَام
لولا جــلالُ الذكرياتِ ذَكَرْتُ منْ   آثَامِهــم مُستَبْشَــعَ الآثَــامِ!

* * *

يا ســعدُ والذكرى تُثِيرِ شــجوننَا   وتَهدُّنَــا بالعــزمِ والإقْــدامِ
وتُطِــلُّ روُحُكَ في جــلالٍ صامتٍ   يُــزْري بــكلِّ إشــارةٍ وكلامِ
يا ســعدُ تُولِيكَ القلوبُ حُشَاشَــةً   منْهــا تقــومُ بواجــبِ الإكْرامِ
وتَــزُفُّ أنفــاسَ النَّســيمِ رقيقَةً   تَسْــرِى مــزودةً بــكُلِّ سَــلامِ
يا سعدُ شخصُك في القلوبِ مُجَسَّمٌ   في كلِّ تِمثــالٍ هنــاك مُقــامِ!
إنّ الــذي يحــيى مَشَــاعَر أُمَّــةٍ   تحييــه بــالأرْواحِ لا الأجْســامِ

* * *

يــا أيُّهــا الثَــاوِي وفي تــذكارِه   وَحْــي الخلــودِ وآيــةُ الإلْهامِ
اليــوم تُذْكَــرُ والجَــلالُ مُخيِّمٌ   والصمتُ يبعث شَــاجِيَ الأنغامِ

وتمرُّ أجيالٌ وأنت مُغَيّبٌ عنا وذكرُك في المشاعرِ نامِ

إنَّا فَقَدْنَا بافتقادِك طلعةً وبَقِيتَ ذكرى خُلِّدَتْ بدَوامِ

في كلِّ نَفْسٍ من سَنَاكَ بَقيةٌ وبكلِّ رُوحٍ منك فيضٌ هامِ[1]

هذا هُو الشعبُ الذي خَلّفَته وسطَ الطريق مُيمماً لأمامِ

هو لا يزالُ مُجاهِداً كعهودِه هو لا يزالُ مُؤيدَ الأعْلامِ

أمّا الأُلى نَكَثُوا العهودَ فما رَعَوا إلاًّ ولم يَسْتَمْسِكُوا بذِمامِ

فهم البُغَاثُ جَليلُهم وحقيرُهُم وهُم الذِّئابُ تَفَجُّعٌ في الإجرامِ[2]

يا سعدُ لا تقلقْ لِفَعْلَةِ خارجٍ أنتَ الخبيرُ بهذه الأقْزَامِ!

حَمَلَ اللواءَ وصارَ بعدَكَ مُصْطفى يقفُو خُطاكَ فكانَ أخْلصَ حَامِ

قد يَذْهبُ الليثُ الهصورُ وإنّما تبقى الليوثُ عن العرينِ تُحامِي

* * *

١- هام: غزير.

٢- البغاث: ضعاف الطير

البطل*

في مثل هذه الغمرات القاسية، التي تعانيها الأمة المصرية الآن، يمر كثير من الحوادث الجسَام دون أن يثير انتباها؛ لأن الأمة في شغل عنه بما هي فيه؛ في شغل بالنَكبةَ العامة عن النكبات الجزئية.

من ذلك وفاة السيد (العبيد) رئيس جمعية اللواء الأبيض في السودان؛ ذلك الشاب الجرىء الذي ألّفَ جمعيته على إثر إخراج الجيش المصري من السودان سنة ١٩٢٤ وقام يناضل عن صلة شطري الوطن المفدى، ووحدته المقدسة؛ في جُرْأة عجيبة؛ ورجولة كَاملة؛ وبطولة فذة غير عابىء بسجن مُرْهق شديد، ولا ًبتنكيل وحشي قاس بلغ من وحشيته وقسوته أن يسجن الفقَيد وهو «سياسي» ًفي سجن رطب في بقعة نائية من السودان تحيطُ بها الأحْرَاجُ والمستنقعات، ويطوف بها طائف الفناء الرهيب، وتحوم حواليها الحشرات القتالة. ثم لم يكتف الاستعمار بذلك «الاستعمار الذي يمثل المدنية!!!» بل أضاف إليه تشغيل هذا البطل ورفاقه في قطع الأحْجار ورصف الشوارع حتى وَهَنَتْ قواهم وأصابت الشهيد الحمى فمات في سجنه تحوطه مظاهر القسوة بل الوحشية، بعد سبع سنوات كاملة لم تَهُنْ فيها نفسه، ولم يخضع للإذلال.

هذا هو (العبيد) الذي يموت دون أن يشّعر بموته في مصر أحد. والشباب المصري، الشباب التافه الناعم، الشباب المشغول بالتطرية والزينة والحقارات النفسية الوضيعة، الشباب الذي فقد رجولته ومميزاته؛ ونسي ماضيه ووقفاته. هذا الشباب في شغل بما هو فيه من متاع ضئيل عن الانتباه للبطل الشهيد وذكراه، بل عن الانتباه لكل أمر ذي بال في الحياة!

وهذه القصيدة نفثةٌ من شاب يقضى بها حق الشباب، وهذا ما يستطيع فرد أن يعمله؛ فإذا كان بالشبانّ الآخرين حياة تعمل شيئاً للذكرى كان بها، وإلاّ فحسبي هذه النفثُة الحرّى.

* نشرت عام ١٩٣١.

سَـجِّلي يا أرضُ وارْعَـيْ يا سماءْ   مَصْـرَعَ الجبـارِ بـينَ العُظَماءْ
مَصْـرَعُ الجَشَّـامِ مـا إن يَنْثَنـي   أو تُدَكُّ الأرضُ أو تُطوى السماءْ[1]
يقـفُ الهـولُ لديـه خَاشـعاً   وهـو يَلْقى الهولَ بَسَّـام الرِّضَاءْ

* * *

نـالَ منه المـوتُ ما لَمْ يستطعْ   نَيْلَـه الغُصَّـابُ في سَـبْعٍ وِلاءْ
عَذّبُـوه ونَفَـوه ومَضَـوا   في فنـونِ الظُّلْمِ ما الظلمُ يَشَـاءْ!
أرسـلُوه حيثُ وادِي المـوتِ إذْ   لا يَـرى الأحياءُ أطيـافَ الرَّجَاءْ
في مَبـاءاتِ تُـدوِّى بَيْنَهـا   جَلْجَلاتُ الموتِ في هَولْ الوبَاءْ[2]
تَصْفُـرُ الرِّيـحُ بهـا مُعْوِلـةً   تنـذرُ الأحيـاءَ فيهـا بالفنـاءْ
وأرادُوا والمَنَايـا حَوْلَـه   أن يُذِلُّـوا فيـه تلـك الكِبْريَاءْ
فمضَـى يَأْنَـفُ في سُـخْريةٍ   عيـشَ ذُلٍّ هُـو والموتُ سَـواءْ
لم يقلْهـا: لَفْظَـةٌ، لـو قالَهـا   لَقِـى النَّعْمـاءَ منهـم والـوَلاَءْ

* * *

ليـتَ أهلَ الأرضِ يـدرونَ بما   صنـعَ الغُصَّـابُ بالنفـسِ البَراءْ
أتُـرى أنْعَتُهـا وَحْشـيةً   في ظـلامِ الكهفِ لَمْ تـدرِ الضيّاءْ؟
أظْلـمُ الوحـشَ إذا شَـبَّهتُه   بوحـوشِ الغَـربِ تمتـصُّ الدِّمَاءْ!

١-الجشّام: المتقحّم.

٢- مباءات: الأماكن الموبوءة.

يَفْتِكُ الوحشُ لِيحيَا بينما يَفْتِكُ الغربيُّ حُبًّا في الثَّرَاءْ!
يا شبابَ الشرقِ هذا موقفٌ تَقْشعِرُّ الأرضُ منه والسماءْ
ودمُ المختارِ ما زالَ نديّاً يستحثُّ الخَانعينَ الضُّعفاءْ[1]
وضَحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ اليومِ يدعُو مَنْ يجيبونَ الدُّعَاءْ

* * *

يا شبابَ الشرقِ والشرقُ إذا لم تكونُوا جُنْدَه ضَاعَ هَبَاءْ
لا يردُّ الحقّ قولٌ فَارِغٌ تَذْهَبُ الرِّيحُ به عَصْفَ الهواءْ
إنْما يُجْدِي جِهَادٌ عَارِمٌ وخِصَامٌ ونِضَالٌ وعَنَاءْ
إنما يُجْدِي إذا نَبْعَثُها كهزيم[95] الرعدِ تَدوي في الفَضَاءْ
إنما يُجْدِي إذا ما أيْقَنُوا أننا كالغَربِ قومٌ أقْوِيَاءْ

* * *

يا شبابَ النيلِ ماذَا؟ وَيْحَكُم! أفأنتم حيثُ يُحييكُم دُعَاءْ؟
يا شباباً نَاعماً مُسْتَأنِثاً كَذوات الخِدرِ في ظِلِّ الخِبَاءْ![2]
يا شباباً تافهاً مُحْتَقَراً تأنفُ الأجيالُ منه في ازدرَاءْ
يا شباباً هَمُّه لَذّاتُه فهو يَحيا بينَ كأسٍ وخَنَاءْ

١- هو الشهيد البطل عمار المختار الزعيم الطرابلسي وقد أعدمه الطليان رميا بالرصاص مع أنه مجاهد مستقل، مخالفين في ذلك كل التقاليد المدنية.

٢- ذوات الخدر: الفتيات الأبكار.

يــا شــباباً قَصُــرَتْ آمالُــه كخَشَــاشِ الأرضِ مرمَــاه الغِــذَاءْ
يــا شــباباً نُكِــبَ النيــلُ بِه في الأَمانِــي والتَّعــلَّاتِ الوِضَــاءْ
يا شــبابَ النيلِ هَــلْ أبْصَرْتُمو في فَتى الســودان كيفَ الشُّــهداءْ؟
عُمْــرُ الإِيمــانِ بالحــقِ لــه مهجةٌ حَــرّى فجــادتْ بالفِــدَاءْ
يــا شــبابَ النيــلِ هــذَا مَثَلٌ لجــلالِ المــوتِ في ظِــلِّ الإبَــاءْ
مــا يقولُ الشِّــعُر في هــذَا ومَا حِيلَــةُ الشِّــعرِ؟ وما طَــوْقُ الرثاءِ؟
موقفٌ جَــلَّ عن الشــعرِ فَهَلْ يُكْمِــلُ التاريخُ بَــدْءَ الشُّــعَراءْ؟

* * *

ذكرى سعد*

خَمْـــسٌ مَضَينَ تَجُنُّكَ الأســـتارُ   فيهـــا. وقـــبرُك كعبـــةٌ ومَنَـــارُ

في كلِّ مطّلـــعٍ وكلِّ ثَنيـــةٍ   ذكـــرى تَزاحَـــمُ حولَهـــا الأفْكَارُ

باقٍ على عَنَتِ الخُطوبِ وعَسْفِها   مجـــدٌ تَقَاصَـــرَ دونَـــه الأنظـــارُ

تتصـــرَّمُ[٠٦] الأيامُ وهـــو مُوطَّدٌ   يعنُوالخصـــومُ لديـــه والأنصـــارُ

وكأنّـــه عَلَم يُنيـــفَ على الورَى   ترنُـــو إليـــه وتَخْشَـــعُ الأقـــدارُ

وتَضَاءلَ الأشخاصُ عنه ويستوى   في ظلّـــه الأقـــزامُ والجبـــارُ!

* * *

ماذا يُطيقُ الكونُ أن يَنْسَـــاه من   ســـعدٍ؟ وكلُّ عظيمـــةٍ تَـــذْكَارُ؟

هـــل كانَ إلاّ في العظائـــم مَوْئلاً   في يوم تَشْـــخَصُ عنـــدَه الأبصَارُ

تَـــدْوِي حَواليه الخطـــوبُ وتَنْثَني   كأشـــمَّ يَعْصِـــفُ حَوْلَـــه الإعْصَارُ

فإذَا مَضَى الهـــولُ المُرَوِّعُ وانجلتْ   غمراتُـــه وتَرَاخَـــتْ الأخْطَـــارُ

أبْصَرْتَ تحتَ الهولِ بَسْمَةَ هَادِىءٍ   راضٍ أشَـــمَّ كأنّـــه المقْـــدَارُ

رُوحٌ تَجِـــلُّ عن الحيـــاةِ وأهلِها   وصروفِهـــا، وتَحُفُّهـــا الأســـرارُ

رُوح البطولـــةِ والبُطولةُ طَلْسَـــمٌ   كالســـحر تَدْهَـــشُ عِنْـــدَه وتَحارُ

أفذاكرٌ أنتَ الجموعَ وحَشْـــدَها   لمـــا دَعَـــا ســـعدُ الجموعَ فَثَـــارُوا

---

*نشرت عام ١٩٣٢

مــاذا أبــركانٌ تَفَجَّــرَ أم تُرى   مــوجٌ أشــمُّ أحــمُّ؟ أمْ تَيــارُ
سِــحر البطولةِ أو شُــواظُ لَهيبها   يُذْكِــي النفــوسَ فكلُّهــا مِغوارُ
ذكرى تُقدِّسُــها البــلادُ كريمةً   وتصــوُن رَوْعــةَ مَجْدِهــا وتَغَارُ
هي بعضُ تاريــخِ البلادِ فَلَمْ تَكُنْ   تاريــخَ فــردٍ يَنْطِــوي ويُثَــارُ!
ذكرى يَحُفُّ بِها الجَلالُ وتَنْزَوِى   بِإزائهــا الأحقــادُ والأوزَارُ
ذكــرى تُطِــلُّ كأنَهــا قُدْسِــيّةٌ   فالــكلُّ تَحــتَ ظلالِهــا أبَــرارُ
فلتّعْــنُ للذكرى الجبــاهُ وتَنْحَنِ   الهامــاتُ ولتتخَشَّــعُ الأبصــارُ

* * *

طليعة الضحايا*

سَجِّلي يا أرضُ وارعَيْ يا سماءْ مَصرعَ النَّسْرينِ في جوفِ الفَضاءْ[1]
سَجِّليه بمدادِ الفخرِ لا بلْ بفيضٍ من دِماءِ الشُّهداءْ
مَصْرعُ الآسادِ في آجَامِها لا كما تَلْقَى مَنايَاها الظِّبَاءْ!
سَجِّليها رَوعةً قد مُزِجَتْ من أسَى الحزنِ، ومِنْ فَيْضِ العَزَاءْ
وضَحَايا المجدِ في مَذْبَحِه يلتقي اليأسُ عليها والرَّجاءْ!
وهي القُرْبانُ يَفْدِي أُمةً إيهِ ما أكرَمهُ هذا الفِدَاءْ

* * *

دَوْماً والريحُ في مُعْتَرَكٍ صَاخِبِ الأنواءِ، مِشؤومِ العُواءْ
وظلامٌ في ظَلامٍ مُبْهَمٍ يَخْشَعُ الهولُ لديهِ والفَنَاءْ
طَامِسُ الآثارِ مجهولُ الخُطَا لا دليلَ، لا شُعَاعَ؛ لا ضياءْ
وهما في جَوْفِه تَحْدُوهُما همَّةٌ قَعْسَاءُ تَأبَى الانْزِوَاءْ
يَلْطُمانِ الريحَ إمّا لَطَمَتْ ويَروغانِ كأطيافِ الهَواءْ
أُشْرِبَتْ نَفْسَاهُما حُبُّ العلاُ وأرَادَها حياةً في السماءْ
قد أرادَا؛ وأرادَ اللهُ ما كانَ؛ سُبحانَك تُمْضِي ما تَشَاءْ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٢.

١ – هذا البيت للمؤلف في قصيدة سابقة، والنسرين هما حجاج ودوس شهيدا الطيران.

إِيـهِ يـا مِصْـرُ عـزاءً إنّمـا أنـتِ أولَـى بالتحيـاتِ الوِضَاءْ
قـد بذلـتِ اليـومَ مـا تَبْذُلُه أمـةٌ شَـاءتْ حيـاةَ النُّبَـلاءْ
أمـةٌ قَـدْ أعلنـتْ قِسـمتَها من صميمِ المجـدِ بينَ القُسَـمَاءْ!
ودمٌ يُهـراقُ في تَضحيـةٍ سـوفَ يَسْـرِي نخوةً بـينَ الدِّمَاءْ

* * *

موت سوسو*

سوسو هرٌّ أليف ظريف انطفأت فيه شعلةُ الحياة المقدسة بين يدية، وهذه مرثيته، أو مرثية الشعلة الخابية فيه:

لقد هَمَدَتْ في الضُّلوعِ الحياةُ   فما يَرْجُفُ القلبُ أو يَخفُقُ
وقد غابَ لألاؤهَا في العيونِ   فما تَرْمُقُ الكونَ أو تَبْرُقُ
وقد سَكَنَتْ نَأمَةٌ في حَشَاه   فما عادَ يَقْفِزُ أو يَمْرُقُ
فَيا قُرْبَها لَحْظَةٌ في الزَّمانِ   ويا بُعدَ آثارِها تَنْطِقُ
وتَنْقُلُ من عالمٍ صَاخبٍ   إلى عَالمٍ صمتُه مُطْبِقُ

* * *

تُقيمِ الحياةَ هُنا مَأتماً   وما إنْ تَني جَزَعاً تَفْرَقُ(١)
وإنَّ الحياةَ لمجنونةٌ   بأبنائِها الكُلِّ لا تَفْرُقُ
فجيعتُها في صِغارِ الفراشِ   كموتِ الفَتى حَادثٌ مُرْهِقُ
هو الموتُ في كُنْهِه واحدٌ   ويُزْهِقُ مِنْ بعدُ مَنْ يَزْهَقُ
قَدْ انْدَحَرَتْ في صِراعِ الرَّدَى   فحقَّ لَها كلُّ ما تَحْنَقُ!

* * *

---

* نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر)١٩٣٨.

١- تني: تضعف.

وتَرْجُـــفُ في كلِّ حَـــيٍّ إذَا أصَـــابَ سِـــواه الـــرَّدَى المُزْهِـــقُ
أشِـــعَّتُها في جميـــعِ النفـــوسِ يُرقْرِقُهـــا مَصْـــدرٌ يَألَـــقُ
فـــإن مَسَّـــه مـــا يَغُـــضُّ الضياءَ تَذَبْـــذَبَ لألاؤُهـــا المُشْـــرِقُ[1]
فيـــا دَمْعَـــةً رَقْرَقَـــتْ في العيون لأنـــتِ الحيـــاةُ هَمَـــتْ تَدْفُـــقُ
يَعِـــزُّ على النفـــسِ فَقْـــدُ الحياةِ فَتَجْـــزَعُ للمـــوتِ إذْ يَطْـــرُقُ

* * *

١- الحياة وحدة في جميع الأحياء كمستودع الطاقة يمد فروعه المتفرقة ومتى مسّه ما يغض من طاقته تذبذبت جميع الفروع وكذلك يرجف الأحياء لموته.

الزاد الأخير*

زَوِّدِيــني مِــنَ الرَّجــاءِ الأصيلِ   مُشْــرِقاً فيــكِ في المُحَيَّــا الجميلِ
أَنْــتِ كَنْزٌ من الطَّلاقَةِ والبِشْــرِ   ودُنْيــا مــن السَّــنا المَعْسُــولِ
خِفَّــةُ الطَّيْرِ وانطــلاقُ الأماني   بعــضُ مَا فيكِ وانطلاقُ السُّــيولِ
وَهَــجٌ يُبْهِــرُ النُفُــوسَ ويُزْكي   خَفَقَــاتِ القُلــوبِ عِنــدَ المُثُولِ
ذَخَرَتْــكِ الحيــاةُ كَنْــزَ حَيَــاةٍ   ورَصيــداً لِمَالِهــا المَبْــذُولِ!

* * *

زَوِّدِيــني لَــكَادَ يَنْفَــدُ زَادِي   في صِــرَاعٍ مِــنَ الحيــاةِ طَويــلِ
كادَ يَخْبُــو المِصْبــاحُ إلاّ بَصيصاً   فاسْــكُبي الزيتَ في بَقَايــا الفَتيلِ
كُنْــتُ كالجَــذْوَةِ المُشَــعَّةِ نُوراً   وهــي اليــومَ في طَريــقِ الأُفُولِ
فيــكِ زَادٌ يَقُوتُنَــا ويَقِينَــا   عَثَــرَاتِ الطريــقِ بــينَ التُّلُــولِ
أنْتِ لا غيرُكِ القَديــرةُ أنْ تُزْكِي   حَيَــاةً بِخَاطِــرِي ومُيولــي

* * *

حينَ أَلْقَاكِ يَغْمُرُ البِشْــرُ نَفْســي   بِرَجَــاءٍ مُشَعْشَــعٍ مَوْصُــولِ
وأرَى عِبْئِــيَ الثقيــلَ خَفيفــاً   وأرى نَاهِضــاً بِعِبْئِــي الثَّقيــلِ
وكَأنّي استَشْــعَرْتُ رُوحَ شَبابي   وَرَجَّعْــتُ الزَّمَانَ صَعْــبَ القُفُولِ
فَأعيــدِي إلَيَّ مَاضِــيَ عُمْــرِي   واغْمُرِيــهِ بالبِشْــرِ والتَأميــلِ
واطْلُعِــي في قِفَارِ نَفْســي حياةً   وإذَا مَا دَجَــى عَالَمي أوَ مضِي لي

* * *

---

* نشرت في تموز (يوليو) ١٩٤١.

نوسة
أو
شطر من العمر*

نوسه قطة صحبتني اثني عشر عاماً، تحتل مكان الطفل الحبيب، وتشغل فراغه من نفسي وزمني، وتمنحني من الودّ والثقة والدعابة كفاء ما أمنحها من العطف والعناية والملاعبة، ثم ماتت بين يدي...

أَغْمضي عينيك قد آنَ الأوانُ ودَعيني نهبةً للشجَنِ
وَأمَنّي دُنياك في آتي الزمانِ ودَعيني لُعْبَةُ للزَّمَنِ!

* * *

هذه كَفّي وقد مرّتْ عليكِ في حَنانٍ وارتياعٍ وولُوعِ
لمْ تَحُسّيها ولم يَنْبِضْ لديك قلبيَ النابضُ من بينِ الضُلوعِ

* * *

هذه الكفُّ التي كَمْ دَلّلَتْك وسَّدَتْكِ اليومَ أطباقَ الثّرى[1]
أيّ حاليْها تُرى أحنَى عليكِ؟ ليتني أدْري. ومن فينا دَرَى؟

* * *

ذلك الصّوتُ الذي تَرْتَقبينَ قَدْ دَعاكِ اليومَ من خَلْفِ الحِجابْ
قد دعاكِ. إنّما لا تَسْمَعينَ أُسْدِلَ السِّتْرُ وقد عَيَّ الجوابْ

* * *

---

* نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر) ١٩٤٢.

١- وسدتك: جعلت تحت رأسك الثرى.

أنَا يا «نُوسـةُ» والعهـدُ قريبٌ   مُوحِـشُ النفسِ شَـجِيٌّ للمَغيبِ
مَوْضِعُ الصاحبِ والطفلِ الحبيبِ   قـد خَلا في ذلكَ القلـبِ الغريبِ

* * *

مَوْضِعُ الشَّطْرِ الذي قد عِشْتِ فيه   مـن حَياتـي مَوْضِعـاً للحَدَبِ
مَا مَضَى مـن دونِـه أو مَا يَليه   غربـةٌ تَقْسُـو علـى مُغْتَـرِبِ

* * *

إنـي أبْكيكِ يـا ظلَّ الشـبابِ   إنـي أبكيـكِ يـا طيـفَ البنينْ
رُفْقَةٌ طالـتْ على خيرِ اصطحابِ   لَـكِ عَطْفِـي ولَي الـودُّ المكينْ

* * *

لم يكـن ودٌّ بُطُـونٍ وطعـامٍ   إنمـا وُدُّ اصطحـابٍ ووَفـاءِ
طَالَمَا آثَـرْتِ إنْ غِبْـتُ الصيامَ   أو تَلُوذِيـنَ بصَمْـتٍ وانْـزِوَاءِ

* * *

فـإذَا عُـدتُ فَوَثـبٌ ومُـواءٌ   نَاطِـقٌ بالشـوقِ أو بالفـرحِ
وألاَعِيـبٌ وخَمْـشٌ والْتِـوَاءٌ   وتَثَـنٍ   نَاطِـقٌ   بالمَـرَحِ

* * *

طَالَمـا نَادَيْتنـي عَـذْبَ النِّداءِ   في وَدَاعِ حـينَ أمْضـي أو لِقَـاءْ
في صبـاحٍ حينَ أصْحو أو مَسَـاءٍ   بوثُـوقٍ   واعتـدادٍ   وذَكاءْ!

* * *

طَالَما أحْسَسْتُ أنّي لكِ وَحْدَكِ لا تطيقينَ شَريكاً أو شَبيهاً
طالما وَطَّأتِ في حِجْرِي مَهْدَكِ فَعْلَةُ الطفلةِ في حُضْنِ أبِيهَا
* * *
كنتِ لي كلّكِ في هذي الحياةْ أينَ مَنْ ألقَاه فيها لَي كُلُّهُ؟
كُلُّ مَنْ ألْقَى لَه فيها هَوَاهُ ولَه آمَالُهُ فيها وشُغْلُهُ!
* * *
قَد خَلا حُضْنِي وكَفِّي وذِرَاعِي قَد خَلا قَلْبِي مِنْ هَذا المَتَاعِ
مُنْذُ دَعا الموتُ فأصْغَيْتِ لداعٍ مَنْ دعَاه لم يُعقِّبْ لِوَدَاعِ
* * *
أنَا يا «نُوسةُ» أمْضِي والليالي وخَواءُ الموتِ يَغْشَى عَالَمِي
رَسْمُكِ الشَّاخِصُ يبدُو كالخيالِ أو كَحُلْمٍ في ضميرِ الحَالِمِ
* * *
وخَيالاتُكِ في كلِّ مَكانٍ شَاخصَاتٍ تَتَراءى للعَيانْ
تَصْحَبُ العُمْرَ علَى خَطْوِ الزمانِ هَاهُنا كنتِ وقَدْ كَانَ وكانْ
* * *
هذه أنْتِ إلى حُضْنِي أوِيْتِ هذه أنتِ أمامي قَد رَبَضْتِ
هذه أنتِ علَى صَدْرِي وَثبْتِ لهفَ نفسِي! أينَ أنتِ أينَ أنتِ؟
* * *

ها هُــو الصبــحُ فأيــنَ الوَثَبَاتُ   هــذه كَفّى فأيــنَ اللّمسَــاتْ؟
ها هــو الأكلُ فأيــنَ الهَمْهمَاتُ؟   أينَ أينَ؟ كلٌّ ما قَــد كَانَ فَاتْ!

* * *

أيــنَ قطّاتُــكِ في الحِــرْزِ الأمينِ   مَــنْ دَنَــا منهــا عليــه تَثبِــيْنْ
غــير أنّــي لِــيَ وَحْــدي تأمنينَ   وإذَا مُسّــتْ فَبِي تَســتَنْجدين؟

* * *

سَــكَتَ الصوتُ وقــد كَان غنَاءً!   سَــكَتَ الوَثْبُ وقَــدْ كَانَ مَضَاءْ
وامتــلاءُ البيتِ قد أمْسَــى خَواءَ   كلُّ مَــنْ فيه قــد اسْــتَلْقَى عَيَاءْ

* * *

هــا هُنا كنتِ؟ أمَــا هذا ضَلالٌ؟   وتهاويــلُ خَمَّــارٍ أو خَبَــالْ؟
لم يكــنْ شَــيءٌ ولم يَطْــرَأ زوالٌ   كلُّ مَــا كَانَ خيــالٌ في خيــالْ!

* * *

ضَلّــةٌ للنــاسِ في آمالِهــا   والمَنايــا رَابِضَــاتٌ بالوَصِيــد
زُمَــر تَمضِــي إلى أَجَالِهــا   والذي يَحيــا يُرَجَّــى في الخلود!

* * *

صدى الفاجعة *

لم تكن إلا مرات معدودة جلست فيها إلى فقيد مصر العظيم. ثم هأنذا أعاني من الفجيعة فيه كأنها فجيعتي الخاصة... فيا ويحَ لأولئك الذين عاشروه، فأحبوه ووار-هتاه لهم كيف يعيشون...؟

جَـفَّ الرِّثاءُ بخاطـرِي المَفْجُوعِ وصَمَـتُّ لا أفضي بغـيرِ دُمُوعي
إني ذُهلـتُ عنِ المُصـابِ بوقعه حِيناً، ذُهُـولَ الوَاهِـمِ المَخْدُوعِ
فَظَللتُ أنْصتُ للرجـاءِ، وأتّقي صوتَ اليقـينِ الفَاجِعِ المَسْـمُوعِ
أيمُـوتُ؟ كَلاَّ! لا يمـوتُ وهذه مصْـرُ تُرجّـى نَجْمَه لِسـطُوعِ
أيموتُ والأحـداثُ تَهْتِفُ باسْمِه أتكـونُ تلـكَ هُتافَـةَ التوديعِ؟
قُلْ أيُّها النّاعِي سِـواهُ؟ فما أرى أنّي -- وإنْ جَاهَدْتَني -- بِسـميعِ!

* * *

واويلتَـاه! أإنَّهـا الحقيقـةُ جلّتْ عن الإيجـافِ والترويعِ؟[1]
صمَتَ الذي قَدْ كَانَ ألْحَنَ حُجَّةً وتَحدَّثَـتْ طعناتُـه بِنَجيـعِ[2]
مُتَفجّـراتٍ بالدِّمـاءِ كأنّهـا كلماتُـه في قـوةٍ ونُصـوعِ
كلماتُـه اللائِـي نَبَضْـنَ بِقَلْبِه ودِمَـاؤه مـن ذلـكَ اليَنْبُـوعِ

* * *

---

* نشرت في آذار (مارس)١٩٤٥.

١ - الإيجاف: من أوجف الشيء: حرّكه،وجف القلب: خفق،قال تعالى﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ والمراد خفقان القلب واضطرابه.

٢- النجيع: دم الجوفز

يا واهبَ الوادي مَريعَ حَياته   ما بالُ عُمْرِكَ لم يكنْ بمَريعِ؟

يا مانعَ الوادي العزيزِ بنَفْسه   ما بالُ عُمْرِكَ لم يكن بمَنيعِ؟

خَطَفَتْكَ عاديةُ المَنونِ وخَلَّفَتْ   وَطَناً يُعالِجُ سَكْرَةَ المَصْرُوعِ

تَخلو مَكانُكَ ليس يَمْلأُ رَحْبَه   إلا الأسى وتفجُّعُ المَفْجُوعِ

تَخلو مَكانُكَ والبلادُ تَهيّأَتْ   تَخْطُو إلى أُفُقٍ رَسَمْتَ وَسيعِ

وتَلَفَّتَتْ تُصْغي لِصَوْتِكَ هادياً   في المُدْلَهِمِّ ورأيِكَ المَسْمُوعِ

فَصَمَتَّ - يا للهولِ - صَمْتَةَ واجِمٍ   ماضٍ لغيرِ تأوُّبٍ ورُجُوعِ

وَاهاً لِمَصْرَ ويا فَجيعَةَ أهْلِها   في الرائدِ المتفرِّدِ المَتْبُوعِ!

* * *

الوطنيات

تبغُونَ الاستقلالَ؟ تلكَ طريقُهُ
ولقد أخَذْتُم بالطريقِ فيمّمُوا

وهو الجهادُ حميّةٌ جشّامَةٌ
ما إنْ تخافُ من الرَّدَى أو تَحْجُمُ

إلى البلاد الشقيقة*

عَهــدٌ علــى الأيــامِ ألا تُهْزَمُوا   فالنصرُ يَنْبُتُ حيــثُ يُهراقُ الدَّمُ
في حيــثُ تعتبطُ الدِّمَــاءُ فأيقنُوا   أن سوف تَحيَوْا بالدِّماءِ وتَعْظُمُوا[1]
تبغُونَ الاســتقلالَ؟ تلك طريقُهُ!   ولقــد أخَذْتُــم بالطريــقِ فيمِّمُوا
وهــو الجهــادُ حَميَّةٌ جشّــامة   ما إن تخافُ مــن الرَّدى أو تُحْجِمُ
إن الخلــودَ لِمــن يَطيقُ مُيَسَّــرٌ   فليمضِ طلابُ الخلــود ويُقْدِمُوا
وطــنٌ يُقَسَّــمُ للدخيــلِ هديةً   فعــلامَ يَحْجُمُ بعد هــذا مُحْجِمُ؟
الشــرقُ يا لَلشِّــرقِ تلك دمَاؤُه   والغربُ يا لَلغــرب يُضْريه الدَّمُ[2]
الشرقُ ويحَ الشرقِ كيفَ تَقَحَّمُوا   حرماته الكُبْرى وكيــفَ تَهجَّمُوا
غرتُهمُو سِــنَةُ الكَــرى فتوهَّمُوا   يــا للذكاءِ! فكيفَ قــد غَرَّتْهُمُو؟
سِــنَةٌ ومــرت والنيــامُ تيقظُوا   فليعلمُوا مَنْ نَحــنُ أو لا يَعْلَمُوا!
اليــومَ فَلْيَلغُوا الدّمــاءَ وفي غد   فَلْيَنْدَمُــوا عَنهــا ولاتَ المَنْدَمُ[3]

* * *

أبطــالَ الاســتقلالِ تلــك تحيةٌ   مِنْ مصــرَ يبعثُهــا فــؤادٌ مُفْعَمُ
إخوانُنــا في الحــالِ والعُقْبى معاً   إخوانُنــا فيمــا يَلَــذُّ ويُؤْلِــمُ
مِصْــرُ الفتاة ومــا تَــزالُ فَتيةً   تَهْفُــو إليكُــم بالقلــوبِ وتَعْظُمُ
في كلِّ مُطّلــعٍ وكُلِّ ثَنيّــة   نارٌ من الشــرقِ الفتيِّ سَتُضْرَمُ

* * *

* نشرت في ١٩٣١بمناسبة ثورة فلسطين وحوادثها الدموية.
١- تعتبط: من عبطه الموت أي مات شاباً صحيحاً.
٢- يضريه: يجعله من الضواري .
٣- فليلغوا: من ولغ يلغ: شرب الدماء دون ارتواء. لات الندم: ليستالساعة ساعة اليوم.

مأساة البدارى*

ليس في مصر من لا يذكر هذه المأساة الوحشية التي مثلها مأمور البداري المقتول مع أهالي البداري عامة؛ وسجين البداري خاصة، وذلك الموقف العجيب الذي وقفته منها وزارة العهد المظلم البائد، وقد حالت قيود ذلك العهد البغيض دون نشر هذه المقطوعة وسواها.

ما ذلك، العِرْضُ الشريفُ يُثْلَمُ؟ ويَسيلُ منْ حَنَقٍ حَواليه الدَّمُ؟
ومن الذي سَامَ النفوسَ مَهانةً يَأبى ويأنَفُها الذلولُ الأعْجَمُ؟[1]
من كلِّ ما عَوْرَاء تُكْشَفُ جَهْرَةً ويُهانُ منها ما يُصانُ ويُكْرَمُ
وكَرامَةٍ يَشْتطُّ في تحقيرها نَذْلٌ حقيرُ القلبِ لا يَتَأثَّمُ
في أيِّما بلدٍ نعيشُ؟ وأيما عهدٍ يمرُّ على الكِنانةِ مُظْلمُ؟[2]
عهدٌ نُسامُ الخَسْفَ فيه ونُبْتَلى نقَماً إذا قُمْنا نَضجُّ ونَنْقمُ
وَحْشيَّةٌ كَشَفَ الزَّمانُ حجابَها لا بَلْ أشَدُّ من الوحُوشِ وأظْلمُ
الوحشُ يَضْلُ جَائعاً ويَعِفُّ عن فتكاته إذ ما يَعِبُّ ويَطْعَمْ

* * *

يا أيُّها الرُّفَقاءُ بالحيوانِ لا تَنْسَوْا أناسيًّا تَئِنُّ وتألَمُ
في مصرَ قد تَلْقَى الكلابُ رِعايةً بينَا يُحقَّرُ شَعْبُها ويُحطَّمُ!
في مِصرَ لا يَلْقَى المسيءُ جَزاءَه لا بَلْ يُكافأُ دونَه ويُكرَّمُ
في مصرَ ما لا يَحْفَظُ التاريخُ من فُحْشٍ يَعِجُّ بها وفُحْشٍ يُكتَم
في مِصرَ! لو في مِصْرَ بعضُ كرامةٍ غَضِبَتْ وفارَ على جوانبِها الدَّمُ!

* * *

ماذَا يَعِزُّ على الهوانِ نَصونُه؟ لم يبقَ من حُرماتنا ما نُكْرِمُ!
الموتُ! يَا لِلموتِ! أشرفُ شِرْعةٍ مما نُسامُ به ومما نُوسَمُ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٢.
١- الذلول الأعجم: الحيوان.
٢- نعت مقطوع مرفوع في موضع الذم.

صوت الوطنية*

بمناسبة موافقة وزارة وبرلمان صدقي على مشروع خزان جبل الأولياء.

ضجَّتْ الدُّنيا فماذا تَرْتَقِبْ مِصرُ من أهوالِها حتى تَثِبْ؟
ضجَّتْ الدنيا من الهولِ الذي تركَ الدنيا جميعاً تَضطربْ
فَارَ ماءُ النيلِ أو صَارَ إلى حُمَمٍ أو نِقْمَةٍ منْه تُصَبْ
وأرى مِصرَ تُعاني سَكْرةً وإذا تصحُو تولتْ تَنْتَحِبْ؟
مِصر. يا مصرُ. وما يُجْدِي البُكا غضبةٌ يا مصرُ كاللَّيثِ وَثَبْ
غضبةٌ يا مصرُ. أو. لا. فادْرُجي في قيودِ الذلِّ وارضَىْ بالحَرَبْ

* * *

أفهذي مِصرُ أم ماذا أرى؟ أمةُ أُخرى وشعبٌ مُنْقلبْ
أم تُرى الأيامُ دارتْ دورةً فإذا الأسْدُ شِياهٌ تُحْتَلَبْ؟
ما عَهِدْنا مِصرَ تُمطِي ظَهْرها كَذلُولِ النُّوقِ مَنْ شَاء رَكِبْ!
المَطَايا حينَ تَخْشَى حَتْفَهَا تُعطِبُ السَّائقَ من دونِ العَطَبْ!

* * *

مِصْرُ لَمّا غَضِبَتْ غَضْبَتَها لَمْ يَرُعْها الغربُ لما أنْ غَضِبَ
أرسلَتْها صَيحةً داويةً كهزيمِ الرعدِ جَيَّاشَ اللَّجُبْ[1]

---

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- جياش اللجب: مرتفع الضجيج.

أنصتَ الغـربُ لها واستمعتْ أُذُنُ العَالمِ من خَلْفِ الحُجُبْ
وأحسَّ الظُّلْمُ منْها رِعْدَةً تتمشى فيه كالرُّعْبِ يَدُبْ
لم تَرُعْنا هَجْمَةٌ منْه على رُسُلِ الحق غشوماً يَحْتَطِبْ
سالتْ الأنفسُ فيها فارتوتْ تربةُ المجد بها بعد الجَدَبْ
وَوَعاها الدهرُ في آثاره جَذْوةً حمراءَ في رَأْسِ الحِقَبْ

* * *

هذه يا مصرُ ذِكْرى فاذكُري ما تولّى وادأبي خيرَ الدّأَبْ
أرجِعي الكَرّةَ لا هَيّابَةً واغلبي بالعزم أشتاتَ النُّوَبْ

* * *

المهرجان*

مَـــا هُتـــافٌ ثَـــمَّ في كلِّ مـــكانْ   ما دُعـــاءٌ ثَـــمَّ في كلِّ لســـانْ؟
مـــا نَشـــيدٌ تسْـــكُبُ الدنيـــا به   أعذبَ الألحانِ في سَـــمْعِ الزمانْ؟
ما شـــعورٌ فَـــاضَ كالوحْـــيَ هَفَا   فهفَا الشـــعرُ علـــى كلِّ جنانْ؟
مـــا ابتهـــاجٌ وسُـــرورٌ ورِضَـــا   وانطـــلاقٌ في التمنِّـــي والأمانْ؟
مِهْرَجـــانُ العـــرشِ والشـــعبِ مَعاً   عـــاشَ فـــاروقٌ، ودام المِهْرَجانْ

* * *

قَـــال لي الدهـــرُ – وقَـــدْ راودتُه   عَـــن خَفَايـــاهُ فأفْشَـــى وأبانْ:
ليـــس كاليـــوم جَمـــالاً وسَـــنَىً   منـــذُ مـــا كان زمـــانٌ ومـــكانْ
ليـــس كاليـــوم ابتهاجـــاً ومُـــنى   منـــذُ مـــا كانَ ابتـــداعٌ وافتنانْ
غـــيرُ يومـــين وإنّـــي حَافـــظٌ   في ســـجلّي كلّ مـــا كان وبـــانْ
يـــومُ ميـــلادٍ وفي يـــوم ارتقـــي   عرشَـــه السّـــامي فأعـــلاه وزَانْ
ثم هـــذا اليـــومُ يـــومُ المِهْرَجـــان   عـــاشَ فـــاروقٌ ودَام المِهْرَجانْ!
أنـــتَ يـــا فـــاروقُ خـــيرٌ خَالصٌ   بيتما الخـــيرُ مشـــوُبٌ في الزمانْ
مـــن ضميرِ الشـــعبِ مِـــنْ يقظته   مِنْ منـــاهُ مِـــنْ أغانيه الحِسَـــانْ
صاغـــكَ اللهُ ســـنَاءً وســـنَى   صَانَـــك اللهُ وأعطـــاكَ الأمانْ!!
صَانَـــكَ اللهُ. فَإنَّـــا أُمَّـــةٌ   تَقْـــدرُ المُحْســـنَ في غـــير امتنانْ
كلّ يـــوم أنـــت فيـــه مِهرجـــان   عاش فـــاروقٌ، ودام المهرجانْ!!

* * *

* نشرت عام ١٩٣٨م

أنــت في مِصــر قُــوىً كامنــةٌ منذ كانت مصرُ شــعباً ذا كيانْ
يُســلِمُ الجيــلُ إلى تَابعــهِ هــذه القــوةَ تَذْكُــو وتُصــانْ
والليــالي مُرهِصَــاتٌ والدُّنــا تَرْقُــبُ الميــلادَ آنا بعــدَ آنْ[1]
ثمُ شَــبَّ الشَّــعْبُ في نهضتــه ناضــجَ الفِكْرَةِ مشــبوبَ الجَنَانْ
فــإذا فــاروقُ في طَلْعَتِــه هتفُ البشــرى على كلِّ لِســانْ
ثم كان اليــومُ يــومَ المِهرجــان عــاش فــاروقٌ، ودام المِهْرَجانْ!

* * *

أنــت صِنْــوُ الشــعبِ في تاريخه كنــتَ منه في الأمانِــي يومَ كانْ
قــد تَوَافَى مَولِدُ النهضــةِ والمَولدُ الضَّاحِــى، فوافت بُشْــرَيانْ[2]
حِكْمــةٌ هَــذا التَّوافِــي عَجَــبٌ شَــاءها الله فجــاءتْ في الأوانْ
ثم وَافي اليــومُ، يــومُ المهرجــان عــاشَ فــاروقٌ، ودام المهرجانْ

* * *

يــا صديقَ الشــعْب قُــدْ نهْضتَه في ســباقِ الكونِ يَظْفَــرْ بالرهانْ
ولــه مِنــك شــبابٌ طَامِــحٌ يبعــثُ الجَــرأةَ في قَلْــبِ الجَبانْ
كلُّ قلــبٍ حــينَ تدعُــو هاتفٌ: إيــه لبيــكَ، إلى شَــطِّ الأمــانْ
إيــه لبيــكَ، وفيــه نَشْــوةٌ وله مِنْ وَجْهِكَ السَّــمْحِ ضَمانْ

١- مرهصات: من أرهَصَ الشيء: أثبته وأسسه.
٢- توافى جاءا بعضهما مع بعض.

إيــه لبيــكَ، وقــد طَهّــره حُبُّــك السَّــامِي وروّاه الحَنَــانْ
كلُّ قلــبٍ خافــقٌ بِالمهرجــان عــاشَ فــاروقٌ، ودامَ المِهرجانْ

* * *

شَعْشَــعْ النَّغْمــة في قِيثَارتِــي وحيُــك العَذْبُ فجــوَّدتُ البيانْ
وجَــرى الشّــعْر وفي نَكْهَتِــهِ من معانيك شــذَى عَرْفَ الجِنَانْ
فأنــا الشَّــادِي وفي رُوحي هوىً عَبْقَــريُّ الوَحِي ذَاكِــي الافتنانْ
وأنــا الشــاعرُ آفاقِــي سَــمَتْ فَسَــمَا مِنّــى بيــانٌ ومَعَــانْ
وأنــا الغريــدُ يــومَ المِهرجــان عــاشَ فــاروقٌ، ودامَ المِهْرَجَانْ

* * *

وختاما..
مع الخالدين

أخي إنْ نمُتْ نَلْقَ أحْبَابنَا

فروْضاتُ ربي أُعدّتْ لَنَا

وأطيارُها رفرفتْ حَوْلَنا فطوبى

لنا في ديار الخُلودِ

سيد قطب

هبل.. هبل*

هُبَلٌ... هُبَلْ رَمْزُ السّخافَةِ والدَّجَل
مِنْ بَعْدِ ما اندَثَرَتْ على أيدي الأباة
عادَتْ إلينا اليَوْمَ في ثَوْبِ الطُّغاة
تتنشّق البحور تحرقُهُ أساطير النّفاق
مَنْ قُيِّدَتْ بالأسْرِ في قَيْدِ الخَنا والارْتِزاق(١)
وَثَنٌ يقودُ جُموعَهُمْ... يا لَلْخَجِل
* * *

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ السَّخَافَةِ والجَهالةِ والدَّجَل
لا تَسْألَنْ يا صاحبي تلك الجُموع
لِمَن التَّعَبُّدُ والمثوبَةُ والخُضوع(٣)
دَعْها فما هي غيرُ خِرْفانٍ... القطيع
معبودُها صَنَمٌ يَراهُ... العَمُّ سام
وتكَفَّلَ الدُّولارُ كي يُضْفي عَلَيْهِ الاحتِرام
وَسَعى القطيعُ غبَاوَةً... يا لَلْبَطَل
* * *

* من مجموعة شعرية قيلت بعد ثورة تموز (يوليو) عام ١٩٥٢صدرت في عمان تحت عنوان (لحن الكفاح)، ونقلها أحمد عبد اللطيف الجدع، وحسني أدهم جرار في كتابهما (شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث)٤/٤١ هُبَل: صنم كان بالكعبة ، وهو رمز لكل طاغية.

١- الخنا: الفحش في الكلام.

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ الخيانَة والجهالَة والسَّخافَة والدَّجَل
هُتَّافَةُ التَّهريج ما ملُّوا الثَّناء
زعموا لَهُ ما ليس... عنْدَ الأنبياء
مَلكٌ تَجَلْبَبَ بالضيَّاء وجاء من كَبِد السَّماء
هو فاتحٌ... هُوَ عَبْقَوِيٌّ مُلْهَمُ
هو مُرْسَلٌ... هو عالِمٌ ومَعُلِّمُ
ومن الجهالَة ما قَتَلْ
* * *

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ الخيانَة والعَمالَة والدَّجَل
صيغَتْ له الأمجادُ زائفَةً فَصَدَّقَها الغبي
واسْتَنْكَرَ الكَذِبَ الصُّراحَ وَرَدَّهُ الحُرُّ الأبي
لكنَّما الأحرار في هذا الزَّمان هُمُ القليل
فليَدْخُلوا السِّجْنَ الرَّهيبَ ويَصْبروا الصَّبْرَ الجَميل
وَلْيَشْهَدوا أقْسَى روايَةْ... فَلكُلِّ طاغية نهايَةْ
وَلكُلِّ مَخْلُوقٍ أجَلْ... هُبَلٌ... هُبَلْ هُبَلٌ... هُبَلْ
* * *

أخي*

أخي أنـــتَ حُرٌ وراء السُّــدود أخي أنـــتَ حُــرٌّ بتلــكَ القُيودْ
إذا كُنْــتَ بــالله مُســتعصماً فمــاذا يَضــيُرك كيــدُ العبيــد

* * *

أخــي سَــتبيدُ[٢٦] جُيــوشُ الظّلام وَيُشــرِقُ في الكَــوْنِ فجرٌ جديد
فَأطلــقْ لِرُوحِــكَ إشــراقَها تَــرى الفَجْــرَ يرمُقُنا مــن بعيد

* * *

أخي قــد أصابَــكَ ســهمٌ ذليل وغَــدْراً رَمــاك ذِراعُ كَليــل
سَــتُبْتَرُ يَوْمــاً فَصَبْــرٌ جميــل ولم يَــدْمَ بعــدُ عريــنُ الأســود

* * *

أخي قد سَرَتْ من يَديْكَ الدِّماء أَبَــتْ أن تُشَــلَّ بِقَيْــدِ الإمــاء
سَــتَرْفَعُ قُرباهــا... للسَّــماء مُخَضَّبــة بوســامِ الخُلــود

* * *

أخي هل تُــراكَ سَــئِمْتَ الكِفاحِ وألْقَيْــتَ عن كاهِلَيْكَ السَّــلاح
فَمَنْ للضّحايا يواســي... الجِراح ويرفــعُ رايتهــا مِــن جديــد

* * *

---

* الكفاح الإسلامي الأردني-العدد ٢٩- الصادر في ٢٨/١٢/١٣٧٦هـ الموافق ٢٦/٧/١٩٥٧

أخـــي هل سمعـــتَ أنـــينَ التُّراب   تَـــدُكُّ حَصـــاهُ جيـــوشُ الخَراب
تُمَـــزِّقُ   أحشـــاءه   بالحِـــرابِ   وتَصْفَعُـــهُ وهـــوَ صلـــبٌ عنيد

* * *

أخـــي إنني اليـــومَ صَلـــبُ المِراس   أدُكُّ صُخـــورَ الجبـــال الـــرَواس
غَـــداً سأشـــيحُ بفـــأس الخَلاصِ   رؤوس الأفاعـــي إلى أنْ تبيـــد

* * *

أخـــي إنْ ذَرَفْـــتَ علـــيَّ الدُّموع   وَبَلَّلْـــَت قَبري بها في خُشـــوع
فَأوْقِـــدْ لَهُمْ من رُفاتِي الشُّـــموع   وســـيروا بها نحـــو مَجْـــدٍ تليد

* * *

أخـــي إن نَمُـــتْ نَلْـــقَ أحبابَنـــا   فَرَوْضـــاتُ ربيّ أُعِـــدَّت لَنـــا
وأطْيارُهـــا   رَفَرَفـــتْ   حَوْلَنـــا   فَطـــوبى لنـــا في ديـــارِ الخُلـــود

* * *

أخـــي إنّني مـــا سَـــئِمْتُ الكِفاح   ولا أنـــا ألقَيْـــتُ عني السِّـــلاح
وإن طَوَّقَتْـــني جُيـــوشُ الظَّـــلام   فَإنِّـــى علـــى ثِقَـــةٍ... بالصبّاح

* * *

وإنَـــي علـــى ثِقَـــةٍ مِـــنْ طريقي   إلى الله رَبِّ السَّـــنا والشـــروق
فـــإنْ عافَـــني السَّـــوْقُ أوْ عَقَّـــني   فـــإني أمـــينٌ لعهـــدي الوثيـــق

* * *

أخـــي أخَــذُوكَ علـــى إثْرِنــا وَفَــوْجٌ علـــى إثْرِ فــوجٍ جَديد
فــإنْ أنــا مُــتُّ فإنّــي شــهيد وأنَتْ سَــتَمْضِي بنصــرٍ جديد

* * *

قَــدِ اختارَنــا الله في دعوتِــه وإنّــا ســنمضِي علــى سُــنَّتِه
فَمِنَّــا الذيــن قَضَــوْا نَحْبَهُــم ومنّــا الحفيــظُ علــى ذِمَّتِــه

* * *

أخـــي فَامْــضِ لا تَلْتَفِــتْ للوراء طريقُــكَ قَــد خَضبَّتْــهُ الدِّماء
ولا تَلْتَفِــتْ هَهنــا أو هُنــاك ولا تَتَطَلَّــعْ لغَيــرِ السَّــماء

* * *

فلســنا بطَــيرٍ مَهيــضِ الجَنَــاح ولَــن نُسْــتَذَلَّ ولن نُسْــتَباح
وإنّــي لأسْــمَعُ صَــوتَ الدِّماء قَوِيًّــا يُنــادي الكِفَــاحَ الكِفَاح

* * *

سَــأثْأرُ لكِــنْ لِــرَبٍّ وديــن وأمْضــي علــى سُــنَّتي في يَقين
فإمّــا إلى النَّصــرِ فَــوْقَ الأنَــام وإمَــا إلى الله في الخالِديــنْ

* * *

ترجمة سيد قطب

ولد سيد قطب لأسرة شريفة في مجتمع قروي (صعيدي) في يوم ٩/١٠/١٩٠٦م بقرية موشا بمحافظة أسيوط، وهو الابن الأول لأمه بعد أخت تكبره بثلاث سنوات وأخ من أبيه غير شقيق يكبره بجيل كامل. وكانت أمه تعامله معاملة خاصة وتزوده بالنضوج والوعي حتى يحقق لها أملها في أن يكون متعلمًا مثل أخواله

كما كان أبوه راشدًا عاقلاً وعضوًا في لجنة الحزب الوطني وعميدًا لعائلته التي كانت ظاهرة الامتياز في القرية، واتصف بالوقار وحياة القلب، يضاف إلى ذلك أنه كان دَيِّنًا في سلوكه.

ولما كتب سيد قطب إهداء عن أبيه في كتابه (مشاهد القيامة في القرآن) قال: «لقد طبعتَ فيّ وأنا طفل صغير مخافة اليوم الآخر، ولم تعظني أو تزجرني، ولكنك كنت تعيش أمامي، واليوم الآخر ذكراه في ضميرك وعلى لسانك.. وإن صورتك المطبوعة في مُخيلتي ونحن نفرغ كل مساء من طعام العشاء، فتقرأ الفاتحة وتتوجه بها إلى روح أبيك في الدار الآخرة، ونحن أطفالك الصغار نتمتم مثلك بآيات منها متفرقات قبل أن نجيد حفظها كاملات».

وعندما خرج إلى المدرسة ظهرت صفة جديدة إلى جانب الثقة بالذات من أمه والمشاعر النبيلة من أبيه وكانت الإرادة القوية، ومن شواهدها حفظه القرآن الكريم كاملاً بدافع من نفسه في سن العاشرة؛

لأنه تعود ألا يفاخره أبناء الكتاتيب بعد إشاعة بأن المدرسة لم تعد تهتم بتحفيظ القرآن.

وفي فورة الإحساس والثقة بالنفس كان لظروف النضال السياسي والاجتماعي الممهدة لثورة ١٩١٩ أثر في تشبعه بحب الوطن، كما تأثر من الثورة بالإحساس بالاستقلال وحرية الإرادة، وكانت دارهم ندوة للرأي، شارك سيد قطب فيها بقراءة جريدة الحزب الوطني، ثم انتهى به الأمر إلى كتابة الخطب والأشعار وإلقائها على الناس في المجامع والمساجد.

الاستقرار في القاهرة

ذهب سيد قطب إلى القاهرة في سن الرابعة عشرة وضمن له القدر الإقامة عند أسرة واعية وجهته إلى التعليم وهي أسرة خاله الذي يعمل بالتدريس والصحافة، وكان لدى الفتى حرص شديد على التعلم

إلا أنه في القاهرة واجه عقبات محصته تمحيصًا شديدًا جعلته يخرج من الحياة برؤية محددة قضى نحبه –فيما بعد– من أجلها.

والتحق سيد قطب أولاً بإحدى مدارس المعلمين الأولية –مدرسة عبد العزيز– ولم يكد ينتهي من الدراسة بها حتى بلغت أحوال الأسرة درجة من السوء جعلته يتحمل المسئولية قبل أوانه، وتحولت مهمته إلى إنقاذ الأسرة من الضياع بدلاً من استعادة الثروة وإعادة المجد.

واضطر إلى العمل مدرسًا ابتدائيًا حتى يستعين بمرتبه في استكمال دراسته العليا من غير رعاية من أحد اللهم إلا نفسه وموروثاته القديمة. وكان هذا التغير سببًا في الاحتكاك المباشر بالمجتمع الذي كان لا بد له من أسلوب تعامل يختلف عن أسلوب القرويين وتجربتهم.

فالمجتمع الجديد الذي عاش فيه انقلبت فيه موازين الحياة في المدينة السليمة، وبدت في القاهرة سوءات الاحتلال الأجنبي ومفاسد السياسة؛ حيث سادت عوامل التمزق الطبقي والصراع الحزبي وغدت المنفعة وما يتبعها من الرياء والنفاق والمحسوبية هي الروح التي تسري، ويصف عبد الرحمن الرافعي هذا المجتمع بأنه :«مجتمع انهارت فيه الثقافة العربية أمام الثقافة الغربية التي تؤمن بالغرب حتى بلغت في بعض الأحيان حد التطرف في الإيمان بالغرب وبمبادئه إيمانًا مطلقًا». فكيف يواجهها هذا الشاب الناشئ المحافظ الطموح؟

كانت صلته بهذا المجتمع صلة تعليم، ثم أصبح الآن مشاركًا فيه، وعليه أن يختار ما بين السكون والعزلة، وبالتالي عدم إكمال تعليمه أو الحركة والنشاط، واختار سيد قطب المواجهة مع ما ينبت معها من عناصر الإصرار والتحدي وعدم الرضا بهذا الواقع المؤلم.

ارتحال فكري

واختار سيد قطب حزب الوفد ليستأنس بقيادته في المواجهة، وكان يضم وقتذاك عباس محمود العقاد وزملاءه من كتاب الوفد، وارتفعت الصلة بينه وبين العقاد إلى درجة عالية من الإعجاب لما في أسلوب العقاد من قوة التفكير ودقة التغيير والروح الجديدة الناتجة عن الاتصال بالأدب الغربي.

ثم بلغ سيد قطب نهاية الشوط وتخرج في دار العلوم ١٩٣٣ وعين موظفًا –كما أمل وأملت أمه معه– غير أن مرتبه كان ستة جنيهات ولم يرجع بذلك للأسرة ما فقدته من مركز ومال؛ فهو مدرس مغمور لا يكاد يكفي مرتبه إلى جانب ما تدره عليه مقالاته الصحفية القيام بأعباء الأسرة بالكامل.

وهذه الظروف التي حرمته من نعيم أسلافه منحته موهبة أدبية إلا أن الأساتذة من الأدباء –كما يصفهم- كانوا: «لم يروا إلا أنفسهم وأشخاصهم فلم يعد لديهم وقت للمريدين والتلاميذ، ولم تكن في أرواحهم نسمة تسع المريدين والتلاميذ» كل هذا أدى إلى اضطرابه وإحساسه بالضياع إلى درجة –وصفها الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه «مذكرات سائح من الشرق» انقطعت عندها كل صلة بينه وبين نشأته الأولى وتبخرت ثقافته الدينية الضئيلة وعقيدته الإسلامية» ولكن دون أن يندفع إلى الإلحاد، وكان دور العقاد حاسمًا في ذلك.

وانتقل سيد قطب إلى وزارة المعارف في مطلع الأربعينيات، ثم عمل مفتشًا بالتعليم الابتدائي في عام ١٩٤٤ وبعدها عاد إلى الوزارة مرة أخرى، وفي تلك الفترة كانت خطواته في النقد الأدبي قد اتسعت وتميزت وظهر له كتابان هما: «كتب وشخصيات»، «والنقد الأدبي – أصوله ومناهجه».

وبعد ميدان النقد سلك سيد قطب مسلكًا آخر بعيدًا: بكتابه «التصوير الفني في القرآن» الذي لاقى مقابلة طيبة من الأوساط الأدبية والعلمية فكتب: «مشاهد القيامة في القرآن» ووعد بإخراج: «القصة بين التوراة والقرآن» و»النماذج الإنسانية في القرآن»، و»المنطق الوجداني في القرآن»، و»أساليب العرض الفني في القرآن»، ولكن لم يظهر منها شيء.

وأوقعته دراسة النص القرآني على غذاء روحي لنفسه التي لم تزل متطلعة إلى الروح. وهذا المجال الروحي شده إلى كتابة الدراسات القرآنية فكتب مقالاً بعنوان «العدالة الاجتماعية بمنظور إسلامي» في عام ١٩٤٤.

الرحلة إلى أمريكا

وجد سيد قطب ضالته في الدراسات الاجتماعية والقرآنية التي اتجه إليها بعد فترة الضياع الفكري والصراع النفسي بين التيارات الثقافية الغربية، ويصف قطب هذه الحالة بأنها اعترت معظم أبناء الوطن نتيجة للغزو الأوروبي المطلق.

ولكن المرور بها مكنه من رفض النظريات الاجتماعية الغربية، بل إنه رفض أن يستمد التصور الإسلامي المتكامل عن الألوهية والكون والحياة والإنسان من ابن سينا وابن رشد والفارابي وغيرهم لأن فلسفتهم - في رأيه - ظلال للفلسفة الإغريقية.

فكان من المنتظر حين يوم ٣/١١/١٩٤٨ في بعثة علمية من وزارة المعارف للتخصص في التربية وأصول المناهج ألا تبهره الحضارة الأمريكية المادية ووجدها خلوا من أي مذهب أو قيم جديدة، وفي مجلة الرسالة كتب سيد قطب مقالا في عام ١٩٥١ بعنوان: «أمريكا التي رأيت» يصف فيها هذا البلد بأنه: «شعب يبلغ في عالم العلم والعمل قمة النمو والارتقاء، بينما هو في عالم الشعور والسلوك بدائي لم يفارق مدارج البشرية الأولى، بل أقل من بدائي في بعض نواحي الشعور والسلوك».

المصلح والأديب

امتلك سيد قطب موهبة أدبية قامت على أساس نظري وإصرار قوي على تنميتها بالبحث الدائم والتحصيل المستمر حتى مكنته من التعبير عن ذاته وعن عقيدته يقول: «إن السر العجيب - في قوة التعبير

وحيويته – ليس في بريق الكلمات وموسيقى العبارات، وإنما هو كامن في قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء المدلول، وإن في ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية، المعنى المفهوم إلى واقع ملموس».

وكان سيد قطب موسوعيًا يكتب في مجالات عديدة إلا أن الجانب الاجتماعي استأثر بنصيب وافر من جملة كتاباته، وشغلته المسألة الاجتماعية حتى أصبحت في نظره واجبًا إسلاميًا تفرضه المسئولية الإسلامية والإنسانية، وهذا يفسر قلة إنتاجه في القصة التي لم يكثر فيها بسبب انشغاله بالدراسات النقدية ومن بعدها بالدراسات والبحوث الإسلامية.

وطوال مسيرته ضرب سيد قطب مثل الأديب الذي غرس فيه الطموح والاعتداد بالنفس، وتسلح بقوة الإرادة والصبر والعمل الدائب؛ كي يحقق ذاته وأمله، اتصل بالعقاد ليستفيد منه في وعي واتزان، ولم تفتنه الحضارة الغربية من إدراك ما فيها من خير وشر، بل منحته فرصة ليقارن بينها وبين حضارة الفكر الإسلامي، وجمع بينه وبين حزب الوفد حب مصر ومشاعر الوطنية، وجمع بينه وبين العمل الإسلامي حب الشريعة وتحقيق العدالة الاجتماعية وبناء مجتمع إسلامي متكامل. واستطاع بكلمته الصادقة أن يؤثر في كثير من الرجال والشباب التفوا حوله رغم كل العقبات والأخطار التي أحاطت بهم، وأصبح من الأدباء القلائل الذين قدموا حياتهم في سبيل الدعوة التي آمنوا بها.

العودة والرحيل

عاد سيد قطب من أمريكا في ٢٣ أغسطس ١٩٥٠ ليعمل بمكتب وزير المعارف إلا أنه تم نقله أكثر من مرة حتى قدم استقالته في ١٨ أكتوبر ١٩٥٢، ومنذ عودته بدأ يؤكد توجهه الإسلامي.

خاض تجربة العمل الإسلامي السياسي إلى أن استشهد فجر الإثنين ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٩ أغسطس ١٩٦٦.

كتب سيد قطب

١ - مهمة الشاعر في الحياة، وشعر الجيل الحاضر. (نقد).

٢ - الشاطئ المجهول (شعر)

٣ - نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر (نقد).

٤ - التصوير الفني في القرآن (نقد).

الفهرس

مقدمة د. حسن حنفي............5
مقدمة المؤلف............13
التمرد............23
عُزْلَةٌ في ثَوْرَة!!!............25
زَفَراتٌ جَامحةٌ مَكْبوحَة............31
عَاشِقُ المُحَال............33
حُلْمٌ قَديم............35
بعدَ الأَوان............37
الشكوى............39
سَعَادَةُ الشُّعَرَاء............41
سخريةُ الأَقْدَار............44
الصديقُ المَفْقُود!............45
خراب!............48
خريف الحياة............49
النفسُ الضائعة............51
الغدُ المجهول............53
غريبٌ..!............55
مرّ يَوم............56
إلِى الثلاثين............57
خُطا الزَّمنِ الوَثَّاب............59
نهايةُ المَطَاف............61
الحنين............63
عَهدُ الصّغر............65
جولة فيَ أعماق الماضي............67
المَاضي............70
رِثَاءُ عَهْد............72

عَهْدٌ ذَاهب؟! 74
السعادةُ حديثُ الأشْقياء 76
وَحْي الريف 77
ليلات في الريف 79
العودةُ إلى الريف 81
الليلاتُ المَبْعُوثة 83
رَيْحَانَتي الأولى أو الحِرْمَان 85
عِبادةٌ جَديدة؟! 87
تسبيح...! 88
في السماء 89
بينَ عَهْدَيْن 90
نداءُ الخَريف 92
هُتافُ رُوح 95
دُعاءُ الغريب 97
ابتسامة 99
التأمل 101
بَسْمَةٌ بَعْدَ العُبُوس أو حَياةٌ بعدَ مَوْت* 103
هَدَأتَ يَا قَلْب؟! 105
الدنيا 106
عودة الحياة 106
البعث 108
الشُّعَاعُ الخَابِي 110
في الصحراء 112
بين الظلال 115
الإنْسانُ الأخير 117
إلَى الشاطئ المجهول 120
السر أو الشاعر في وادي الموتى 122

التجارب 127
خبيئة نفسي........................... 130
الخطيئة 132
القطيع 133
على القمة 136
مصرع قصيدة........................... 138
وُجُوهٌ طَرِيفَة........................... 139
إلى الظَّلاَم............................. 140
في مفرق الطريق 143
أقدامٌ فَي الرّمَال 145
خُدْعَةُ الْخُلُود........................... 147
الغزل............... 149
لَيْلَة؟! 150
نَظْرَةٌ مُوحِشَة 151
طَيْف!! 153
صوت؟!............................. 155
هي أنتِ 156
أحبك 158
عَيْنَان 161
حَدِّثِيني 162
بيانو وقلب 165
الظَّامِئة 166
رَسُولُ الحياة 169
سرُّ انتصار الحياة 170
الَمُعْجزَة أَو السَّهمُ الأخير 171
اللحنُ الحزين........................ 173
الغَيْرَة 147

مَصْرَعُ حُبّ! 177
ليلةُ الشَّك 178
اليقين 179
الجنةُ الضَّائعة 180
الحنينُ والدُّمُوع 181
اللّغْز 182
قُبْلَة 183
دَاعِي الحياة 184
تَحيةُ الحياة 185
الخَطَر 186
يَقَظَة 188
رُقْيَةُ الحُبّ 189
الحياةُ الغَالية 191
الكَوْنُ الجديد 192
حُبُّ الشَّكُور 193
الانتظارُ الخالد 195
الحبُّ المَكْرُوه! 196
نَكْسَة! 198
على أطلال الحُب 200
صَدَى قُبْلَة 202
غنيّ ... ؟! 204
وحي جديد 206
أكذوبة أسوان 208
حُلُمُ الحَيَاة 209
الكأسُ المَسْمُومَة 211
وَحْيُ لقَاء 212
حُلْمُ الفَجْرِ 213

انْتَهَيْنَا 214
الوصف 217
وردةٌ ذَابلة 218
العُود.. 218
بريشة الشعرأو صورة صادقة.. 220
هَدْأةُ الليلِ.. 222
الصُّبْحُ يَتَنَفَّس.. 224
عبث الجمال 226
يوم خريف 228
الجبار العاجز.. 230
نَاحِتُ الصَّخْرأو«الفاعل» 232
حُلْمُ النَّيل.. 234
وداع الشاطئ 235
من الفردوس إلى الجحيم 235
الوادي المقدس 236
في لَيلةٍ من لَيالي الربيع 241
جَمَالٌ حَزِين.. 242
الرثاء.. 243
وَحْيُ الخُلُود 244
الذكرى الخالدةُ لسعد العظيم.. 246
البطل 249
ذكرى سعد.. 253
طليعة الضحايا 255
موت سوسو.. 257
الزَّادُ الأخير.. 259
نُوسَةُ أوشَطْرٌ مِنَ العُمْر.. 260
صَدَى الفَاجِعة 264

الوطنيات 267
إلى البلادِ الشقيقة 269
مأساة البَداري 270
صوت الوطنية 271
المِهْرَجَان 273
وختاماً مع الخالدين 277
هُبَلٌ.. هُبَلْ 279
أخي 281
ترجمة سيد قطب 285

الدراية لا الرواية 2008

إنما قسوة التاريخ وظلم الشاعر والناقد والمفكر هو رده إلى مرحلة واحدة بعد 1954 ونسيان ربع قرن من الإبداع الشعرى والنقدى والفكرى ورده إلى كتاب واحد (معالم على الطريق) الذى هو حرقة سجين مظلوم ومعذب بريء. وقد نسيت جماعته أيضاً المراحل الثلاث الأولى، ولم تتذكر إلا المرحلة الرابعة، باستثناء المخلصين له الذين تعلموا على يديه، وعرفوه مفكرا وثائرا ووطنيا باسم الإسلام. ولولا دخوله السجن فى 1954 وتعذيبه لما كفّر المجتمع فى (معالم على الطريق)، ولولا سفرى إلى فرنسة وعودتى بعد عشر سنوات وعيشى فى جو طبيعى لما كتبت (من العقيدة إلى الثورة)، ولا (من النقل إلى الإبداع)، ولا (من النص إلى الواقع)، ولا (من الفناء إلى البقاء)، ولا (من النقل إلى العقل).

ولولا الصدمة الحضارية التى تلقاها من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1950 لما كتب (خصائص التصور الإسلامى ومقوماته) ردا على (الإنسان ذلك المجهول) لألكس كاريل. وهو ما تطور بعد ذلك فى (مقدمة فى علم الاستغراب). ويتم استئناف (فى ظلال القرآن)آخر ما وصل إليه علم التفسير من تطور فى (الموقف من الواقع) أو نظرية التفسير، الجبهة الثالثة من مشروع (التراث والتجديد) بجبهته الأولى موقفنا من التراث القديم، وجبهته الثانية (موقفنا من التراث الغربى).

واليوم يرد - مركز الناقد الثقافى- الاعتبار لسيد قطب شاعرا عسى أن يُرد إليه نفس الاعتبار ناقدا ثم مفكرا ثم سياسيا وتنتهى أسطورة (معالم على الطريق). فنفسية السجين استثناء فى حياة الشاعر الرومانسى، والناقد الأدبى، والمفكر الحر.

د. حسن حنفي